









ليوسف نقولا نقاش

لا تملك جريمة المضاح



مكتبة المضاح في بيروت سنة ١٨٨٩



## الجزء الثاني

( في من الزمن وبلادها )

❖ ١ ❖

قلنا « والحديث ذو شجون » ولا ان تمت حفلة العرس وانصرفت حفلة الأكليل  
ارتفعت الاغاني والراغيت وصاح الحشد صوتاً واحداً : ليها العروسان ليحش  
لنا هلان . وتبع ذلك اطلاق البنادق والعزف بالموسيقى واخذ في الرقص والتصف  
على ابداع فن . واجتنب اسلوب وتقدم الحاضرون افواجا الى العروسين يقولون لها  
الرفاء والبنين . اما عادة البقاع فلم تقع ابصارها على احد من معارفها وكان كل  
من في النصير غير عالين بكنه امرها وحقيقة حلما مع فريد ولا عارفين المؤمنين عليها  
لم تكن تدري ان طرقتا شاخصاً اليها من خصاص شجر حديقة النصير ودعاه ذارف  
كالحمدول او كالتبر وانما ذلك الماكي الحزين هو عزيز العيس الذي ما عثم ان  
بضى وانصرف اثر تمام عقد الزواج وكان يقول

هو الحب فاسلم بالحقى ما الهوى سهل فما اختاره مضى به وله حقل  
فمن خالكا فالحب راحة غشا فاوله سقم وآخره قتل  
وبات فريد بيكته ضميره اشد التبكيت لا يشعر بسرور خالص من شوائب  
الغم والانتباض والهم والامتعاض خصوصاً اذ جاءه الروسة واخذ به يده منفرداً به  
وقال له : ارايت كيف جعلتك محظوظاً ذا جدة وجد ولقد انجزنا قسماً من اعمالنا  
ولكن لم يمن لنا اوان الراحة والفرار من الشواغل لانه ينبغي ان نبحث عن الزوجة  
الآخريين قبل ان نندول على التركة ونستمتع بالثروة ثم همس اليه : لا بد من قتل  
هؤلاء ايضاً لئلا ينجس لنا وحدنا ان ننتأثر بالمال ! . . . فارتعدت فريدة خوفاً من  
ذلك . وكانت الافراح قائمة بين جمهور المدعوين ولم يشعر احد منهم بشيء ما ذكر  
وكان الرجال والنساء الاغنياء قد اكثروا من التأتق في الحلى والحلل لاشتهار حفلة  
هذا العرس انما تكون بالغة في البهجة والانتق والحسن والرويق وكثيراً ما تسوع  
قول المرأة لجارتها ما اجل هذه العروس يد انما قلما تكون ذات استنباس  
بالناس لان دلائل العزلة وآثار الوحدة والوحشة بادية عليها . وبات القوم في نصف ورنص

مفرحون ويطربون اليه منتصف الليل فنصبت موائد الوليمة مستوفية اسباب الهناء والبهاء  
وقدمت الوان الطعام الطيبة الفاخرة فدار بها المدعون جلوساً على الكراسي المصنوفة  
وكامل اذا قام فوج منهم خلفه آخرون زالوا كذلك حتى انصدع الفجر او كاد فرفعت  
الكنوز على ذكر العروسين واشد من شهد من المعين في ذلك الحين

ثم يساندم ودع مقالة من نصيح فالدبك قد صدع الدجى لما صدح  
لاحت تباشير الصباح فأستقي ما ضاء في الظلماء من قدح القدح  
ثم اخذ المحشد في الانصراف معبدن التهة والشكر للعروسين وقد اخذا بمجماع  
القلوب بما اهديا من اسباب الايثاس والاكرام في تلك الليلة الزاهرة فقد اكل اى  
يحدث صاحبه بشأن فريد امير الغاب وما بلغه من العز وادركه من المعارف وتوفر عليه  
من اسداء الصنائع والمعارف في هذه الدعوة



ومضى سنة على زواج فريد لحسن ذكره وطاب سمعه وعظم قدره بين اهل  
يهروت لكونه ظهر سرباً غنياً دفعة واحدة فعرفه الخاص والعام واثني عليه كل لسان  
وتناسى الناس «ودأبهم النسيان» ما صار اليه في الامس اعتباراً بما آل اليه اليوم  
هو المجد حتى تنفصل العين اختبا وحتى يكون اليوم للامس سبباً  
فبعد ان كان فريد ذليلاً مقللاً لا صديق له ولا رفيق قد ظهر هذا المظهر الجديد  
محظوظاً بعين العناية ملحوظاً فاقبل عليه التوم يسطونه ويكرمونهم قريهم ويبعدهم معظمين  
ثروته مقدرته بقدرها سنة الدهر خلت من قبل ولم تنزل غالبه على ابناء هذا العصر يعظمون  
المرء بحسب ماله لا بحسب خلاله وينظرون الى كثرة وقلة لا الى وفرة علمه وفضله ويحفلون  
بنسبه لانيسته ولذا يقال «له نسب وما له نسب لمن هو الا خشب» وقد فتح فريد باب  
قصره وفتح مجله لاستقبال الوافدين عليه من ذوي الوجاهة والظرف والاكيس والالطف  
وبدت غادة البقاع في صدر القاعة نجمة الجسم هضيمة الكشح متوقفة الوجه غائرة المقلتين  
ومع كل ذلك ما برحت ملكة الحسن والجمال وسوة ربات الحجال تفحص نحوها الابصار  
واليها يشاروفي النفوس من معاني خلفها اسرار . وكان فريد يوالي الولايم ويكثر من مجالي  
العز والجاه في خلال تلك الايام التالية عرسه . ثم عاد الى قصره بالمدينة يهروت وزينه  
بالفخر الاثاث وآتى المروشات واقفى من جباد الحبل كل مطم سابق ومن جدد العربات  
ما كان احسن وآتى واتخذ كثيراً من الخدم والحشم وجعل ينفق اسرافاً يغير حساب ما

كان يمدّه ويصله به الروسة على جهة التركة العائدة الى غادة البقاع علماً بأنه سيستمتع ذات يوم بنصف المال جزاء مساعيه في مساعدة فريد على درك أمانيه : وعني أي فريد في اتيان المبرات والاعمال الخيرية تكفيراً عن مساوئه وتخفيفاً لما لحقه من شدة تأنيب الضمير او اذلالاً بالعز والجاه وطلباً لمجمل الثناء فانشأ مستشفى للفقراء والمعدمين وتبرع بماله كثير في سبيل المنشآت العمومية الموقوفة للبر والاحسان واتسع في توزيع الصدقات على المعوزين والبائسين وبسط يد السخاء للجمعيات والمعاهد الخيرية وكان يري من نفسه آية التباهي بان جدواه ونداه كجده وغناه واريجيته تفاكل ثروته في الافراط والتناهي ولم يقف في مسلك التناخر عند هذا الحد بل جاوزه الى التعرف بولاة الامور والتزلف لديهم « ومن لم يصبر على الكلف لم يصل الى الرثاء » وما زال يغشى منازلهم ومقاماتهم ويختلط بهم حتى صار عدم ذا مكانة وحظوة وشاركهم في كثير من امور الجمهور وتديرها متوسلاً الى ذلك بصنع الولائم الموقفة الشبه في المواسم والاعياد الوطنية فاضحت كلمته نافذة وطلبت لا ترد في ابواب ارباب الدولة فنال في وقت قصير نياشين ورتباً عليه ونفاد الوظائف المهمة وعادت الاعمال الجلية رهماً بارادته وفقاً على امره ان شاء اصدرها واوردتها ولم تكن كل هذه الشواغل لتمنع التجارة ففتح معبداً تجارياً وارصد له مقداراً جسيماً من المال فخدمه المجد والسعد فناز بريح كبير واقبلت عليه الدنيا فوسع نطاق تجارته في بلية البلاد وطارت سمعته وصار ذا منزلة ومهابة ولم يكن عين اعيان بيروت وحدها السورية باجمها وبلغ شأ والعز والجاه في مدة قصيرة ولا بدع ضو ابن بلاد يكرم فيها المرء لماله لا لحسن سمته وخلاله كما مرّ فضلاً ان فريداً كان متوقفاً الذهن فصيح اللسان صريح الحميا في قلبه بقية من الشرف النال على ان الروسة لم يبق عليها وهكذا اضحت كلمته نافذة في بيروت وسورية وحملت حظوته لدى ولاية الامير وعظم شأنه في الندوات التجارية والمحافل العمومية والجمعيات الخيرية واكبر ذكره في مجالس الاعيان والملا واحترم في بيوت المعدمين والفقراء وللجرايد يوماً بعد آخر كلام مشبع في وصف مآثره ومكارمه وقبض على زمام الجاه بيد قد طالما قبضت على الغدارة السداسية اندازاً لغادة البقاع واكراماً لها على الزواج ! وكان الروسة لا يفترعن مساعدته بالرأي وامداده بالمال . وفي ختام العام الاول من حنلة عرسه وتاهله بلغ متنى السعادة والفلاح فقال ذات يوم لغادة البقاع . اني جاعل هذه الديار كلها عيوناً شاخصة الى اعالي الخطيرة... اما هذا الذي يشار اليه بالبنان ويشاد بجلالته اجلالاً لغيره وينى عليه جميلاً



يحبه البر والخير بل هذا الذي يعرفه الجميع ويحبونه ما كان لهنأ ههنا خلاصاً لان  
 في فؤاده أكلة سوء ابتلاه بها الله من الغرام... وها قد مضى عام على زواجه بين  
 تلك الحزائن المكرة والامور المداخلة والاهوال المائلة والحشرات الاكلة فأولم وليمة  
 عظيمة ذكراً ليوم قرانه مخافة ان يرثا احد في حقيقة امره مع غادة البقاع. وإما هي  
 فما كانت ترداد الأكرها له ومقتاً لم تبش به ولم تمش له سالمة يد أنها لازمت  
 الاحتراس من ان تخرج في معاملته عن الحد الواجب اللائق به امام الناس حتى اذا  
 انصرفوا عنها ولمح كل منها غرفته وخلا نفسه لان غادة البقاع ابت ان تنسبط الى فريد  
 متعلقة له شان الزوج مع زوجه جريباً على حكم ما اشترطت يوم عقد الزواج وقد  
 اتخذت لها جارية او خادمة امينة نانس بها وتسكن اليها وكانت بين هانك الولائم  
 ومجالي النرج والسرور كأنها في عزلة مستوحشة مستنفرة تلهب غضباً وموجدة على مغتصب  
 ارادها وسالب حريتها. وإما الروسية فما كان يجيء قصر فريد الأ في الندرة لتعاغله  
 منذ سنة في طلب الوارث الآخر بادلأ أقصى المجهود للقيام اذ تعذر وجدانه وإنما كان  
 شفيقة المورث بطرس البقاعي التي ذكرها مع شفيقة بولس في وصيته التي خانها في جملة  
 تركته. وكثيراً ما سأل عنها الروسية بولس البقاعي اخاها قاتلاً لا يجي لك وحدك  
 ان تستولي على تركه اخيك وتستمتع بثروته الوافرة وإني كاشفتك بذلك ولم أكتبه منك  
 من اول وهلة...

— أجل ان لي شقيقة تدهي حنه والعدل ينتضي اعطاءها قسما وقسطها من الارث ولكي آسف من اجل اني لست اعلم مكانها وهل هي حية ام لا؟ اني اجعل امرها على الاطلاق

— اني فقدمها ... فلو قصصت علي خبرها ووصفت لي احوالها كلها لسمعت في طلبها ووجدتها ...

— وقد نقض اليه براسه | « ان الحديث ذو شجون » فلا اصبر على وصف الاحوال  
السالفة — لا اعلم اشدنيق مايقه حبه فنرجى ام ميتة فتلى ؟ فانها ولدت في البناغ فلي  
بمخمس سنون ولما خلق جميل جدا . وقد جلب جمالها عليها وعليا شر العقي بما غلب على طبيعتها  
من حب المزاج فحدث الناس بها وكان ابوانا شديدي التاديب لا يغيضان ولا يتسحمان  
معاً بشيء ولا يغفران لنا زلة وان قلت فسميت اختي عوثة البدارة في ذلك السهل  
الطويل العريض وفرت هاربة الى احدى المدن واقامت بها هذا ما انتهى الي  
من حديثها وحي من خبرها وكان انه في غضون ذلك توفي ابواي وبقيت انا وبهما

صغير السن ثم انقطعت اخبارها واذا قدمت بيروت سألت عنها وبجئت كثيراً ولم اقف لها على اثر ففعلت وفاتها او انها برحت هذه الديار فاني لست ادري شيئاً من امرها واحسبها قد قضت نحبا

وكان الروسة قد سعى كثيراً انجئاً عن اثرها في كل جهة وصوب من البلد فاخفق ولم يجل بطائل وكان رجاله يصادفون اتباع مراد بك ساعين سعيهم طلباً لحنة البقاعية وما سكن روع الروسة ان رسل مراد لم يجدوها ايضاً مع بذلهم غاية المجهود في طلبها والتفتير عنها وكان يقول في نفسه بعد اذ حبطت مساعيه وأيس من وجدانها اريح من فلاحه وفلاح فريد ان تكون قد توفيت لان بذلك لنا من الاخطار والمخدورات وكفاية مؤونة قتلها وقتل آخرين معها عند الضرورة ولكن يسؤني ان موتها ما زال مشكوكاً فيه غير ثابت فلا يحق لنا ان نطلب التركة برمتها مستمتعين بها . ولذلك رأى الروسة ان يدع الامور تجري مجراها رجاء انه يدرك اتفاقاً ما لم يعه عليه المجد والعناء ما لا يصيبه الا من كان ذا جدر وحظ مساعد وكان هو اذ ذاك في آباء سعدة . وحدث ان فريداً وزع حيثنذر في المدينة رقاع الدعوى لاحياء ليلة انس وطرب عند نعيها مرور السنة الاولى من زواجه



وظفقت الخواتين والسيدات يعددن الملابس الفاخرة لتلك الليلة فمهن من اخائرت هذا الزى الجدي ( المودة ) وغيرها غيره فراجت الاسواق بعد كسادها بيعاً لشئق الحرير والخمّل ونحوه وكثرت العناية في قصر فريد بالمدينة فصد القائي والانثاء فرشاً ونجيداً واعراداً لاسباب اللهو والانس والطرب وامسى كل من الوصفاء والخدم معنياً بشان . اما غادة البقاع سيدة القصر فلزمت غرفتها لانهتم لامرولها تحفل بشئ وانما اسمرت كعادتها حزينة كشيبة تحب العزلة وهوى الافراد وهي تنهد واحسبها تنشد كأنني غداة اليث يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وهكذا لازمت الغم والترحم لتشارك في شئ من مظاهر السرور والفرح الا ما كان منها رثاء للناس ولكلما كانت اذا خلت اظهرت الزهد في الدنيا كأنها راهبة في دير نقاسي ضروب الغم والاسى مفكرة في امرها لا يغني عنها اكرام كرام الرجال وموانسة النساء . . فلم ترل باكية متأوهة متزايدة انواع النكرم والتعظيم في ذلك القصر الزاهر الزاهي الذي غدت هي ربه مخنوفة بمجال العز والترف وكانت موقنة انها لا تصبر على ما يساورها

من الموم ذارفة البيع وجسمها يغزل وبذوب كالشمع . . .

الشمع يكي ولا يدري مصيبته من جيرة النار ام من فرفة العسل  
من لم تجانسه فأحذر ان تجالسه ما ذوب الشمع الا صحبة التل  
واسمرت على هذه الحال من اللبال كأنها كل يوم تدنو من الرمس كأن لم تغنر  
بالامس وأكثر من المحين والشوق الى منزلها الاول متراصة جميع ما رأت في قصر  
فريد من الفنى والثنى والحيل والحول . وودت لو تعود الى بيت ايها معدمة فقيرة  
واحسبها تشد قول من كانت مثلها بعين غير فريده

ليست تخفى الارواح فيه احب الي من قصر ميف  
وأكل كميرة في كسريتي احب الي من أكل الصنوف  
وليس حياءة وقر عيني احب الي من لبس الصنوف

وقد مرّ سنة من اقترانها بفريد ولم تخاطبه بكلمة طى خلق ولم تكن تظهر الرضى  
والسرور الا مخافة ان يدري الناس بامرها وسبب كدرها وكان كل من هذين المتاهلين  
يفرد في غرفة عن الآخر على ان عادة البقاع كانت ذات جسد عليل وفي كبدها  
شليل تود الانتقام من فريد وهو يروح ويغدو قلقاً لا يهدأ له روع لشدة لوم نفسه وتائب  
ضميره ومهامه من لم يجد الى استرضائها سبيلاً فتفتضت عليه السنة ولم يلبس منها حاجة  
ولم يكلمها بكلمة واحدة بيد أنه كان يسألهما عنوا بلسان دموعه المنحجبة فترده بقسوة  
وجفاء . وغداة يوم الولاية المقامة تذكّاراً لوقت زواجها استدعى فريد بخادمة مقصودها  
وامرها ان تستأذن له مولاتها في المواجهة وكانت قد استيقظت منذ قليل ولم تنزل لابس  
ثوب النوم الابيض فامتنع لونها وأكد وجهها لان هذه اول مرة بعث فيها فريد  
يسألهما الاجتماع بها في مرقدها فاومأت الى المجارية : ان قولى له لا بأس ولبست على  
المقعد فتوقعه وقد شدت وسطها بمنطقة ثم جاء ودخل ورد باب الغرفة وراءه وكانت  
آثار الفلق واللبال بادية عليه فحاسكت ولم تبهر اقل تخفى او حركة عند دخوله  
غدنا منها حتى صار امامها وقال لها بصوت اجش يهدج رغماً عنه : اراك تكرين  
علمي هذه المرة ولكنك تعترفين اني قد قسبحى ما اشترطت علي منذ اقتراننا ولم  
انقدم اليك من قبل في طلب التقرب

فاجابته من فورها : انت تقرب الي ؟ . . . ان هذا منك لضرب من المحبق والجنون  
لو فكرت وتأملت . وان كانت زيارتك اياي مبنية على هذا ان قصد فاولى بك ان  
تصرف عني بلا تردد ولا ابتاء . . .

— مهلاً واصفاه حتى اتم حديثي  
 — ارايت مني مذ اتممت معك ما يعلمك في بعض الشيء ؟  
 — لا لعمري ... فاني لم اجد منك غير الاصرار على الفار والجناح والمشاحة  
 والاباء ...  
 — اذن

فاظهر لها الدلل والانكسار ضارماً اليها ان تصدق باجابة سؤاله  
 فتأفنت وقصبرت مظهرة التيه عليه ولازدرام يو كآتها نقول : ماذا ينفع كل ما  
 اسمع ؟ فانه لا يجيك في الكلام ولا يغير شيئاً مما انا عليه من المرام واني لا اشك ثابته  
 العزم لا انحول ...  
 — فاتم مقاله : ألا تجددين ياغادة البقاع ان نرقي لي ونعطني بدل اعراضك هي

منذ سنة ؟

— كلاً كلاً ... لست اتغير اهدا  
 — مع ذلك لا تجهلين اني احبك  
 — قد قلت لي ذلك ولكنهم لم اصدقك  
 — ماذا ينبغي ان اصنع لاحق لك صحة قولي ؟  
 — وما يجدي عنك انك تحبني فان ذلك لا يخفف كرهى اياك ولا موجدني عليك  
 — اعطني ياغادة البقاع ان كل ما اصنع اعزازاً لثاني بن اخواني مولاجل محبتك  
 — وماذا يخصني  
 — ألا تتفكرين بذلك ...  
 — اني اسفي ان ادعى امرأتك وانجمل حين انسب اليك  
 — ياغادة البقاع ... ياغادة البقاع لا تستفدي صبري ... فاية امرأة تقهر  
 وقعب بنفسها مثاك ... وانما كان سعي واجتهادي في ادراك الثروة واجباه لغريك  
 عواطف الحب والحنان في قلبك نحوى

ي : الا انظري الى ما حولك وحولي تجدي الناس يهابوني وبغضوني واكبرهم قدراً  
 مذعن لي متقاداً والكل يخافوني ويرجوني لان في وسعي ان ارضع عدة معاهد تجارية  
 واخرب هذه المدينة ان شئت وكذلك فاني ان اردت التبت القلبي والاضطراب في  
 بيروت وصرت أمراً فيها تامهاً لما لي في الجمهور من نافذ القول واسع الطوق  
 والطول ألم تعلني بما بلغت من شأ والعز وعظم الشأن ؟ ... أولم ياتك الصعاليك

والمعدومون الذين انعمت عليهم من كبوة اللذل والفاقة ؟ ... فيها ان اهل هذه المحاضرة  
 باجمعهم يتحدثون بمكارم اخلاقي وطيب اعراقي ويض ايادي وآثاري المحبذة المشكورة  
 ومساعي المبرورة .... ومع كل ذلك ترين من العار عليك ان تدعي زوجة مثلي  
 امرا يباه ويحمله الناس ويتمدحون بفعاله وخلال الشريفة وهو يمكن من الفضل  
 والنبل والكرامة ...

— انا اعرفك بجلاك حتى المعرفة فإني وما يقول الناس فيك ! . .  
 — أأنت بمنية عن اربك ومنصرفه عن غضبك فمتى اخلص وانجو من شدة  
 هذه الحال وعنف هذه المعاملة الجافية ؟ ...  
 — لن نراي كما يهواني ابد الدهر او منقضى العمر ! ...  
 — لاخير في الحياة على هذه الحال التي لا نطاق  
 — اني اشد كرها منك لهذه العيشة الشاقة  
 — لا لا الف مرة لا ياغادة البقاع فانا الذي يقاسي مضمر الحياة بالافقوي عليه  
 المجد أفا ترين ذلك حقاً ؟

— اني ليسرني ان اراك في بلواك وكلما ازددت انت شقاء ازددت انا هناء  
 ولا جرم ان مفتي لك وعذابك في حبي لا يزالان فرسي رهان  
 — عادة البقاع دعي هذا القول فانه يجعلي على القنوط واليأس ومن وراءه  
 الجنون فإني لي على الاقل مطيع امل . فلو كنت تدرين شدة ما اعاني في هواك  
 وان اراك معي كما اشتهي باذات الهيا الوسم الهبي ! ... انا مغرم بك ميم ولا اقدر ان  
 اصل اليك مع قربك مني كأن بيننا هاوية هائلة تمنعنا التواصل

وامر ما لاقيت في طرق الهوى قرب الحبيب وما اليه وصول  
 كاليس في الجفاء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول  
 ولكن لا بد ان سينقلب هياي وشوقي النامي على هذا المحاجر القائم امامي الذي  
 اراه - آه ! ... يتعاضم كل يوم ... وكان عليك ان تخافي سطوتي وسواد حذتي اذ  
 انك عالة بكوفي رجلاً لا يخرج من الاقدام على ارتكاب الجرائم والآثام طلباً  
 للرام

فرفعت راسها وهي ترعد من شدة الانفعال والاستشاطعة وقالت له : ماذا تعني  
 بهذا الكلام أأهلك ما برحت تهددني وتوعدي لاربع اليك ؟  
 — نعم نعم اني لمنذرك ومذكرك فان غضبك علي لاخف من بغضك لي فاهلي

الي انا زوجك وسيدك ... ولي عليك سلطة وقدره وكونك زوجي يلزمك ان تقومي بمحي ما يجب لي عليك ...

ويمكن لي بل يعل ابغاً ان اغضبك اذا حاولت الاصرار على الابهاء والامتناع ولا اقل من ان اسومك العنف والقوة فلا تلجيني الى ما لا احب ان انجسبه من الغلظة في المعاملة باعادة البقاع وطالما كنت اراك وارنو اليك لابس الثياب الفاخرة آونة المسرات والولائم وعلى محياك الموضح حسن امي من غرة الفجر والصباح حالة كونك غادة في ميعه الصورة والنماء وكنت بين ذلك اهم بك فاهم ان اغضبك فاحجم عنك نكرماً ... فلا تستندي بقية صبري فقد ضاق صدري من استمرار اهانتك لي وامتناعك علي فحمتني مالم يحمله بشر من الاعنات والافتئات والضرر وباليات بعد الشفا بقا »

لاجلك سعي واجتهادي وشغوتي وباليات هذا كله فيك ينفع ولولم اكن والها بك هائماً ما صبرت على ما صبرت وحملت منك ما حملت ولكن لا غرو فانتر ربة الجبال مالكة ألباب الرجال ! ... فاني وانا المفرم بجبالك وانت معي والى غوري تاتقة ... واجد الجميع يهبون بمحاسنك وبقدمونك في كل محفل على سائر المحسان ... فكم من رجل يقبطني بك وآخر يحدني عليك « ولست منك ولا قلامه ظفرا » اما انا المعبوط والمحدود عليك بين الناس اوقات الدهوات وساعات الجملوات فاني اذا نفضت تلك الاوقات واللوبلات عدت بك على العربة الى القصر منقبض الصدر وكثيراً ما شعرت بتصعد زفراتك وضربات قلبك الدالة على حسرانك واستندقت ربك العطرة فتسمرت اشواقك وكما اذا بلغنا المنزل تترق بغيه باردة ... وبسي احدنا عن الآخر بمعزل ... هذا واني زوجك واميرك ! ...

ولما ان قضى مثلك نفس الصعداء ودنا منها واخذ يدها وكانت كأنها قطعة ثلج وقال لها مثلاً متصاغراً : ياغادة البقاع ألا تسامحي ؟ ...

— كلاً ثم كلاً —

— احذري ان تلجيني الى الغضب واخذك بالقوة والرغم ! ... ودنا اليها

— ان حياتي حكم مشيتك فافعل ما بدا لك ...

— اريد حبك لا اريد حباتك ! ...

— انت تعلم ان حيي لعمرك فلست اهواك

— لله استمر ما انفس جدك ... واخذ يدها وضها اليه بشدة حتى صارت

كصفورة بين يدي بازي وثار الدم في راسه وفار غصبه عليها وكاد ان يطش بها  
يده أنه تماسك بعض الشيء فقال لها : ها انا قادر ان اجعلك امرأة حقيقية رضية  
ام لم ترضي ؟ ... انك لا تستطيعين المانعة والغفلت من يدي القوية ... فلا  
تزيدني لقد طمخ الكهل ! ... اخشي باسي ! ...

— لا اخافك ولا اخشاك بل لا ازال اعاذك واهراً بك ! ...

ولم تكن تحاول الدفاع بقومها لمعرفتها انها غير قادرة على دفعه عنها ولكنها  
ظلمت اليه نظرة الكاراة المحاقدة اذ لو دافعتها لم تأمن سطوته عليها في فورة غضبه  
فيكون دفاعها سبباً لهلوع اربه . فلما رأى في وجهها الكره له سكن عن حديثه ولأن  
بعد شدته فتركها واشفى عنها فوقعت على المتعدي فحبا امامها وجعل راسه بين يديه  
وبكى بعد ان تنهد وكأنه انسد

ابكي اشتياقاً اليها وهي قاتلتني يا من رأى قاتلاً بيك مقتولاً

ثم ثمالك ان قال : عفواً عفواً باغادة البقاع ! اراني مجنوناً بهربك فلا ادري  
ما اصنع — رُحماك ياربي ماذا كان فرط مني ؟ فلو لم اتيت في الامر لكنت اقللت  
باب قلبك عليّ بقية العمر اما وقد اجمعت واقصرت عن اغصابك واغضابك فلي  
فيك مطمع رجاء سامحني ! ... سامحني ! ... اني لم انلك باذى ! ...

اما هي فلبت ساكنة ناظرة اليه فاستم كلامه : اما كفى ما قد فاسدت لاجلك  
باغادة البقاع ؟ او ما تجعلين لموجدتك عليّ حذاً ؟ ها انا مترلم على قدميك اسألك  
الصبر ... ارثي لحالي وارثني لي واجري كسري واغني اجري وخفي عذابي وشغوتي  
بنظرة لطف منك تنسني من كبوتي ... وادكري المك تذلين رجلاً يجهل جميع  
الناس ... ويطأ طأاً لك كل راس ... تحنن من امرء ما طلب العز والجماء الا في  
سبيل حبك ... فاذا تريدن ان احمل من الذل فوق ما حملت ... ماذا تقصدين —  
ماذا تظهرين ؟ ...

فانت التي لو شئت اشدت عشتي وانت التي ان شئت انعت باليا

— يمكن لك ان تدع كل هذا الذلل ... لانه لا يؤثر في شيئاً على الاطلاق !

— اني لا ازال احاول امالة فؤادك اليّ ترفيقاً او غميقاً ! ...

— وقد أنقضت راسها اليه : يحملك انك تمزق قلبي ولكن مع تمزيق حياتي !

— اليس من سبيل الى استرضائك ؟

— لا — لا ! ...

فاطرق قليلاً ثم قال : من يعلم ما سيكون  
 تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ويحدث من بعد الامور لمور  
 وتجري الليالي باجاع وفرقة وتطلع فيها النجم وتغور  
 فاشارت الى عدم امكان التراضي واحسبها قالت  
 بين صدق النهر وكذب الاماني سهرت اعين ونامت عيون  
 فالى م العنسا وحى م نشى في امور تكون اولا تكون  
 ففنى كلامه بان قال : ماذا يلزم من الفداء والولاء بل من الاكرام لا فوز برضاك  
 — لا ارى شيئاً ممكناً ! ...

فسكت قليلاً ثم قال خائفاً من يعلم ؟ ... ربما ياتي يوم تجديني فيه عظيماً  
 شديد الحب والدم حتى تلج الشفة فؤادك  
 اما في فلم تجبه وقد بذاته عنها فهم ان يخرج من الفرفة وصلحها قائلاً : فليدم  
 حياتنا كما تشاؤون واني وان كنت زوجك حكماً لا حقيقة فينفي ان تعلي اني لا احمل  
 ابداً ان تبقي متصلة بذلك الرجل الذي ما برح عندك عزيزاً وعليك كرمياً ...  
 فلقد خنوت عنه ذات مرة واغضبت على المحافة الغضاضة بي ... ولست اقدر ان  
 احوّل قلبك عه لانك تحببه ... ولكن اعلي انه اذا جسر هذا الشاب على  
 المظر اليك فقله قتله الكلب ! ...



وخرج من الفرفة وقد كملت معدّات الوليمة في القصر تلك الليلة وكانت الزينة  
 رائقة شائعة وكثرت رقاع الدعوة في المدينة وخارجها وقبيل الغروب لبس فريد  
 ثياب الصبغة الفاخرة وجعل يتفقد ما اعده المخدم من اسباب الاكرام للمدعوين فوجد  
 كل شيء على تمام الانتظام وغاية التأني والانتقان  
 وبعد العشي تواردت العربات الى فناء القصر حاملة السادة والسيدات وارباب  
 الحكومة وقناصل الدول واعيان الناس وادباءهم حتى اغضمت القاعة بمجدهم وكانت  
 مزدانة احسن ازديان وكثرت الانوار حتى صبرت الليل كالنهار وكان فريد رب  
 القصر ذا منظر يهيج بظهر من ضروب الرقة واللطف والكماسة والظرف ما يغبط  
 عليه ويمجد وكانت غادة القناع ربة المنزل في مظهر العز والجماء لابساً انحر ثيابها  
 واخذت يتلقى المدعوين بنهاية الانياس وطلاقة الوجه والترحيب وكان يحيا الغادة



بترفرق منه ماء الحياء والبهاء والبركة تدويه كمدة الكربة التي زادتها غولاً في  
جسمها وذبولاً في وجنتها بيد أن ذلك لم يجلّ عن زيادة في حسناتها الخلفي ففاقت  
سائر المحاسن صباحة وملاحة وكان فريد يرنو إليها والوجد مل . فؤاده كأنه اسم تحرقه  
أو نار تحرقه . ثم وقع بصره على رجل بين المحاضرين طويل القامة قوي البنية ضخم الجسم  
ينفر منه القلب وتنبو عنه العين تلوح عليه رداءة الشروكان هذا الرجل الروسة  
فانبرى من بين المحاضرين وتقدم الى فريد منتهزاً فرصة خفة الارزدحام حوله وقال  
خافت الصوت : اريد ان أكلك

فتجبهه وقال : انك لم تحسن اختيار الوقت الموافق . . . هلاً أرجأت  
ذلك الى الغد . . . او بعد الغد مثلاً ؟

— بعسر عليّ الاجتماع بك لان كثرة المواعيل السياسية تستغرق معظم أوقاتك  
خلا انة يمكننا الآن ان نفرد في احدى الغرف . . . او نذهب الى الحديقة وهناك  
نتكلم على خلوق وعزلة من الناس

وكان فريد حائراً لا يدري ما يجري

فقال له الروسة بجفاء لا بد من ذلك ! فيلزمك ان تطيع  
فاكدة لون فريد وامتنع ونقبضت انامله لما بدا من لهجة الروسة ما شغ  
عن عدم تليق فسيته فريد الى مكان منفرد

قال الروسة مظاهراً بالادب باخواجه انت تعلم انك شريكى وبنبني ان تجري حساب  
الشركة ليعلم كل منا حاله وان كنت أنكرت عليّ اختيارى هذا الوقت لمخاطبتك  
لانك مشاغل بوليمة عظيمة فلذلك سبب لا اخفيه عنك

— اني لا ارى لذلك سبباً . . . فقد خطر على بالي ان في الامر دخيلة

— اجل اجد لذلك سبباً خاصاً اذ اني لمت منك منذ حين سياتاً او تناسباً  
للنقد التي ادبتك مع كونها بدء ثروتك وعلتها وانما المهم الواجب علينا ان ننظر  
فيه هو كونك ساكن الجاش في مجبوحة العيش لاه واله يحسن زوجك نقلاب  
في ظلال النعي بعد زوالها عنك وقد آن لي ان اوقظك وانبهك من غفلتك لنقدم  
على الاعمال ولم اقصد بتفدي اليك ان تكلمني في أبان فرحك وهنائك الا اذكارك  
انك ما زلت مقيداً غير حرّ مع كل ما بلغت من العز والجاه

فاطرق فريد وقال : الى اي حد تنادى معي في كلامك ايها الرجل ؟

— اني عازم ان اصف الحال ثاني في كل امر فارغني سمعك برومته . ان الثروة

التي وقفنا عليها سعيًا واجتهادًا لا نخوزها كلها الا يوم لا يبقى من الورثة غير امرأتك وقد كنا نبقي على بولس البقاعي ليعيننا على اتمام تزوجك بابتئاما وقد تم المرام فلا ارى بقاء هذا الرجل الا محبطًا لمساعدتنا... هلاً تعلم ؟

— انت تختار موته على حياته ؟

— قد قلت لك ذلك مجلاء وبيان ان التركة ما زالت في يد مراد بك ولا تزال كذلك الى حين واذ انتفتت في منة غير قصيرة مالا جزيلًا اسلفتك اياه فمضى اثنتان ان ليس من وارث الا زوجتك واباها او بالحري «وهنا ابدى ابتسامه خنر ودهاء» متى امكنا اهلاك سائر الورثة ان ظهروا اضحي بولس البقاعي الوارث الفرد المطلق . ولكن لنفرض ان الشيخ البقاعي لم تمنعه شئ احترازا ومراقبتنا الاحوال من ان يدري وجه الحيلة ويطلع على جلبه الامر الذي دبرناه انما يجد عشرين سببًا لجرمنا من التركة ويجعلنا من الخاسرين . فلذا اقول لك مجلاء معيذًا عليك قولي من قبل وهو «لا بد من امانه هذا الانسان»

اما فريد فكان عابسًا متكلمًا بامواج الحيرة لا يرفع راسًا ولا يجر جوابًا هائمًا في مهامه الهيام بغادة البقاع...

ثم استأنف الروسة كلامه بان قال : اني بذلك مراعي مصحك وراغب في خبرك فاجابه فريد وصوته يتهدج : انك وهمت واخطأت الصواب فان قتل الرجل اثم فظيع... فلا وافقك على التعادي في الشر الى هذا الحد...

— هل تبصرت حق التبصر قبل ان تحبر هذا الجواب ؟

— نعم اني اجبتك عن رويته واستبصار

وحصل بينها فترة وسكون لتحالف في الراي وتغير في القلب واجاء نفس احدها الى نفس الآخر برموز من الوعيد والانذار على ان الروسة كان يدي سياه الوقار وثبات الجأش وعاد الحديث فقال : ربما يحدث امور يصير فيها بولس البقاعي الى حال تمكنه من تعريضنا للخطر المستمر فينبغي لنا ان نتغدى به قبل ان يتعشى بنا وما عدا ذلك فاني اسالك ضمانًا بحسن سلوكك معي وبرهانًا على صحة ولانك لي

— انت لم تكلفني قبل الان الا التفيد بوجد شريف

— اني ارى في مهلك الشيخ البقاعي عهدًا اشد وثاقة من سائر اليهود وليس كمنه رابطًا بيننا . اما وعدك اياي باحضرة الامير فاني ما زلت اذكرك واذكرك به فانجز ما وعدت شان المحر الكرم

— لست افقه عنك كلامك

— اني لا عجب من تجاهلك مع حسن ايضاحي لك العبارة — اذكر يوم حذرتك وانذرتك ان يغلب على قلبك هوى عادة البقاع الساحرة العيين ذات المجال الرائع والقوام المباس — فما كنت الا ان قلت لي: ساخرًا مني : ولقد كنت احسبك اجلّ وادلى من ذلك . اما اليوم وقد علمت امراتك فلا تنكر ذلك عليّ وترميني بالخرق فما انت ذا قد شغنت بها حبا وكأني ارى آية غرامك مرسومة على جبينك . . .

وانت تعلم حتى العلم ما نحن اليه ساعون وعليه تازمون فلا سبيل فيه الى الحب والشفق وإنما كان ذلك منك ضعف عزيزة بل تقرباً شديداً بالنفس بل محض خسة وخيانة مستغفظة ! . . . ومن ثم فاني صممت على اهلاك البقاعي وجزمت ان تتولى انت قتله بيدك وبعدئذ اكون على ثقة منك ! . . .

— لا تعكّل عليّ في انعام هذا النعل الفظيع

— تذكر ايها الامير انك لا تملك قياد نفسك وانت غير مختار فيما تفعل وكناك آلي عاملتك حتى اليوم ينتهي اللطف والرفق حالة كولني وليّ امرك المساط على ارادتك ولو رحمت العهد وانجرت الوعد بجماميك الكلف بحب عادة البقاع لكنيت مؤثمة هذا الكلام المزوج بشيء من حرارة المواجهة والملام . وعلى الجملة فما نذا أمرك فائتبر وأطع ! . . .

نفض فريد اليه رأسه وانهم ابتسامة الآسف اللاهف وقال له : دع تكليفك فلست وافنك

— لقد كنت اتوقع منك ذلك ولكن اعلم اني قادر ان اقتلك وان موتك على كونه انتقاماً لي واتصافاً بك لا اراه بشيء غلبي . ومع ذلك فاسمع احذثك بما يكون : اذا جاء القدر وحان مثل هذه الساعة ولم اتحقق موت بولس البقاعي فني اليوم التالي عند سحوب اول فرصة يتطلق اثنان من رجالي — ولا حاجة الى بيان انهم يطعمون او امرى ولو أُجنى الى الموت — الى ادارة الشرطة ويجبرن المدعي العمومي بكه امرك وجليته

— اذا انت قدرت لي كنت قادراً بنفسك ايضاً لان انكشاف الامر يضر بنا جميعاً — كلاً فاني ادفع ذيباً ومبروماً ونحوها من الاتباع فدعى عني وانا اكون قد برحت هذا اليلد فحذار حذار لان القرائن والبراهين التي تقام عليك في المحاكمة لا ترد ولا تندحض فان لم يحكم بموتك قصاصاً فلا اقل من ان نوضع في الكورك المؤبد مجازاة لك على

ما جئت بذلك ... لاشك ان الافادات والايضاحات تكون وافية كافية لدى المستنطق سواء كانت بخصوص خطف غادة البقاع وتغيبها او بشأن زواجك المنكر او بمقتل ذلك السيد المجهت نسيب ... كل ذلك فعلات فظيمة ... وانت تدري ما يقول الناس وينقلون عنك مما يثلم شرفك ويكلم حرمته ...

وكان فريد يسمع هذه الكلمات القوارص كاني الوجه مرتعش الانامل فما تماسك ان قال له : لا تفعل ما قلت ...

— لا بد من ذلك ... او تظنني مخبولاً ؟ ...

— وماذا يعزب على اخبارك ادارة الشرطة فالمواخاة والعقوبة لا تنهى على مجرد السعاية والوشاية بل على الادلة والقرائن والبرهانات

— لا ينبغي لك ان تعلم من هذا الوجه فان الدلائل والبراهين بالغة حد اليقين لان ميروبا وذيقا يجبران عما كان عدا ان مراداً بك وتابعه حبيباً وغادة البقاع نفسها وغرم سيكتفون ستر الدخيلة وايضا فاني ادفع الى ادارة الشرطة بعض مکتوبات حاوية معلومات جمة مهمة في شأنك وتلك الادارة وان كانت الان لا تدري من ذلك شيئاً الا انها متى طالعت المهررات التي اسلمها اليها تقف على جلية الامر وينكشف لها الغطاء ويبرح المحفأ.

— المهررات ؟

— جبر المهررات التي تشير الى محالفتنا وموائمتنا ... رسائلك التي طلبت مني بوجها الدرام وعلى مواشها مسودات الاجوبة وعبارها كافية في البيان مغنية عن كل برهان ... والمهررات التي تدل على هبتي لك هذا القصر ورد املالك عليك ... وبالجملة يلزمك اذ ذاك ان تبين وتوضح اسباب ثروتك وصبورتك موسراً غنياً بعد ان اصبحت فقيراً معدماً لا تملك شروى فقير ... ومثل هذه الامور لا يبنى معها مجال للريب فتربك في الجواب عنها لدى ارباب الحكومة وتغلب في تهور المحيرة والدهشة ...

ولست فريد سادراً وقد عظم عليه الامر ونوزعه الافكار ولم يجه له باب للتخلص من الريبة التي اوقعت فيها الروم فراع منه واشفق فقال : ليكن ما تريد نانا في حوزتك وطوح امرك لاني بعد ان بلغت اسنى درجات العز واتجاه لا امري ان امري الى اقصى دركات الذل والموان

— نعم ما ارنأيت — ويظهر لي ان قد ثاب اليك روعك

— ولكن لي اعتراض واحد يجاذب طرفي مصلحتي ومصلحتك معاً

— تكلم فإني منهية . ان ابحت في الامر

— في معلومك ان بولس البقاعي دون سواء كان أكبر واسطة للغالب على ارادة

احته عادة البقاع واعظم باعث لها على التسليم بعقد الزواج فاذا فقد بولس — قتلاً

فلا يبقى من سبيل الى منع عادة البقاع من طلب فسخ العقد الذي سلبت هويته ان

تكون لي زوجة وهي غير مختارة فمحيط مساعينا والقانون ينص على ذلك نصاً صريحاً

— نظرت من قل في اعتراضك فلا ينبغي ان نخشى شيئاً من هذا القليل

لان رجالي يهون عليهم بذل اوطاحهم دون كم هك الامور وم وحدهم قادرون ان

يقوموا الادلة والبراهين ضدك . اما عادة البقاع فلا تستطيع وحدها او مع اعدائها

ان تنالك بسوء ما زلت انا نصبرك وظهرك ولذلك فلا تحاول اسراً ما فضلاً

الك لو قبلت نصيحتي وعقدت مع امرأتك صكاً ناطقاً بحصل ما نملك ان رغبتي او هبة

بعد وفاة احد العاقدين

— قد عقدنا صكاً من مثل هذا بعد الاقتران ببضعة اشهر على يد والدها

اذ اراد ان يهب لي هذا الحق تحريراً لرضائي ومسررتي

— اذا ان الامور مؤانئة لنا فيلزمك ان تكون لزوجتك بالمرصاد لتعلم ما

ربما يبدو من دلائل خيانتها فاستبين عزماً غير متباطئ . وعندها . . . ايها

الامير . . . يمكنك ان تنتفع بالصك الذي بيدك وتستولي على ملل امرأتك ! . . .

فغار غضب فريد وكاد يصيح لولا انه تجلد للامر وقال : بالك من شقي شرير

اياك اباك ان نمس يدك ذيل قبائما ( قنطارها ) فإني انتك بك لانهالة ! . . .

— خفض عليك يا صاح وسر روعك حتى لا يحس بامرنا من هو قريب

منا . . . فاما اشهر مشورة اخرى قبل اقتراننا وهي وسيلة دانية التقطوف سهلة المأخذ

فمعني ان آتي فعلاً كالذي المصت اليه . اعلم اني لست اجهل ان عادة البقاع

لم نصر زوجة لك الا ظاهراً وقد باتت بليلة حرّة ولم تزل بكرّاً واني مخفي

ذلك لا بداخلي فيه ريب وانت ما برحت تظنين لها وتتلطف كاحسن زوج مع

زوجو فلذا لا بد لك ان تجعلها لك يا حضره الامير هرماً حقيقيه لا مجازيه . . . واني

اقول قول مكائف بالامر ايها اذا ذاق حلاوة البتوة انصرف عن ان تريد بك

شراً واخفت الكمد واظهرت الجاد تفادياً من ان تلقى العار بولدها منك ! . . .

وكان هذان المتحاوران على انفراد كل ذلك الوقت حتى اتفق ان بعض

المدعوين اخذ بدنو منها فانطلقا الى مائتي القصر وكان فريد آسفًا حزينًا والروسة تبسم خائفًا فمس اليه : هاآذا اودعك يا صاح بهو جر الكلام « اعلم انه لاد من اهلاك بولس البقاعي غدا » وقبل ان يجاوب فريد فصل عنه الروسة وانسل من الزحام وخرج وابته فريد مفتيًا وجعل ينظر الى قاعات القصر الفسيحة المجاورة المزدانة احسن زينة واول ما وقع بصره على غادة البقاع ... ابنة من قضى عليه الروسة بالموت ثم اجال طرفة في الحفل فرأى المدعوين من سادات وسيدات راغلين في انحر الحلال متبرجين بافخر الحلى وكانت مقلناه كأنها تنطق بالياس والقنوط لشدة غمه وكرهه . نعم انه صاحب ذلك القصر المعبود الشاهق وسيد المنزل ورب الدعوة ويجلي سر الحفل ويهجه الحشد بيد أن تراعي امره مع الروسة الى الوبال وامتناع الحرية قد نقص عليه فرجه وكدر صنو هناك لانه كان يعلم علم خبير باحوال معاهده واطواره وانبعائه في الغدر والكر والظلم والشر لا يخاف معرفة ولا يخرج من اثم ولا يصرفه شيء عن طلب مرامه وادراك بغيته وبلوغ اربه . قضى باهلاك بولس البقاعي فلا سبيل الى اقضاه واستحيائه ! ... وان بقي حيا ضربت الذلة والتهر على فريد وربما لاقى شر الملكة والردى ... او السجن المؤبد ... ولعظم ما اثرت هذه المواجه والمهوم في نفس فريد حتى ضعفت قواه وقعد على احد المتكآت وغاص في لجة الوسواس برهة ... ولم يكن يبدى ولا يعيد شان من وعكته المحي فاضرعه ثم رفع راسه كمن هب من نومه متعارًا وقال في نفسه : لو كنت على يقين من ان غادة البقاع تصافيني بضعة ايام لا قدمت غير هباب على اي عمل ... اللهم !! اللهم !! ثم ارتكس ثانية في افكاره ومواجهه بدفعه شك وتلقاه ريب . وكان يهز راسه المد المرق ثم اطرق قليلاً وبدت عليه امارات انفراج الكربة ... وقال في نفسه هكذا يكون ! ... وبما ان الحال قد اقتضى موت بولس البقاعي غداً فسانظر في الامر كما هدتي الروية ... وانقلب الى محفل المدعوين حيث كانوا يتقاسمون اسباب المسرات ما بينهم وتاجي نفسه : اليوم خمر ! ... وغداً امر ! ...



وكان أن بولس البقاعي رغب عن السكنى مع ابنة غادة البقاع في قصر الامير فريد داخل المدينة الى الإقامة بضاحتها حباً بالعزلة والانفراد شان من خولط سيف

عظه لعدة ما تنال به من الانعمالات وتعاوره من المحن فانخذ له صهره مكاناً فوق اكمة في جهة اطلالين وابتنى لسكناه قصراً صغيراً من حوله حديقة حوت كل ما شاق وراقى من الزهر فاقام الشيخ ثم فرحاً مسروراً وجعل عنده خادمة امينة لما سابقة عهد بمعرفته تدعى مرثا فلزنته وواظبت على خدمته بحسن رعاية ولطف معاملة وشفقة مشقة من فؤاد والده وكان هو كانه ولد يهب من رقاده بكرة ويسرح طرفه في تلك الرياض مستنشقا طبل النسيم التي تنفخ السقيم ثم ياخذ شبكة الصيد ويذهب الى البحر فيركب زورقاً له ويسير عليه في اليم مصطاداً السمك وقيل الظهر يرجع الى المنزل لتناول الطعام واخذ فسطه من الراحة ثم يخرج معاوداً عمله الصيد ولا يعود من مصطاده الا بعد غروب الشمس وكان يجد في العزلة اهنأ عيشة لتمكنه من ادراك بغيته وهو الصيد اذ كان ولعه به آخذاً في الازدياد يوماً بعد آخر وكانت ابنته غادة البقاع تزوره تحبها « اي بين وقت وآخر » وكان يجوار حديقة ذلك المنزل المعتزل اثنان من رجال الروسة قائمان على خفائره لا يبرحان ولم يكن احد عالماً بامرهما وكان الشيخ يحسب نفسه مع ابنته من اسعد الناس جداً وارغد خلق الله عيشاً ! ...

وحدث أنه غداة اليوم ثاني يوم اقامة الولايم بقصر الامير فريد بالمدينة استيقظ الشيخ من نومه وفتح نافذة مرقده ونظر الى الجو فوجده موافقاً للصيد فحك احدى يديه بالاخري وهو يتسار الى ذلك ثم لبس ثيابه ودعا بمخادته المار ذكرها وامرها ان تاتيه بما عيباً من المأكول فجاءته على المائدة بقدرة من لحم « وهي القطعة المطبوخة الباردة » فتناولها ملوحتها وشرب كلاً من الخمر المعتنة وقد كانت احب شيء اليه — وعندك منها حدة دنان في اقنية القصر سباً لها صهره وخبأها اذ لم يدع شيئاً من لوازم معيشته وراحته ومناخه الا ادخره له في ذلك المنزل — وخرج من فوره الى جهة البحر حاملاً شبكته ووجهه يتהל فرحاً ولبت هناك الى نحو منتصف النهار وعاد معه مقدار عظيم من اجود السمك فدعا الخادمة مرثا وامرها ان تاخذ ذلك هدية لابنته بعد الظهر فاثلة لما أنه من صيد ايها واسرع في تناول الطعام وشرب الثوبة وعاد الى مصطاده جذلاً مسروراً لان الجو لما يزل موافقاً على انه عصر النهار هب اعصار « زوبعة » في البحر لم تطل مدته

اما الخادمة مرثا فانطلقت الى المدينة وعادت منها بعد العصر على العربة مع غادة البقاع اذ ان هذا ارادت الخروج ترويحاً للنفس من عناء الولايم التي كانت امس ذلك اليوم قصد التزهة بقصر والدها لتسرح بصهرها في ما حوله من الرياض

والأراضي وتجلو صدأ قلبها بروية ايها من قد طالما قاست لاجله ضروب العذاب  
 وأنواع الاكثاب ولترج خاطرها وناظرها من مشاهدة وجه فريد الذي كان يثوفا  
 ان تراه كل لحظة . ولكن لم يسعدنا الحظ بلقيا والدما في منزله فطقت تدور في  
 الحديقة وتجمع من ازهارها ما احبت حتى اجمع في يدها باقة انيقة وانتظرت عودة  
 ايها حتى غابت الشمس وكاد الظلام ان يسدل ستوره فقلقت غادة البقاع وقالت  
 مرثا : ان سيدي قد ابطأ في المحضور خلافا لعادته فازداد قلبي الغادة وسالها : هل  
 من عادته ان يعلى في العودة الى مثل هذه الساعة ؟ فقالت : لا بل من عادته ان  
 يثوب بعيد الغروب احترازاً من رطوبة الليل وكأني بآت فلا ينبغي ان تقلقي  
 ياسيدي فهو والله الحمد بالغ الصحة وكان بداءة بدء ياتي من الصيد مبتل الثياب  
 بالماء كالطفل فأبدره بيدلها وكان لذلك لا يخلو عن الزكام الشديد الذي يعوقه  
 عن الخروج للصيد اما الآن فصار يقي الليل ويراعي صحته اشد مراعاة لم تكن من  
 قبل وأنا ما زلت اناصحته في تجنب الاسباب المضيق به ومن ثم فكوني آمنة مطمئنة من  
 جهته وهو لا يلبث ان يحضر كما قلت لك . فسكن روع غادة البقاع منه وجاءت  
 الساعة الثانية من الليل ولم يأت اونها وكانت الليلة مضية لم يبد فيها القمر فقالت غادة  
 البقاع : لم يكن ابطاء ابي بلا داع موجب وقد عاروني القلق لان الزوبعة عند عصر  
 النهار كانت شديدة فربما اصابه مكروه فلا بد من المساعدة في طلبه والنظر في امره وانت  
 يارثا تعرفين مصطاده الذي يتشابه أكثر الاحيان فلهي تنطلق اليه

— نعم اني اعرف موضع صيده وأحببه لم يحول عنه وقد قصدته هناك مراراً بطعام  
 الظهر فوجدته حيث اعهد وكنت اكره منه هذه العادة فعدل عنها وصار يعود الى البيت  
 عند منتصف النهار لتناول الطعام

— فلنبادر الى لقياه يارثا

وهكذا صارتا معاً الى شاطئ البحر حيث كان البقاعي من عادته ان يباشر صيد  
 السمك ولما بلغنا الموضع وقفت مرثا وقالت لمولانها هنا — اوهناك كان سيدي يصطاد  
 وأشارت لها الى الموضع التي كان يلبث بها ثم جعلت تناديه باعلى صوحها وهي دائرة  
 حائرة ومن ورائها غادة البقاع تنادي ايضاً : يا ابنتي يا ابنتي ! ... اين انت ؟ ...  
 اين تكون ؟ ... ولم يطرق معهما سوى ردة الصدى وصوت تلاطم الموج لان الريح  
 اشدت هبوبها منذ غروب الشمس وهاجت البحر فتعاظم التيار ومع له دوي هائل فمشيت  
 المرأتان على الشاطئ وقد خفي قلب غادة البقاع خوفاً وإرتباكاً واخذتها رعدة شديدة



تصورها ان اباهما ذهب غرباً وهو بصطاد فتقاذته الامواج الى حيث لا يمكن الوصول اليه وطلقت تحمر وتنبفس الصعداء منادية رائعة صوته : آه يا ابني يا والد العزيز ! ... وكانت مرثا ماشية لها بالجملة معها عن ايها في ذلك الساحل ويهاها كذلك اذ بدا ضوء القمر من خصاصة النسيم فابصرت غادة البقاع على بعد بعض خطوات شبه زورق فاسرعت اليه ... داعية مرثا ان تحري خلفها واذا غمة بقارب قد قدفة التيار على الشط وبعضه ماشب في الرمل فصاحت مرثا من فوها واعوت قائلة : هذا زورق مولاي ... فارانا قد ألت بنا مصيبة ... اما غادة البقاع فكادت تخطفها العذبات وتحرقها الحشرات ثم مدت صوتها بالعويل ... ولكن لامعين ولا مبيت ... وما لبثت ان اسلقت على مرثا مضى عليها كأنها ميتة ... فطننت ينفع عليها الماء وتنبها وتستهيب روعها حتى افافت من غشيها ثم حانت منها النفاة فرأت على مسافة من الزورق رداء طفلته فاذا هو لوالدها ... والى جانبه بعض ادوات الصيد فايقت بفرق ايها ... فصاحت وناحت حتى ملأت تلك السواحي جواها وعادت على هذه الحال فصحبها مرثا الى حانوت قريب تستصرخان الرجال ولكن على غير طائل اذ لم يدرك لوالدها اثر ولم يوقف له على خبر ... واكثر التوازية الذين كانوا في تلك الجهة من الجولان باحثين عنه في عرض البحر فلم يلحقوا اثره فايقت ابته بهلاكه غرباً وان بعض الكهتان قد مزق جثته فذهبت شذر مذر ! ... لو ان الامواج دفعتها الى جون في بعض السواحل فلم يعرف مطرحها ... ففأضت عبرات غادة البقاع ووقعت على الارض وهما واعياء فالتبست الخادمة مرثا عربة وحملتها عليها الى قصر زوجها في المدينة وذلك نحو نصف الليل

ولما افافت وثاب اليها روعها رأت فريداً امامها وكانت مرثا قد اخبرته بما جرى فجعل يتباكى حزناً واسفاً على ذلك الشيخ المنفود ... وشارك امرأته في الاسى ولبس الحداد وطلب الملاحين وامرهم ان يبذلوا في البحث عن جثته في اكل جبهة من البحر وذاع الخبر في بيروت فتوارد الناس الى قصر الامير فريد يعزونه وزوجته على هذا المصاب وقام للتفديد ما تم مؤلم في القصر . اما الجنة فلم يضر لها على اثر ولا خبر طلقاً ولم تشك غادة البقاع بعد مزيد التفتيش ان حوتاً قد التقم اباهما وانما كان مرأى فريد زوجها يزيد كرمها وغمها لتذكرها شدة ما احتملت من الحن وقاية لحياة والدهما وان كل ذلك لم يغمر عنه شيئاً فذهب غرباً في الحج ! ...

وانشأ فريد يواسيها ويعزيها عن فقد ايها وما كان ذلك ليخفف احزانها ويملأها

بل لزيدما ويضعها حتى اذا مرَّ بضعة ايام والشمس على وشك الغروب قعدت عادة البقاع في نافذة غرفها وجلست تامل حالها ومصرها ورأت ان لم يبقَ .. مانع يدها ان تنظلم وتضكو الى من يصنها ... ولكن لم تدرك كيف ينهأ لها اثبات صلاتها عند نعلها ؟ ... اذ لا حجة لها ولا برهان فضلاً انها رأت نفسها غير مضطرة الى تعجيل الظلم وهي لم تنزل فتاة بكرًا لم تمس فاحرى بها ان تنأى في الامر « والثاني في الامور حكمة » وبينما تاجبها المديوم وتتوزعها الافكار دخل فريد وطلق بلطف لها في الكلام فتتفر منه فقال لها : ألا تريني شريكك في المحزن والاسى ؟ ... اما يرق قلبك فتعطفني اليّ بان ترمقني بنظرة الحب ؟ ... ودنا منها قليلاً فتباعدت عنه جفاء وقالت : لقد قطعت لسان شكواي في حياة والدي ! ... وسليت حربي وماكنت ارادتي منه بقاءه ! ... اما وقد زال المانع فلا شيء يحسني ويحسني ! ... ولا ارى ما يحول دون كشف الغطاء عما خلفي به من المكارة ! ... فاني ما زلت امنك ... واكره ان اراك بعيني ... وان ذكرتك ثارت شجوني ... فلا شيء يحول قلبي الى هواك وهو متعلق بسواك فلا بد من ادراك المرام فدع التلهوق « والنفر مغرور وان تلهوقا » ! ...

— جبر ان قرائن الحال تدل ان اباك ذهب غرقاً ... ولكن النومة ما برحوت مجدين في تطلب آثاره ولما يظهر له اثر لا في البحر ولا في سواحلها ولهذا فمن يعلم ما عسى ان يكون او يظهر آخر الامر فقد يحتمل ان يوجد ابوك حياً ... واذا تخففت حياته ... وكنت انت قد جاورت بعدواني خروجاً عن الحد الذي لزمته حتى الآن ... لا يؤمن عليه شر الملكة بسبك ... فضلاً ان قولك في لا يمار جانب السمع ! ... ولا يصدق ! ... وكل الادلة الظاهرة تخالف دعواك فاوّل لك ثم اولى ان تلزمي السكوت والسكون ! ...

— نعم ان قرائن الحال مخالفة لما سادعي وليس لديّ براهين وجميع توّيد دعواي . اما الامل في ان يوجد اليّ — فهو اقصى ما اتمنى — ولكي لسوء النبت قاطعة من وجوده فما قد مرَّ اسبوع ولم يرد عنه خبر ولم يظهر له اثر في جميع الساحل والشواطئ ولا غيرها فما بقي لي غير البكاء والتمني وليس الحداد طاب سكت فسكوني يتوقف على تعجيد شرطه شرطه عليك مقدماً وهو ان ادم لك زوجة اسمية واسالك ضامناً بذلك ان ترضى ببقاء مرثا الآمين خادمة ابي المسكين في هذا المنزل بل في غرفتي لتقيني وتسلميني في مصيبي وتعيني على احزاني ! ...

وكان فريد مصفياً يسمع هذا القضاء او الاحكام في الامر كأنه صاعقة نازلة على  
 فؤاده. المذهب بنار الغرام ذات الضرم . . . وبدأ له فجعل يرفق بها متناهما في  
 ضروب الملاينة والملاطفة مترامياً الى المهادنة والمسالمة رجاء أنها تريح له وتلين  
 فتلقى اقتراحها الشرط المذكور بقبول حسن وخرج من الغرفة صاغراً فاطر العزم  
 بعد ان كان شديد من الدخول بقصد ان يتم امره بـ الروسية سواء رضيت ام  
 لم ترض على ان حبه اياها كغناها شرّ صولته المنكرة . ومنذ ذاك اليوم لزمت مرثا  
 غرفة الغادة لا تتأرقها طرفة عين وبات فريد يذوق الطان الجوى والوجد مكابداً  
 جهده المشقة معاورة الاشجان وتجدد عليه شدة الهيام من اخذت بجماع له بادية في  
 جمال رافع فنان حتى كأنها من تحت ذلك السواد كوكب في غيبوب وبالفؤاد  
 من ذات جيد بُريك الظهي ملتفتاً وذات قد بُريك المخطط مياسا  
 ترمي القلوب بهم ثم تنزهه بامن رأى آسياً للنفض جساسا  
 يياضها في سواد من غلاظها كالهدر في ليل دجن يهر الناسا

وبما عادة البقاع قاعدة قائمة نوح على ايها اعتقاد انه صار في عداد الموتى كان هو  
 في احد اديرة لبنان متوارياً عن سائر الناس والذهب في ذلك ان فريداً لما لم يجد  
 بداً من تنفيذ امر الروسية الصادر له ليلة الولاية بقتل الشيخ بولس البقاعي فكر في  
 وجه الحملة للتخلص من شر زميله لان ضميره ابي مطاوعه على اوراق دم اسان  
 بريء لم يمس اليه قط بل بالبحري كان يحبه محبة عظيمة فبهم من مرقده في غد ذلك  
 اليوم قلقاً مضطرباً وقصد الروسية في منزله الخاص وقال له : اني امتثالاً لامرك  
 قد عزمنا على ان اقتل بولس البقاعي ولكني احتاج في اتمام ذلك الى رجلين من رجالك  
 ولما اتولى قتله بنفسه على هذه الصورة : بما ان الرجل من عادته يخرج كل يوم لصيد  
 السمك فارى ان اقصده عصر نهار غد واصحبه في زورق آكون قد هبته ومضى  
 ابعدت عن النط انتك به واربط برجله حجراً كبيراً والقبه في اليم فيذهب الرجلان  
 اللذان معي بزورق البقاعي ويقذفانه على الشاطئ ويطرحان الى جانبه رداء  
 الرجل حتى اذا جاءت ابنته غادة البقاع تطلبه باحثة عنه تجد ذلك فلا تفك انه  
 هلك غرقاً بقضاء الله لم تمسه يد بشر . . . فاستصوب الروسية راي فريد وارصد  
 ذيقاً ومبروياً لحذمه فانطلق فريد على قارب لاتمام الامر فالتقى البقاعي بصطاد سمكاً  
 فسارع اليه ولما رآه مقبلاً عليه بشّ بـ وحماء فقال له فريد : لقد جئتك الآن  
 على غير ميعاد مدفوناً بما بلغني من ان اعدائك القديما لم يصبروا ان يروك متفلياً في

هذه الحال من السراء والخراء ... فنامروا بك ... وفي عزمهم ان يفتالوك ...  
وقد اعدوا لهذا القصد رجلاً أشراً يتكون بك على حين غفلة منك ... وحيث اتي  
اتخذت التدابير اللازمة لتتأكد منهم فلمست آمن عليك كيدهم ومكرهم ... ولهذا فلا بد  
لك من ان تتواري عن العيان شطراً من الزمن منقطعاً عن الناس في مكان عزلة  
لا يدري بك احد مبدلاً اسمك وسمتك وزيتك الى ان يتهبأ لي اهلاك عدوك فارسل  
في اعلامك وطلبك من حيث تكون مقيماً متوارياً وارى انه يمكن لنا قطع مسافة في  
الجبر على هذا الزورق طلباً للنجاة والفرار

فلما مع الشيخ هذا الكلام قال له بارك الله فيك من صهر محب برّ صادق حرّ  
فلقد عيّمت بانقاذ ابنتي بالامس من مكابد الاشرار وما انت ذا معني بانقاذي من  
عدوانهم وسطوهم عليّ فياجراك الله كل خير ووفاك من لواحق المكر والفساد ...  
وكانت مدارك الشيخ قد وهمت وضعت وصار كالطفل يتقاد ويذهب بغير مختار  
لتحلق رداءه وغادر زورقه وركب مع فريد زورقه فصار بها حتى اذا توسطت اليمّ وابعدا  
عن الشاطئ. اقبل ذهب ومبروا على ذلك الزورق المتعوك قرب الساحل فاخرجاه  
الى البر وجعلوا الرداء بجانبه كما رآته غادة البهاج عند البحث عن ايها . اما فريد  
فكان ينظر الى الشيخ نظر الأسف الحزين قائلاً في نفسه لا يكون ما امر به الروسه فاني  
لا اقبله ابداً ... ولما اخبره عن العميون ... ومال بالسفينة الى جهة جسر المعاملتين وما  
زال حتى ادناها من البر وخرج بحميه قاصداً احد الاديرة على قمة جبل هناك ولم  
يكن البقاعي ليعرف من جراه تبدل زيه وهيته فضلاً انه كان معتزلاً بمخالطة الناس  
وايضاً فان فريداً قد بدل زيه ولم يكن له سابق معرفة برئيس الدير فاستأذن عليه  
فجاءه الى مكان الانتظار فلم عليه بالتراسة فرحب بها كليهما واكرم منواهما حسب عادة  
روساء تلك الدير . ثم طلق فريد يحدث الرئيس بان هذا الشيخ قد اصيب  
برزء جسيم أليم حمله على الزهد في الدنيا وحجب اليه الانفراد في الدير منقطعاً الى عبادة  
الله ونفقه مقداراً من الدراهم هبة للدير واندفع يقص عليه من خبر الشيخ قصة ملققة  
محصلها : انه من تجار بغداد كان ذا ثروة وافرة في الغاية لمحنة الدهر فرزأه بذهاب  
جانب من خياه وفقد امرأته وكان له ابنة فتاة فاصيب بنفدها ايضاً فحج الارض المقدسة  
زائراً متويعاً واذا كان يتهبأ سابق مواصلة تجارية قصد له ليرشده الى اخيار دير يقيم به  
زاهداً بقية ايامه وهو لشدة ما نابه من اللبالل محجب الانفراد ولا يشاء مخالطة الناس  
واقصى ما يروم ان يلزم تمام العزلة والمخلوة . وكان الشيخ يبرز اليه هامة ابداناً بالمواظفة

والصديق فامر له الرئيس بفرقة حسنة الفرش واصدم على قدر الامكان واقبل عليه  
بوثة ويسليو وسأل عن اسمه فاجابه فريد : يدعى يوحنا الغدادي وكانت ما  
ادعى له عنه عشرة آلاف قرش في نظير اقامته بالدير مدة السنة الاولى وادعى ايضا  
خمسة آلاف قرش لاعداد ما يلزمه من الكسوة والفرش فسر الرئيس بذلك وامران يكون  
طعام الشيخ مخصوصا ورتب له خادما خاصا وهكذا اصرف فريد بعد غروب  
الشمس محمدا في السير الى الشاطئ. فوجد زورقة فسار به مسرعا وكانت الريح موافقة  
له فبلغ قصره في هذه المدينة قبل رجوع غادة البقاع وعليه لوائح الكتابة على ان  
اسأكه عن القدر بذلك الشيخ البار البري. قد خفف عنه مؤونة تأنيب الضمير ونفى  
عنه لوم الروسة الظالم ومواخذته فبات في مأمن من شره لاعتقاده ان البقاعي بات  
أكلا للاملاك والمحتان في جوف الجبة



كان الروسة منهكاً في النفي مهالكا في استنباط الحمل ونصب الحبال الشيطانية  
اكتساباً للصحت من المال الذي اعتاده ودأب فيه منذ صغره وشب عليه وشاب  
وبس الاكتساب . وما نسي له قبل زواجه انه تعرف بامرأة اسمها لؤلؤة بارعة الجمال  
حسنة القد في اعتدال ولها بعل ذو مال جزيل وكان الروسة قبل ايفاله في المنكرات  
وابعاؤه في المعاصي بهي المظر حسن العشرة لطيف الاخذ فاضل المرأة . . . فطاعته  
وما كان الا ان مات عنها زوجها فخلت عليها الروسة طمعا بالمال وحاز بذلك ما ورثت  
منه فاقام معها مدة قصيرة في عيش هنيئ ثم نهض فيه عرق الخبث والفساد والخسة  
والدناءة فاخذ نار محبته لها واحست في منه بالنور ففلقت ثم درت انه يأتمر ويدبر  
المكاييد طمعا في الصحت واستثناراً به فتمتته اشد الموت وتبين هو منها علامات التغير  
والتشكر والانحراف ولم يعمد الى تدارك الامر بما يدفع عنه الشك وايدراً الربيب بل  
حدثه نذالة وسفالة طبعه على ان اتخذ له منزلاً آخر يجلو بولهبته غوائله الشيطانية . . .  
وصار لا باقي منزله الاول الا في الندرة فماء هذا العمل امراته وبلغ منها كثيراً  
فباتت تفكر في سوء مصيرها وشر منقلبها مقابلة بين سعادة حالها الروحية مع السلف  
الصالح وحالتها السبئة مع هذا الخلف الشرير وكان التزعاج بل الشوق يتزايد بينها  
وبينه يوماً بعد آخر حتى لم يبق في الوسع تألفها وتواصلها لثقة ما كان عليه الروسة  
من الشر والفساد ولم يرعوه عن غبه واستمر متاعلاً بأغراضه السافلة الدنيئة . وحدث ان

شأناً غريباً تخيف المدين بضرب لونه الى الاصفرار على ان ملاحه تسترق القلوب يدهى اندراوس طفق يتردد الى بيت الروسة وكانت لؤلؤة زوجته تسر وراءه وتعهده كثيراً اذ انها كانت تكشفه بهومها واكدارها . وبها ذات يوم في معهد اجتماعها والابواب موصدة اذ جاء الروسة فسمع شيئاً يتحدث الى امرأته في غرفتها فاستاءت اشد الاستياء واستشاط غضباً حتى لم ان يفكك بها معاً فتجلد ريفاً يستمع الحديث استطلاعاً للسرائر وخطرات الابواب بين الالفين فسمعه يقول لها : ان والدني زوجة ميخائيل اللياوي بالرآن قد توفيت وكانت تدعى وهي صبية احسن البقاة فقالت له : حه البقاة ؟ فقال نعم هذا اسم امي وفي فناء ١ . . . ثم التفت اندراوس الى ما حوله كالحواس خيفة وخلق لؤلؤة بعينه فنظرت بينة وبسرة كالمستربة فقال لها بصوت منخفض اسمعت ؟ كآني رجل يفر بالفر مناهل من رقيب علينا ؟ قالت وانا ايضا اشعر بمثل ذلك ولبنا كلاهما بسمعان منهية فاذا عربة تجري على الطريق فقالت لؤلؤة ليس الامر كما وقع في روعنا فليس من احقر برفنا . قال اندراوس انا اكنه الامر وخرج من فوره ينظر في الغرفة المجاورة وفناء الدار فلم يجد احداً فعاد وقال لم ار احداً واظن ان ما سمعناه كان مجرد نوم ليس الا

وافق للروسة بذلك ان درى بوالدة الشاب المذكور وكان ورجاله يمشون عنها منذ سنة فاكثراذ انها الطارئة الثانية لبطوس البقاعي ولم يهتكم من معرفتها ولم يعملوا هل في بقية حية ام توفيت وكذلك كان خدم مراد بك ينفرون عنها باذلين المال الجزيل لوجدانها فانكشف هذا الامر الخفي للروسة اتفاقاً ولما سمع باسم حه البقاة اخذته هذه الطرب فازجها شدة العجب حتى كاد ان لا يملك نفسه عن اظهار الفرح لاول وهلة يدأنه تنبه الى لزوم حسن التدبير ووجوب الصمت استتماماً لاكتشاف السر بقي محترساً من ان يراه او يشعر به احد وحسب الشاب قد درى به فتوارى في بيت الخوة حفرًا خائفاً من ان يعلم به فيعبط سمعاه طمأناً لا مانع له من التهام التركية برمتها الا حه زوجة اللياوي فاخذ يفكر في وجه الحيلة للتخلص منها

وما كان هذا المانع على الروسة بصير ١ فانه قادر ان يحال على الزوج ميخائيل اللياوي كما احتال على الشيخ بولس . . . ولا بدع جرجي الطبيب ابن اللياوي ام يهما . . . ولكن كيف يدبر على هلاكه ؟ . . . لا بعدم حيلة وذريعة لتفله . . . اما اندراوس الخفي بامرته داخل الغرفة فحياته رهن ارادته لان القانون يبيع للزوج قتل من يوجد مع زوجته في مجلس الرية . وبعد ان فكر الروسة في ذلك قليلاً

مخرج من مخباء وكان اندراوس قد عاد الى المحلوة بالمرأة فاخذ اي الروسة فحذارة وهم بالدخول عليها فجأة قصد الفئك والابقاع فبداله فتوقف منكراً بعض الشيء وقال في نفسه : لو قتلت هذا الشاب بالرصاص بحجة الدفاع عن العرض والغيرة عليه غير مستعجل في العمل لم يكن بد من حضور الشرطة والاخذ في الاستنطاق وقوفاً على جلية الامر ولا يعلم ما يحصل ان يحدث بعد ذلك وينبغي ما لم يكن في الحسبان ... ومع كون الروسة صاحب جرأة واقدم غير هياب الا انه كان يشفق من تعقبات ارباب العدلية وبث العيون عليه ... فارتأى ان يملطف بهم ويتداخل معهم ... لما لحقه من الندم على قتل نسيب لا شقة اولفة عليه ولا تخرجاً او تأتماً من اتيان الكهائم والجرحى لان من تعود شيئاً هان عليه ... ولكنه فيما زعم ما كان يجب ارتكاب الاثم من حيث هو بل بهذه وسيلة لبلوغ اربه من اقرب الوجوه والطرق ولذا انب تأبه حنوش على العجالة في قتل نسيب . وبعد ان اطال الفكرة في هذا المعنى قال في نفسه : لا ينبغي ان نعجل في الامر فان العجلة مجلبة للندامة ! ... واني لو اوجد طريقة اخرى لادراك المرام ! ... ودنا من باب الغرفة واصغى الى حديث المتناجين فيها ... وكان اندراوس حذاء لولوة يتحدث اليها سرا فقال لها : ايها السيدة لولوة ان خلواتنا محزنة كثيراً ! ...

— لم ياسيدي اندراوس ؟ فان منزلتك عندي عظيمة وذلك ما يقوي عزيمتك وينشطك

— اواه ... اني غير آمن على مودتنا الخضر ان يقضها مجمل اللناء فتصدم حبال اللقاء وتذهب اوقات الصنو والهناء ... أجل اني ادخل عليك الكرب والغم بهذا القول ولكن ... الله درك سيرة مستجيبة للصنات قد بلغ من لطنتك ان تمنعني فمورجلر مثلي ... ولست ادري سبب انصافك الزائد وملاطفتك المتناهية ولما ذلك بذكري اخي جرجي ... فانه هو مثلك قد تنافى في حبي ... ولست اترين كرم اخلاقه ... وعرة نفسه ... وحسن شيوه ... اعطى انه كان من نيت ان يتظم في عداد ماموري العدلية يبدأ لما ازمع السفر الى الاستانة حتماً بدراسة كتب القوانين شعرت بضعف في جسمي وبقيت اضعف يوماً بعد آخر فقال اخي جرجي لا بينا يا ابنت اني ليجزني ما الم باخي من الوهن فاري ان ادرس الطب واكتب عليه حتى امرفيه واصبر كنوفاً لمعالجة شقيقي ومدائنه حتى يشفى وتعاوده العافية وهذه كانت غاية التصوى ! ان ابراً من العلة ... فجعل يدرس علم الطب مبالغاً في تلقي ما تعلق منه بالامراض

الصدرية لا يمل من الدرس آناء الليل وأطراف النهار حتى اذا اتم الطالب في الدراسة هنا سافر الى باريس وادى فيها امتحاناً وافياً بالمراد وحاز الشهادة بكفائه ومهارته وقد نقصى في البحث عما يعين على علاج المصابين بالعلل الصدرية ثم كتب اليّ : انه على وشك الظفر بالبغية ولا يلبث ان يصير نطاسياً شهيراً بما يستنبطه من الدواء الذي لم يسبقه احد اليه من اهل هذه الصناعة وانما لدرك المنية قصد المآل منها منذ بضعة اشهر تجشاً عن سر العمل وبلوغ غايته الامل وها انا واني ننتظر مجيئه بين يوم وآخر وفي آخر كتاب ورد مني يقول : «عما قليل احضر فائزاً بأكليل الظفر والفلاح» فله من اخر عزيز ودود لي في النهاية واني لارى من اعظم جدي وسعادتي ان يعود الينا على جناح النجاح مكللاً بأكليل الفوز والفلاح!... نعم ان سعادتنا موصولة بسعادته ولولا انه يوفق الى اتمام مشروعه وينجح في عمله ويجوز حسن السمعة والمزية بين علماء الطب الماهرين لم تأمن عليه ان يموت في قليل من الايام بدها الان!...

فقاطعت له لولوة الكلام وقالت : ولم يموت ؟

— انك تجهلين السبب وانا لم احدثك به فان الحديث ذو شجون ... ان مخي مبتلى بحب فتاة فتاة قبلته ... وذلك انه اثر قدومه من باريس محمراً بالشهادة الطبية العالية قد بدأ بمزاولة صناعته وواظب على البحث توصلاً الى اكتشافات ذات شان وحدث من نحو سنة ان دعاه مراد بك التركي الى منزله فله ليتولى علاج احدى شقيقاته فريفة وكانت في شدة من المرض ... ومع كون العادة عند القوم ان النساء لا يسفرن النقاب عن وجوههن الا للطبيب فنضت عنها المخار فنظروا ما يستدل به الطبيب من احوال البدن على علة المرض وامكن له شفاؤها . وقد تقدم ان الفتاة ذات حسن رائع وحمال بارع تنهر القلوب لاول نظرة وما كان اخي حتى ذاك الحين يعرف طعم الهوى وانما كان خالياً عن شواغل العشق وبلا بلاء لا يعرف سوى حب ابيه واخيه ولا يهوى غير العلم والمطالعة فعلى تلك الفتاة الفتاة وتنسب حبها في فؤاده فقام بها ومنعته شدة الوجد الاكل والرقاد فخل جسمه أرقاً وشوقاً واوشك ان يقتضي وجناً وهياماً وكانت فريفة على مثل هذه الحال واجدة به مغرمة فيانا لا يستطيعان صبراً عن الاجتماع واللقاء فتواعدا على ان فريفة تفتح له باب المحديقة التي بجانب قصر اخيها مراد فهاتي جرجي تحت ذيل الليل وهكذا كانا يلتقيان هناك في الموعد ولكن على مثل ما قال الشاعر في هذا الصدد



كم زارني والشيخ برث من حمى والزه نسم عن وجه الذي عسا  
وبات طلوع يدي والوصل مجعما في مردته التي لا تعرف الدسا  
واتقن ان خرج مراد بك في بعض الليلي الى الحديقة فالتفتا مجتمعين فوق  
منه وبين اخي قد برود بنية « وهو مثل في شدة المحصورة » وقد احبرني اخي مرة  
عن هذه الحادثة البالغة التأثير ولم تحل في مخطوطي اذكرها باطرافها كآني احد من  
وقعت معها فان مرادًا لا رأى ما رأى من اجتماع الخطيئين اقبل عليها ساخطًا  
وقبض على كنف اخي وقال له كاظم الغبط والريق يعصب فاه : هلم ورائي ... اما  
فريدة شقيقته فتخاذلت رجلاها من شدة الوجع وكادت ان تسقط لولا انها استندت  
الى اخي جرجي فانصر اخوها مراد بك على ان قال لها : ادخلي يا فريدة خدرك ...  
ومشى مراد يذعه جرجي حتى ولجا قاعة القصر ولم يكن يسمع لاختافها الا همس  
لوقوعها على المراتي والدرناك المبتوثة هناك وكان المصباح موقدًا يرسل اشعة بوز  
على الاسلحة المرصعة قبالتها ومناقضها بالمجواهر الخالقة في جدران الدار فيحدث عن  
انعكاسها بريق ولمعان باخذ بالابصار وكانت شغتا مراد قد ايفقتا من شدة الغبط  
ولكنه اغضى واغنى الكمد واظهر الجلد وقال : يا خواجه جرجي يم عبرني لمة بلادك  
فما اقدمت عليه من العمل ؟ ...

فاعترف جرجي بذنبه من غير انكسار وقال : نعم ايها المولى ليس لي عذر ابله ...  
وانما انا امرء متفون بهوى فريدة ... بل بلغ من مرط وجدي بها اني موطن  
نفسى على لقاء ايمى مول لاجل حبها ... وكان علي ان اكشفك بذلك ... لا ازل  
وهله ... بل كان الاخفى والاجدر في ان اكتم الحب علك وعما جافراً هارباً ... في  
الارجاء القاصية فلا ارى وجه فريدة ولا اسمع كلامها ... جبراً انه كان علي ان  
افعل ذلك ولم افعل ...

فتبسم مراد ابتسامة همك وازدراء وقال : ما كان احوجك يا خواجه في ايراد كل  
كلمة وايضاها الى ان تريد على قولك : « ولم افعل ذلك » — اذ اني اصبت احمر  
بوسيلة لكسب ثروة وافرة دفعة واحدة »

— اراك يابك تلقى في امانة وغضاضة ؟

— يم اهتدك قل ان شئت وصرح لا تلبس علي القول ؟

— بكوك شاكاً مرتاناً في امانتي ومودتي

— امانتك ؟ مودتك ؟ انما هما لفظان شريفان . والمسالمة ابسط من ذلك .

أنت دخلت منزلاً مدعياً لأمراض قد حدث فيه — وهو مرض فريدة — وكان عليك ولا حاجة إلى البيان أن تعرف قديري ومكانتي من الجاه والفقير بمجرد ما رأيت عندي من آثار السعي وفاخر الرياش ونفائس الأثاث والفقير ولست أشك أنك عرفت مبلغ اقتداري ويساري وكان أن شفيقتي فريدة قد نصبتك وتصيبها ... فحسب جميعها ونظاهرت به ... فما أبسط هذا الأمر ! ... واختلاف المنصب هو ماع مقدور الزوال ... فإذا ملكتها ؟ ... لزها اسمك ... وإن تزوجت بك ؟ ... جاءتك بالمال والثروة ... وبما أنني غريب اللسان لا أعرف أساليب الكلام وفنونه في لغتكم العربية ... أسالك مرة أخرى : أله عبارة مستعملة في بلادكم لوصف ما تاتيه وتفعله ؟

وكان جرجي في غضون ذلك يقلب يديه ويضرب أمانه غماً وخطراً ثم قال : لست قادراً أن أخود عن نفسي لأن شواهد المحال تضادني وتكدني ... ومع ذلك فأود لو اتصمتك ... أترى كان في وقت انصرافه مذ كنت بحب فريدة ؟ ... لا لميري فقد استنّ في هواها حيث أراد وتقاذفتي كخشب في معطم سيل متدافع في ضووح واد ...

دعاني إلى ما يهمني فاجتبه واصبح لي بيتن حيث يريد  
ولما بات قلبي أسير الفرام تعاطفني جوى شديد كل يوم يزيد فحزمت طعم الغرض  
لحرماني رؤية فريدة اثر غمائها وقصافها من الداء ولم يبق لي سبيل إلى مرآها فاشتد عليّ الكرب والهم وتولاني اليأس والقنوط حتى كدت اتحر « اقتل انفسى » ... ولكن ما اعظم ما شعرت به من الفرح والسرور الذي لا يوصف إذ بلغني أن فريدة تحبني وفوداً أن تراني ... وهكذا كان حزني وفرحي عظيمين ونمت مع ذلك حياً فان المرء لا يموت قبل امله مهما عظم فرحه واشتد نوحه

فاجاه مراد بك : كذب ... وضاع ! ...

فقال جرجي آه لو ان فريدة ما فتوت ككلامي ! ...

— بالأمس من حماة والله من فوز بفتاة جهلت أطوارك وسطا عليها ملق لسانك ودهانك ... فان فريدة لم تسمع قط كلم الحب والهموى ... اني بهوى ويدخل الفرام قلبها وهي صغيرة أجمل أن تروم الحب وتسعى في سبيله ولا تدرك كنهه ؟ ...

— لقد ابعدت المرء يابك ... ووجدت كلامك كله بفع من قديري

ولحقني في غضاضة

— صدقت ولسم ادعك ان تبرح هذا القصر ما لم اوسعك غصاً واحتقاراً  
لأنك تخلق بطل ذلك ويكتفك ان اسمعك كلمة واحدة فقاطعه القول وقال له  
وهو في ثورة الغضب : مه ! مه ! اما مراد فلم يجفل ، ولم يرفع صوته وانم مقاله :  
ياخواجه جرجي اللباوي اني احببت خدائك ...  
—وبك يا بك ! ...

— اما الماكر المحب هو تنل ! ..

فلما رآه جرجي يزنه بالخيانة والجريزة فار فائره ووثب عليه منقلب المحدثين  
مزيد الشدقين ورفع يده وم يصره والابقاع به محواً فلك الغضاضة البالغة منه  
كل يبلغ ... ولكنه تمالك فلم يفعل ... واثنى ووقع على الحكاة مناوراً ... ثم  
قال : يا مراد بك ... لا استطيع ان اضربك ... او افك بك لانك شقيق من  
احب واهوى ... اذن ... اهاتك اياي ضرب من الغلظة الفاحشة ...

فهز مراد منكبه عجباً وازدراء وقال : انما هذا منك اعتذار غريب قد لجأت  
اليه فراراً من الجدال او التغال على حد قول من قال  
يرى المجنب ان الهز عقل وتلك خديعة الطبع اللثيم

فاشعد امتناع لون جرجي وكلله العرق فسمعه وقام اليه بكلمه بصوت انج أو كصوت  
المختبئ : نعم لست اريد قتالك ... لا اريد ... لاجل التي احبها ... امكن لي  
قتالك ؟ ... ان هذا لا يكون ... ولكني اراك نسي في الظن ولا تحسنه ومن  
العيب قولي لك ان اقصى البغية فريده ! ... لا ارب لي ولا قصد الي كسب  
ثروتك ... فأبقتها لك وهب لي فريده ... وايضاً فان من العيب ان اردد  
قولك لك : لست انا بصاحب ثروة ولكن لا يهمني ان تكون فريده ذات مال ان  
لا مال لها . فنجسي منها المحب فهو اعلى والهي من كل شيء . ولا يمدله عندي غنى ولا قنى  
على الاطلاق وكأني بك لا تصدقني في كل ذلك

فاجاب مراد هازئاً متهمكاً : صدقت ! صدقت ! ...

— بهلاً بهلاً فان لي سبيلاً الى اقناعك وحملك على اخراحي واحبار كلامي  
بما انا ملق اليك : نحن الان في الخامس والعشرين من ايار فاذا انقضت السنة  
وكنا في مثل هذا النهار والساعة عدنا الى البحث في هذا الصدد ... وان نقضى العام  
ولم آت بك بما هو اجل وافضل من المال بان اصبر ذا ذكر كرم واسم عظيم

يعطيه في البلاد فلا ارض لنفسي الحياء والبقاء... اراك ما زلت تبدي اهتماماً  
هز... كأنك تقول انه بعد سنة يحدث امور كثيرة تنسي ما كان قبلها . وتقدم  
جرجي ودنا من ساحة « طاولة » مرصعة بالعاج كانت في زاوية الدار وكتب في طرس  
ذيئه باسمه ويده غير مضطربة وكان مراد ينظر اليه في خلال كئناجه وهو مبهوت .  
ثم ناوله الصحيفة المكتوبة وقال جهير الصوت : اقرأ هذه الاسطر واحفظها... فانها  
عبارة عن الحكم الهوي ونصها « في اليوم الخامس والعشرين من ايار... شئت المحبة  
لعدم فجاج علي وخيبة املي... ولم تصبر نفسي على الغيم الذي صرت اليه... فعزمت  
على الانتحار » وهو ان يقتل المرء نفسه... فلا ينهم احد في قتلي الصادر مني عن  
مطلق الارادة والعهد... »

ثم قال لمراد احتفظ بهذه الورقة واذا كنت في مثل هذا اليوم من السنة القادمة  
فاقرأها ثانية . فان لم انجز وعدي وادرك شأوي من الهد والنفار فلا بد لي من  
الانتحار... وان اخلنت الوعد ونكثت العهد او توقفت في امضاء الامر على ما عاهدت  
لنحائي حكم مشيتك وبين يديك... فلا اكون سوى وقد ونذل... مستحق الموت  
وهذه الوثيقة التي توجد في جيبى تدرك عنك كل ظنة وريبة ولا يبنى من سبيل الى  
اهمالك بقولي

وكان مراد مصعباً له حتى ان كلامه الصادر عن حزة نفس بلغ منه بعض الشيء  
ونطرق الى فؤاده لان ترفع نفس جرجي وشهامته كأنها قد تبيتا في عينه « تخبر عن  
مجهوله مرآته » فنفت عنه مظنة الفلوق « اي الذين بما ليس عنك من سقاء ومروءة وغرورها »  
وكان يري رباطة الجأش وتوطين النفس على الموت تحقيقاً لنوله وصوتاً لغرفه  
اما مراد فاخذ الصحيفة وجعلها فوق ضوء المصباح فتمددت واسودت فاحمرت  
واحتقرت فقال جرجي

ويك بايك ماذا تصنع ؟

— اما نرى يا اخواجه اني احرق صك عهدك المتجاوز حد الصدق

— غير مضطرب — ان العهد باق يثبت هذه الورقة ام احترقت وتلاشت واني

ضدك معك عهداً لا ارجع عنه...

— حسي مجرد قولك . وتقدم نحوه وقد اخذته عاطفة الشفقة والرافة وبسط له

يده ليصالحه فلما عت وتطامن امامه وقال : ليس هذا وقت المصالحة ولكن بعد انقضاء

الاجل... فلقد جبهتني وتجهمتني فاننت منذ الآن الى منقضي سنة اما انت تدعوني

اخاك او اتى اتحدوا الى رمسي وما نذا اودعك ...  
 فقال له مراد فليكن ما تريد فاذا مضت السنة وكنت في مثل هذا اليوم الـ ٢٥  
 من ايار ٠٠٠ والله يكون معك ويتولاك بعونه ومدده  
 اجل اذا قضت علي سنة وكنت في الـ ٢٥ من ايار تلاقينا ان شاء الله ٠٠٠ وانصرف  
 من لدنه لاهلوي على شيء واضعاً اصابعه في اذنيه مغضاً عينيه مخافة ان يبصر وجهه فريده  
 او يسمع صوته ٠٠٠ وما لم ينج حديثه القصير حتى شعر بيدين ناعمين قد طوقتا جيده كغلادة  
 من ماس وسمع صوتاً رغباً بهومه : اتى احبك . وما رحلت انتظرك ٠٠٠ وليكن حبي  
 رفيقك ٠٠٠

ان فريدة كانت تسمع حديث شقيقها مراد وخطيبها جرجي من الغرفة المجاورة  
 للقاعة ولما احاطت علماً بكل ما جرى لم تصبر على ذهاب جرجي دون ان تودعه ٠٠٠  
 « عوداً على بدء » واستمر اندراس في حديثه للخبيرة لؤلؤة لا تقاطعه في بكلمة بل كانت  
 تنسأ اليه معجبة به مستغربة تلك القصة بل الحادثة الكارثة مقبلة اليه بسبعها كل  
 الاقبال على نحو ما كان عليه الروسة من شدة الاصغاء فانه لم ينته بنت شقة حتى  
 سمعها ووعاها من وراء الباب وقال في نفسه : لقد احسنت العمل والتدبير بامساكي عن  
 الدخول والظهور بداءة بدء متجلاً الاقدام . وما زال مصغياً الى حديثها فسمعه  
 يقول لها : اما اخي جرجي فلا يلبث ان يعود لان آخر كتاب ورد منه في كولونيا  
 يبشرنا ببلوغ الامل وقد قال فيه انه اهتدى الى اكتشاف فوائد طبية في منتهى الاهمية ولهذا  
 سوف يذيع اسمه ويتحدث به الالسنه وتنبه به الجرائد العلمية ذاكراً مكتشفاته في فن  
 الطب ومن ثم يمكنه ان يتقدم ويترقى فرحاً فائزاً مرفوع الرأس بين الناس عموماً ومراد  
 بك خصوصاً لان الاجل الذي ضربه اخي جرجي لم يحن بعد ونحن الآن في اوائل  
 ايار وقد تمكن من اتمام اكتشافه العلاج المروم ولهذا فانه سيعيش احسن عيشة رافلاً  
 بمطارف الغز والجاء بالما اقصى الوطر

واما الروسة فقال في نفسه : لا بد من املاك هذا وذاك ٠٠٠ ثم انسل بروم  
 مانسوقه اليه نفسه الخفيفة الامارة بالدر والسو.



وكان ما علمه واطلع عليه الروسة من السرائر موجياً لدعشتو فرأى ان يخلو في معزل  
 ليفكر في ما ينبغي له ان يفعل واذا كان شديد العزيمة سريع الخطا فتمنت له الحيلة

وجه التدبير لبلوغ الارب بان كتب الى الامير فريد يقول له «اود ان احدثك بامر ما فأتني تجديني في منزلي الخاص بسكناي في محلة الرميلة وما ابي متظرك هنا . لاني وجدت باقي الورثة فان حصة البقاعة قد مانت عن زوج وولدين ذكرين وابا لا آتي عملاً قبل حضورك»

ودفع الكتاب الى ميروبا وامره ان ينطلق به الى الامير فريد فصار من فوره وطلب الامر فلم يجده فذهب الى سراي الحكومة يسأل عنه هناك لانه كان قد تقلد منصباً سنياً في دوائر الحكومة ففيل له هو غائب فعاد الى قصره فلم يجده ايضاً فاذى الكتاب الى الخادم واصاه بايصاله الى سيده عند حضوره . وكانت عادة البقاع في قاعة القصر فابصرت ميروبا مغبلاً بالكتاب فعرفته انه من خدم الروسية انصار فريد «وهو الذي غررها وذهب بها من بيت ابيها مع ذيب» فخالج فؤادها ان هذا الرسول لم يأت الا لشان جديد بين الروسية وفريد غاية الشر او قد نصب احواله خفية فصاحت بالخادم على اثر انصراف ميروبا وقالت له: ماذا يريد هذا الذي دخل القصر وما لبث ان خرج منه فاجابها: دفع اليّ كتاباً يقول انه مهم ضروري والىّ دليّ في ابلاغه الى مولاي الامير فريد عند حضوره فاخذته منه ووضعت في متصورة سيدي على ساحة الكتابة . فما كان من عادة البقاع الا انما صرفت الخادم وجاءت من فورها الى غرفة فريد فوجدت الكتاب موضعه . . . فتوقفت في فضه . . . وترددت . . . ولكنها خافت العقبي . . . فاقدمت بعد ان اجمعت على اكتشاف السر واكتناه الامر . . . فتناوت الرقيم وفضت ختمه وقرأته فاذا مضمونه كما تقدم آنفاً . . . فجلت العودة الى مقصورها وقد اصفر لونها واخذتها الرعدة وجزعت جزعاً شديداً علماً بان الروسية وفريداً لا يفرجان من اثبات الجرائم في سبيل ادراك الثموة برمنها وجعلت تنكر في وجه التخلص من الدرفقات في نفسها : ينبغي لي ان اقطع اسباب ارتكاب الجرائم . . . وانتصب وحدي للمقاومة ان دعت الحاجة ! . . . واذا اقدم فريد دلي اهلاك هذه العائلة عاتلي لا يقي على احد منها . . . فيجديني ضداً . . . واطرقت منكرة قليلاً واسرعت في لبس ثوبها الاسود الساذج وخرجت من القصر ومتمت في الشارع بعض خطوات فرأت عربة للكراه فاشارت الى سائنها واستوقفتها بها فاجاب وركبت واوعزته ان يسير بها مسرعاً صوب سكة بسترس وواعدته الاكرام اما السائق ففيل اليه انها تريد لتيا انسان على خلوة فتغض براسه وساط الخيل فجرت سراها الى هناك

وما كانت عادة البقاع يفتي عليها سرّ ذلك النقص بالراس فقالت في نفسها : سبحان الله ! حتى قصد المخبر لا يخلو عن أن يُزَنّ صاحبه بسوء النية من خبت أنفسهم وقسدت ضائرم ولكن ينبغي لي التجلد على كل ذلك مضاعفاً الى جملة ما لقيت من المحن والمكاره الى الآن ...

وأما سبب مجيئها الى هذه الحلة محلة المقيم بعد ان برحها منذ سنة فأكثرت فأننا هو البحث عن الاصدقاء الاولين والاستعانة بهم على اعدائها الاشرار الذي احاطوا بها احاطة السوار بالمعصم فذكرت عزيزاً وصاحبه لطفان وشجعان الذين دانفعلوا عنها بايدي بدء وهم ما زالوا يندمون على حمايتها والاخذ بناصرها غير محاذلين لها في هذه المحنة ايضاً ثم ذكرت مراداً - هذا انها شعرت باستمراء منة واحترام من طلبه لانها كانت تحبه لاحتوائه اليها وقد فرّقت من قصره حباً بما لك قوادها عزيز ومع هذا فإذا تجدي مواجهة على ما فيها من لولاحق النجل والحشية ؟ ... لانها يلزمها قبل اعلامه بالامر ان تعرف اسم العائلة التي حلت بوجودها من كتاب الروسة الى فريد كما مرّ ليناقي لما اخبر مراد بك بامام الثورة الذين يحق له ان يزود عنهم ويتصف لهم . وكتاب الروسة المذكور لم يسم اولئك الناس ولا مكاتبهم فبدأ لها في ذلك بدء فجاءت محلة المقيم لسابق عهدا بها وبسكانها الذين لما بينهم معارف واصدقاء رجاء ان تعينها الصدقة على وجدان عزيز ولقباء فانها كانت منذ عام لم تظفر عينها ولم تعجم شأنه وما صار اليه ... وقد طالما ذكرته بكية لبواء وفي تمنّئ الى مرآة ! ... وكثيراً ما خاطرها انه قد ظنّ بها الظنون واعتقد فيها الخيانة والفسد ... فتتردد في طلبه مخافة ان لا يلتقاها بقبول حسن ... ثم زالها هاجس اليأس والقنوط وعقدت النية على ما ارادت من لقائها وخصوصاً ان ما كانت تحفظه اول الامر على والدها من عظمي المكاشفة بحقيقة شأنها قد زال ولم يبق محذور من هذا الوجه لان اباماً قد فقد ما تخاف من بعده شيئاً ولا يمنعا مانع من الجلالة ... ولقد ملكت المحبة فما تنفق على نفسها من الردى والهلاك ... وكانت كلما قربت من محلة المقيم يزداد قلبها خفتاناً حتى امتنع لوبها وعصب الريق فانها واذا وقفت بها العربية في تلك المسكة سألت السائق عن منزل عزيز فدلها عليه فاذا هو الدار التي كانت تسكنها مع ابيها ففارت بها بلابل الوجد والجور ... واحست بارتعاد ... لتذكرها هاتيك الاوهنات الصافية والبهشة الراقية المنبهة ايام كانت عاتبة مع والدها براحة واطمئنان نفس ونعيم بال مستعصمة بمباشرة خطيبتها ... وخصوصاً انها سبغت في هذا البيت نفسه قد وهبت لعزير قوادها وفوضت اليه قيادها

فأصرة عليه دون سواء أقصى مرادها ... وهكذا هو فعل فانه بذل في حبها قلبه  
وهجر إليها سائر الناس في بعده وقربه ... وانها من هذا البيت أخرجت بالخداع  
نلك الليلة المشؤومة وعشت بها حيل الماكرين اللثام وتلعبت بها ايدي الباغيين الطعام ...  
اما وقد صارت الى هذه الحال فانها تعود الى هذا البيت منهاها الاول وهي سيدة  
سرية ذات ثروة عظيمة لابتة ثياب الحديد على والدتها فبعد فيه عزيزاً — عزيزاً مالك  
فؤادها — تلقاه في شدة البأس والبؤس وكانت عند كل خطوة تخطوها نحو المنزل  
تتخاضل رجلاها وجلأ لا تترك له سراً وأخبرها صاحب حانوت هناك ان عزيزاً في  
منزله ومنذ خمس دقائق رآه داخل البيت

فدنت من الباب وفؤادها يخفق أيماً خفتان هلماً وجزعاً ... وذكرت إلهام كانت  
تلم هذا المكان وقلبي يطغى فرحاً وسروراً ... وهزت سلك النداء فسمعت صوتاً  
من الداخل منهوم: ادخل ... وكان الصوت صوت عزيز فلم تدرك فيه ... فحاولت  
ان تم بدنها لمعالجة مزلاج الباب وفهمه فلم تتدر ضعفاً وإعياء كأيها طفل أو حليل  
دنت لا يقوى على عمل وكادت ان تستط على الأرض ... فعادها الصوت: ادخل  
وتبعه صوت شيء وفتح الباب ... فرأها عزيز تحملته الدهشة على الالتئاء الى الوراء  
وصاح: غادة البقاع! ... انت غادة البقاع! ...

اما تلك الحزينة فلم تبتدي ولم تعد لانها صارت الى غاية التخاذل فاعغشت عينها  
وعادت كالشبح للاحراك فيها ولا روح وليت عزيز مدهشاً مبهوتاً وكرر قوله: آنت  
غادة البقاع؟ ... فتعصاً لك وثناً! ... ما جاء بك هنا؟ ...

فضمت إحدى يديها الى الأخرى وتصاغرت لديه وقالت: لا تكسرنى! ...  
ولا تطردني! ... انك ستعلم بكل ما جرى! ... ونالكت ان ولجت الغرفة وترامت  
جائبة على ركبتيها وجعلت تبكي وتبكي ...

وكانا لم يشاهدا منذ سنة فهبت كلامها بنظر احدهما الى الآخر وبين قد شهنيت عليه  
واخذت عزيزاً شرفة شديدة فقال بلسان الحان

وما في الآ ان اراها فجأة فأبتهت حتى ما أكاد أجيب

وكانت غادة البقاع لابتة ثيابها الاسود حداً على ايها فجلت باحسن ما يكون  
في النساء وكان تكسرها وتفورها يزيد في حسننها وبها يما كغناطيس يجذب قلب المجاد إليها  
وكان اصفرار عيهاها الوسم يني عن انكسار قلبها وكذا عزيز فانه ازداد حسناً بتغير  
ملاصحه لا مثله سماً ولم يبق فيه شيء من اعطاف الاحداث وكان يحاول ان



يتشغل عن عادة البقاع بانصبابه على العمل وهكذا جاءتته وهو على هذه الحال فقاطعت  
التشاغل فدخلت القاعة التي كان يعمل فيها . . . وكان بين يديه ساحة (طاولة) عليها كتب  
ورسوم ورسائل وأقلام ومهارج ومحابر كل ذلك في حيث كانت عادة البقاع تضع  
أدوات عملها وشغلها. وقد تحولت تلك الساحة لأدوات عمل عزيز

فأدنى عزيز من الساحة كرسياً فجلست عليه عادة البقاع وبقي عزيز قائماً أمامها عابساً  
كأني الوجه مكتئباً وقال لها: ماذا أقدمك هنا يا عادة البقاع ؟ . . . فإني لم تأت هذا  
المكان إلا لعلك إني فيه . . . ومحل العجب والاستغراب أنه لم يبق بيبي وبين زوجته  
الأمير أقل علاقة . . . ولست أشك أنك قد اقتصصت بزيارتك في بيوت هذه الجهة  
بل المثل الذي قضيت فيه أيام الفاقة وأعوام الاحنياء . . . وأما تريدن بذلك المقايضة  
بين حالتك المحاضرة وحالك العابرة . . . فأمكنني هنا قدر ما تشائين . . . وأنا أبرح  
المكان . . . توسعة للأمر طبعك

— إني جئت هذا المثل لأجلك . . . بأصاح . . . أنت في وهمٍ وعلى غير هدى . . .  
فأسألك أن تنصر عن اللوم والعيب فإنا في منتهى البلاء والشقاء فلا تجهز على  
المخرج . . .

— أنت شقية نعيمة ! يا عجباً ! أنت مصابة قال هذا عن سخط وإزدراء ولم يبد  
أقل ابتسام — الست أنت التي حازت كل ما ينبغي من أسباب الهناء والسعادة ؟ . . .  
فالثروة لديك موفورة تنفقين منها بغير حساب ! . . . ولك الاتجاه الطويل العريض !  
وزوجك أمير محبوبك وأنت — أنت . . . مغرمة بوهامة ! . . . فإذا يعوزك ؟ . . .  
فأنفقت رسلها ناسفاً وتلفاً وقالت خاتمة الصوت: كفى — كفى يا عزيز لا تزديني  
أكماً وغماً فوق ما أنا عليه . . . فإني سنتدم على كلامك ! . . . فإنا لا استغنى هذا  
الامتهان والتمهل ! . . .

— حسب ! حسب ! لا تحاولي طلي المحال نلبساً بالشكوى والنظم . . . فإن  
حظك لتفطين عليه ! . . .

— ذلك لأن حقيقة الأمر مجهولة . . .

— هل مال أو ملّ زوجك من حبك ؟ . . . وما أريت من الزواج على سنة ! . . .  
— أتعني معك إذن . . . أرى أن لا بد من أن أطلعك على كل شيء وما إني  
مكاشفتك بسر قد طالما كتمته . . . سر حياتي المتجددة — وهو سرٌ يدني أجلي ويسوقني  
إلى القبر ! . . .

— وما يجدي ذلك وعلى مَ هذا الانقلاب السريع ؟ ... اما أنا ، فارقنا تفارقاً  
لا اجتماع بعده على الابد ؟ ... أو يمكن ان نجتمع في مستقبل الأيام ؟ ...  
— سألتك ان تصني الى حديتي ثم يكون لك الحكم بما تشاء ... ألا ترائي كاسية  
ثياب الحداد ايّ حداد ؟ ... اعلم اني قددت اني منذ قريب آه ... وفقدته بميزتي  
الآن ان أوقفك على حيلة امري ... فلنشد ما افاصي من الالام والكرب لتروني اياك  
تريميني بما انا براء منه ولا غرو فلقد استوجبت ذلك وإن جوراً وظلماً ... الم تذكر  
باصاح عزيزنا ذلك الرجل الغاشم والامير الطاغى الباغى قد اغتقلي ووقعني في شرك  
مكره ودهائه حتى بلغ من تضييقه عليّ منعه اياي ان اخطو خطوة خلوا من عنده  
وسقوط ؟ ... فقد شدد في خفارتى واقام لذلك اثنين من رجاله واشياعه ومالتيه  
على الشر والتكروقد تمكنت اول مرة من الهرب والتخلص مخاطرة بحياتي ... أفتخطر  
بها ل احد اني فررت منه من اجل حي اياه ؟ ... ثم قدّر عليّ الوقوع ثانية في حياته  
وحاولت الفرار والتفلت ... فلم اقدر لانه قيد يدي ورجلي بقبول من حديد اذ منعي  
الحربة وكان له عليّ اثرة مطلقة مطاعة فلم املك لسانى ولا عصي بل اقل اشارة ان  
حركة كمت اريد ابداءها

— ماذا تقولين يا غادة البقاع ؟ ... كيف تاتى لهذا الرجل ان يتسلط عليك كل  
هذا التسلط ؟ ...

— آه ما كان ابسط ذلك واسهله ... فان الامر قد غلب على عقل  
والذي المسكين وما زال يداوره حتى استوثق منه ... وذلك الشيخ الساذج لم يفكر  
قط بل لم يدرك في خلدّه مطلقاً انه بلى آله أو العوبة بين يدي فريد ... وإنما بقاه ابي  
كان موفقاً على صمتي وسكوئي وانقيادي التام لما يريد فريد فلو هربت كان في هربي  
هلاك ابي لا محالة ولو كشفت دخيلة الامر لك او لمراد بك اولاية كان من اخلائي  
واصدقائي لم يبق على والذي دقيقة واحدة ... اما اني فكان يخفّره رجلان اثنان لا يفعلان  
عن خفائه آناه الليل وطراف النهار ...

— غادة البقاع أحمى ما تقولين ؟ ان ذلك لمعظم ؟ ...

— أعلمت الآن سبب طول صمتي وسكوئي وكفائي كل شيء تلك الليلة الهائلة  
ليلة جثتم باجمعكم لانقاذي ؟ ... اذ لو تمت نجاتي هلك والذي لامحالة فكيفت اولئك  
الاشرار ارتكاب جناية الانتقام بقتل ذلك الشيخ البريء الذي أثرته على نفسي فقد  
حملني حيي الصادق لاني ان لا اعدل به السعادة ورياء العيش والنعم الزائل .

أعرفت الآن سبب تظاهري بمحبة فريد الحب المأكر ؟ ... وعلة النزاعي الدفاع عنه  
وفاته حياته فعلها ... كانت موقوفة حيوة والذي نهل ألام والحال كما ذكرت  
على التزام اظهار الميل اليه والذود عن حياته والمجاهرة بمقاومتك لاجله ؟ ... والحاصل  
أعطت حق العلم الداعي الى تسليبي بعقد ذلك الزواج ؟ ... وباعني على التظاهر  
بالرضى امام الكاهن والشهود وكبار المدعوين الى العرس ؟ ... وفيما ان الناس  
يطربون ويتداولون كؤوس المناء والصنولية الترح اذا بانجلي منهم غما وكذرا لا يطلب  
الآ الانتقام من اولئك الثام الطعام الفاسين وما اشد ما كان قلبي واضطرابي  
فقد بث في بلابل شاردة الغفل اليك اسألك عنوا وصلحا جيلا ! ... ولم يكن لي  
امل في الناس وجه الاعتذار ! ... وانت بحق باهراضك عني تزاهدا وجها لاني  
تظاهرت بالاساءة اليك وعدم حفظ الدمام بل بالعدوان والعدوان ! ... آه ! آه !  
آه ! ...

— إلى إلى ! ... ماذا نقولن لي بأغادة البقاع ...

— اقسم لك على صدق ما قلته انه هو الحق ليس الا ...

— اذن ذلك الرجل هو وحش ضار... يجب ان نرفعه الى ارباب الحكومة.

ليجزي على شر ما فعل امام محاكم العدل ... سجنًا ... وتعزيرًا بل وضعًا في الكبرك ...

— آواه ... واحزني ... آواه واباسي ... لو كان ذلك سهلا ما ابطأت

هذه دقيقة واحدة ولكن لا يكون هذا الامر...

—الأ نريدن ؟ ... أهو أهل لان ينال شيئا من الرحمة ؟ ...

— لا . لا انه لا يمتنع الشقة والرحمة مطلقاً وما ارى الكورك جزء كافياً

لعظم جریت ...

— فعلی م تعزین عنه

— لن أعفوه ولكن لو رفعتني الى القضاء وطلبت الحكم عليه كلّفوني الاثبات

باليينات ومن ابن لي اقامة الحجّة والبرهان ... وغير خافٍ ما لفريد من الشأن

العظيم في المدينة وما له من المنزلة المكرمة عند الناس فمن يتصر لي ويخذه وهو

ذو مكانة وكلمة نافذة في جميع المجالس والمحافل وله منصب خطير في مناصب الحكومة

وقد حاز الرتب الرفيعة لما يكون مبلغ قوة المرأة مثلي ضعيفة مع رجل مثله عظيم

القدر شديد الحال وخصوصاً اني عادمة البرهانات والادلة القاطعة على صحة

دعواي ... ولا يبعد ان يجهلوني ويرموني بالحصى والجبنون ... فيبتذ فولي  
ظهيراً ولا يلتفت اليه ... فيسارع فريد في قهري واعتقالي بمكان منفرد ادعاء بائي  
فائدة العقل ... وانت تعلم انه قادر على ذلك لا يتبعه منه مانع لما له من عظم  
التفوذ والجاه خلا انه صاحب تدبير ودهاء وعزم واقدام على الامور الجسام لا يخرج  
من المساويء والشروع فاكون انا وكل من يجني عرضة للبلاء والوبال ! ... ومن  
ثم فان شكايكي اياه تخصب ضرباً من الحمافة والجبنون على اني ارى رايا وهو ان  
نسعى لاتخاذ تدابير اخرى علنا بها نبلغ المرام ! ...

— وما في تلك التدابير باعادة البقاع ؟ ... فيبينها وانا لك معين على تسييرها  
ولو ببذل حياتي ! ...

— ان كنت انت تبذل حياتك لاجلي ! ... فبالبحري انا جديرة بذلك حباً  
لك ! ... فمعك احبا ومعك اموت يا عزيزي عزيز ! ... فاني ما فترت عن  
محبتك قط وانما هي ابداً ان اصون نفسي وحياتي لاجلك  
— يا عزيزتي غادة البقاع ! ... يا عزيزتي ! ...

— نعم احبك ! ... كثيراً ! ... ولست مقبذة حتى الآن بما يعني  
محبتك ... واني ما زلت حرة قادرة ان اقول لك ذلك لانني انا انا غادة البقاع  
انا — الفتاة التي عرفتها اما عقد انترائي بالامبر فاما كان قسراً وعتوة ... لقد طمع  
في ثروتي ... ولا يكون حظي مني سواها ... فانا احبك ! ... أحسنت —  
أقنعت انما انت وحدك احبك ! ...

— غادة البقاع ! غادة البقاع ! ربي ! لقد ذهلت وطار عني من فرحي !  
يا بشراي ! ...

اما غادة البقاع فتباعدت عنه بلطف ... وطلق يمدق بصره في رياض محاسنها  
الناضرة ... ولم يبه بكلمة بل كان طرفه وقلبه ينطقان بغير لسان واحسبها ينشدان  
وتغرس منا ألسن حين نلتقي وننطق منا اعين وقلوب

فقطعت غادة البقاع ذلك السكون وقالت : اعرفت الآن سبب محبتي اليك ؟ ...  
الوقت قصير ... وايضاً فاعلم ان زوجي وشريكه الروس في الاثم لا يمكن  
ثروتي برمتها الا اذا اهلكا باقي الورثة ... والروس قد عرفهم ولذا اصارت حياتهم  
في خطر فاريد ان امنع تمهد وقوم الجنائيات بانقاذ الباقيين من شر زوجي ثم بناح  
لنا ما نحن نغيب من الادلة ونحصل على برهانات كافية للجهازة على الذنوب

— اني اكون لك عوناً ونصيراً في ذلك باعادة البقاع . . .

— لقد جعلت اعمادي عليك — اعلم ان شقيقه والذي التي لما حظ في الارث قد ماتت عن زوج وولدين ولكن لست اعرف اسماءهم وموضع سكناهم . . . انما الروسه يعرف ذلك وسيعرفه فريد ايضا فاذا راقبتها بلغت المراد بمعرقه الخلف الباقي ولولي بنا ان لا تفارقها مخافة ضرورها قبل انت باقى على تمام الثقة بولاء صاحبك لفنان وشجمان

— ما زالوا كما كانوا صديقين مخلصين فحياتها كحياتي رهن برضاك ووقف على ارادتك وإشارتك . . . فسامحت عنها . . . ولست مذاركتها الامر وفي علي انها قد اتخذت مكاناً خاصاً لاكتساب رزقها وما شربكان في العمل ولا شيء . . . يحول دون حريتها لانها مطلقة بلان لانسها غير متبدين بخدمة احد من الناس

— فسر باصاح راشداً مهدياً في كلاءة الله تعالى واما اسأل القادر على كل شيء ان ينصرمك على العدو القادرين الماكزين ! . . . ومننت نحوه بدها وصالحته مودعة وقد زودته فؤادها واغرورت عيناها خوفاً عليه من شر العاقبة واقبلت على نفسها تلومها من اجل تعريضه للخطر بلوقاً لبقيتها وقياماً بخدمتها

اما عزيز فتمض من فوره وارسل الى رب البيت التجاري الذي كان في خدمته يستأذنه في الغيبة عنه بضعة ايام وهو لا يشك في اجابة طلبه الاذن وما لبث ان خرج من المنزل قاصداً صاحبه لفنان وشجمان ليدأكرها ما انعقدت عليه النية ولم يمض غير ساعة حتى اجتمعوا ثلاثتهم بجوار دار الروسه التي كانت مثابة ومعهداً لعقد المؤامرات ونصب المكائد في محلة الرميلة

ثم بعد خمس دقائق ابصرنا فريداً مقبلاً . . . وذلك ان ميروبا صادفه واخبره برسالة الروسه التي جاء بها ولن يجده فاسرع للاجتماع بالروسه دون ان يعوج بقصره ولو عاج به لتلك ان امرأته درت كه الرسالة على ان فريداً لما اعلمه ميروبا بمعنى الرسالة خاومه غم شديد وقلق عظيم تخرجاً من الاندام على مزيد الجرام والآثام عالماً بان الروسه لم يزل جاداً في طلب بقية الورثة وكان يحجل له ان الدم مسفوح في موقع الجنائيات النوية . . . وصار قلبه يخفق رعباً ورهبة . . . وارنكس في مواجهته يدفعه شك ويتلقاه ريب . . . وقد بهظته اعباء تاتيب الضمير من كثرة المساويء والشورور . . . وفي علم القارئ ان فريداً هو من نبعة كريمة وسلالة طيبة وانما الذي ورعته تلك الممارط المنكرة اختلاطه بالروسه ومتابعته على ما اراد فعومده الاستقرار دلى الاجترار وارنكاب

الآنم والمثّر اسير العادة فان زلت يوالقدم مرة بعد اخرى الى مهاوي المعاصي هان عليه اتيانها وجعل يشخص بها وينتأ مقادياً متوغلاً اللهم اذا تنبه ونهى النفس عن الهوى في بادي الامر وثبطها عن الانبعاث في النكر... فبات لذلك فريد يتقلب من شدة الغم والهم على احز من الجمر يشكو سوء حظه وشؤم طالعه بيد أنه تجلد امام مبروبا النجاج واظهر قلة المالاة وذهب يو الى معهد الروسه وكان يتجسم وفي احشائه ضرر فحلا بالروسه برهة ثم خرج من عنده كالي الوجه كاسف البال مرتش البدن منقلب المحابين كأنه ميت مخرج من قبر ومع كل ذلك تجلد ما استطاع وتبسم حتى اذا انتهى الى اسفل درج المنزل تخاذلت رجلاه وكاد ان يسقط احياء كالشارب القمل من شدة الحزن والابتاس... وما كان يو سكر الخمر والمدام وانما دوار الاقدام على سفك دم الانام... وتولته الحيرة وتعاورته المهاجس وذهبت بلبه كل مذهب... اما ما كان بينه وبين الروسه في تلك الخلوة فلسوف تنبئ عنه الكوائن والامور التي تجري وينكشف بها الفطاه ويهرح الخفاء وكل آثر قريب

## ﴿ V ﴾

ان فريدا لم تطاوعه نفسه على مزيد التورط والفاودي في الشرور سواء كان حبا بغادة البقاع او خوفا من العقاب او ارجاء عن الغي لكثرة تأنيب ضميره لانه وان بلغ من حسنة نفسه وسفالة طبعه هذا الحد لم يعدم من وجدانه زاجرا عن المنكر بما وجدت وركمت عليه جلته الطيبة الغرس فانه بعد اخلائه بالروسه في محلة الرواية صادف في طريق عربة فاستوقف سائقها واكثرها منه واثار اليه: أن جدتي مسرعة الى رأس يبروت ووعده باجرة مرضية ان وفي براده من السرعة في السير وما كان للسائق من عائق عن الامتثال فالهب الخيل ضربا بالسوط وملأ لها الاعنة فطارت تباري الريح في شدة العدو والمجري ولكن حدث ان عربة اخرى كانت تتبع عربة فريد على الاثر على غير علم منه واستمرت تجرد في المطاردة وداخلها عزيز وصاحباه هنان وشجمان وكانوا قد واعدوا السائق انهم يجزلون له العطية فجعل يسوط الخيل ويحثها حتى صارت تسابق الطير وبعد عشر دقائق وصلت العربات الى محلة رأس يبروت فنقد فريد سائق عربته ريبالا مجيداً فاخذته وانصرف فريد غير متظر استماع تذكيراته له وولج في احدى نواشط الشارع قاصداً البيت الذي وجد فيه منذ يومين اندراوس ولؤلؤة والروسه وكان فريد قد تلقى من الروسة المعلومات الكافية المتعلقة بذلك البيت وسكانه وعرف

كيفية الوصول الى اكتشاف اسرار العائلة اللياوية بوسيلة تردد اندراوس على بيت الرومة والاجتماع بزوجه الى غير ذلك من الامور والمقاصد التي عليها فريد وما لبت ان سعد في العلم وطرق الباب فشعر بهس اقدام خلف الباب ولم يفتح له وكان في الداخل انصات تام فاستأنف الدق وقال بصوت منخفض : افتح - افتح دون ابطاء لان الامر مهم\* وعليه تتوقف حياتك ! ... ففتح الباب واذا باندراوس قد اعترضه ثابت الجاش مدلاً بنجاعته واقدمه وقال : ما شانك يا رجل وماذا تريد؟ ... واحسبك ضالاً وانما في غشيانك هذا الهل ... فابتدعه فريد بان قال : لست بواهم ولا ضال وانما انا قاصد مخاطبة الخواجة اندراوس اللياوي

— اصبت فانما هو الرجل « وبدأت عليه ملايح الدهشة »

— اذن دعني ادخل

— ليس هذا يعني حتى آذن لك في دخوله ...

— فبالبحري قد وجب الدخول ... لاجرم اني عارف ذلك ... واقف على داخله امرك ... وانت متظر حضور امرأة فناه ... وان لك معها علاقة ... وهي قادمة ...

— ياخواجا! ...

— مقاطعاً اباه الكلام لا تخف - لا تخش مني سواء ولا تبكس لمناجاً في ابالك هنا فانما انا اثبت لا تقاذك من الخطر ...

— لمن انت واين تكون؟ ...

— لا يهينك ان تعرف اسمي ... وانما المهم ان تدري بان خطراً ميبكاً يحدق لك ...

— خطر؟ ... وما هو؟ ... وانى يكون؟ ...

— خطر على حياتك ...

— صرح بالقول ... هل الخطر الخوف يحدق لي وحدي ام بي وسواي من اوتري حماة على حياتي وانديه بنفسي؟ ...

— لا اعلم على ان الامر الحق عندي انك انت الخواجا اندراوس اللياوي على شفا خطر مين ...

— « وهو مالك المجلد عادم الصبر » اسألك ثانية ان تربدني ايضاحاً زادك الله صلاحاً! ...

— لا ارى لي وقتاً لمزيد الكلام! فالهرب الهرب ياخواجة ان كنت تفضن

بجانتك ... تعجل الفرار ولا تطي . دقيقة بل ثانية اخرى ... عرمت عليك بن تحب  
ومعوى ان تسرع في الهرب جهداك ...

وكان فريد يخاطبه بهذا الكلام وهو ظاهر الرغبة في اقناعه . والغريب ان ذلك  
الشاب كان كلما زاده تخوفاً وتحذيراً ازداد صبراً وشجاعة وما زال يوحى قال له :  
ايها الرجل انت مطلع على باطن امري - ولا ادري كيف اطلمت عليه - فلا يخفى  
عك اني لا ابرح ما لم يحضر من انتظره ...

— انا عالم بذلك ولا اجهله

— وعليه فلا سبل الى الفرار . وان كان هذا الخطر المخدور ان يدهمى سيفا حياً  
من لم ارل في انتظاره فاي مذلة ونذالة تلتقي من جراء هربي واخنتائي ...

— نئ ايها الشاب انك ان كبرت ولم تنذر بما اقوله لك هلكت لا سمالة فانه  
سياغثك عدو وهو زوج من تود ... وقد اعد مكددة او احيولة شيطانية لا تجو منها  
ولا تسلم من شرها ... فيفتك بك مغتالاً لا غيرة منه على عرضه ان ينال او ضاً بدرفه  
ان بذال ولكن له أرباً آخر ...

— ما زلت اكرر عليك قولي ... اني لا افقه هذه المفازي ...

— سنفتقها وستدرك كنه الامر اما الآن فاهرب ! ...

— لا لا يكون ذلك !

— انت تاتي وترفض ... هذا لا يكون ! ... فانك سائر على غير هدى ...

— نعم نعم اني ارفض الفرار ولست اشك في الخطر الذي اشرت اليه ولكني لا ابالي

بـ ولا انذر ...

فبلغ ذلك من فريد كل مبلغ وحمله الناصر على ان قال له : اراك لا تكترث  
لكلامي ولا تسمع نصيحة رجل لا تعرفه ولكن لو عرفتك بنفسي لشعرت بان لقدومي اليك  
شأناً كبيراً وهو انقاذك من الخطر الممين الذي حدثك بـ ... فقل " من لم يعرفني في  
بيروت او مع باسي ... اقم لي انك تكتم السر ولا تبوح بـ ... ومها يكن من  
الامر فلا تفشو لاحد بدون اذني - اني حاولت فحانك ...

— وقد اظهر القلق من شدة انفعال فريد اني اقم لك على ما اردت من كتمان

السر والاحتفاظ بالامر

— انا هو الامر فريد . وعندما دهش اندراوس لان هذا الجلاء واللقب معروف

في البلد بل هو اشهر من نار على علم وليس في الخاصة والعامة من يجهله . فلذا نظامن



امامه فقال له : ائذعن الآن لقولي ان اشرت عليك بالانصراف والفرار من هذا البيت ... وما عليك في ذلك ضائعة ... فلا تحاول ان تقف على جلبة الامر وكنته ... ففدنا اوفي يوم آخر تحيط علما بكل شيء ... اما اليوم فيجب انقاذك ابس الا

ـ ولكن لؤلؤة ... لؤلؤة ... فاننا متظرها وكأني بها آتية ! ...  
ـ لاخوف عليها ولا خطر ... فضلاً اتي اندرها واحذرهما شاني معك  
فلبت اندراوس وافقاً واجماً مرتككاً في تيهور من المحيرة . وربما كان اذعن وراع  
لقول فريد فعزم على الفرار منتصفاً معولاً في شأنه على الامير فريد ولكن يخافون  
بمعدل بين اللب والبراح اذا بالباب يقرع قرعاً متداركاً ولجلج النداء بضرب ضرباً  
مشابهاً فتهب فريد وقال : قد فانت الفرصة فلهي اندراوس بفلاقي الباب فسمع من  
ورائه صوتاً مرتجفاً يناديه : اندراوس اندراوس ... قال نحو فريد وقال له : هذه  
لؤلؤة . وانت تقول فانت الفرصة فلا بأس ولنعمل الله ما يشاء ... فاسألك ان  
تنصرف عاجلاً اذ لا احب ان تفجل لؤلؤة وتتفعل عند مفاهدتك هنا لانها ثاني ان  
يطلع احد على ما يبني ويبتها من السرا المكتم  
ـ ائذن لي في البقاء هنا فالتمس مكاناً في زوايا المنزل انوارى فيه عن العيان واكون  
لك عوناً ونصيراً عند الحاجة

ـ نوفر وتحمده فغاية سؤلي منك ان تفعل الخروج والانصراف  
ـ لقد عرفت شدة حرصك على كتمان السر واني لارافقك على مرادك ولكن  
لا اقل من ان تاخذ باصاح هذه القدارة السداسية حتى اذا فاجأك العدو المقبل عا  
قليل تدافع بها عن نفسك ... آه ... دافع عن نفسك رابط الجاش لا يغلب عليك  
الخوف ... فانت مزعج ان تبلي برجل ولكن ليس كالرجال يفار على عرضه ويطالب  
بشرفه ... وانما ستفهم بانسان شرير ولص شرس الخلفي يريد اهلاكك تسهلاً  
لادراك ثروتك

ـ ثروتي انا ... يسؤني ايها الامير انك على غير هدى من امري ...  
ـ لست الآن تعلم المغزى ولكنك في الغد تعلم كل شيء ...  
وقد تجدد دق الباب دراكاً وهاتف لاهف واجف بقول : اندراوس اندراوس  
هأنذا في انتظارك هلم ... هلم افتح لي ... فانصرف فريد من الغرفة وفتح اندراوس  
الباب فدخلت لؤلؤة وهي قلقة وجلة كثيراً وكان اندراوس قد اخفى في جيبه القدارة

السداسية التي اخذها من فريد وتجدد جهده حتى لا يظهر عليه اضطراب الجاش فيش بلؤلؤة وهش لها بأساً فقالت له : سمعتك تتكلم فمن المخاطب والمحدث عندك ...  
تظاهر بانكار ذلك وقال : ليس احد ... بلؤلؤة ... امك وامة ... ولكن ما  
بمالك صفراء مرتعدة ... اراك قلقة خائفة فإدعهاك ... وماذا جرى ...

يا اندراوس اندراوس ... فلتجمل الهرب والفرار من هنا ... فان زوجي علم  
مدخله امرنا واطلع على كفه ... وما هو يتعني ويتعني ... ما أكثر ما فرطنا وإهملنا  
الاحباط والاحتراز ... لا اعلم ... ولكني فيما اما جائية الى هنا منذ قليل ابصرت عربته  
جارية على اثرى وقد رأيها ثلاث مرات نقص اثر عربي كأنها تطلب المكان الذي  
اطلبه وكثيراً ما عيت ان اوم سائقها اني ضاربة غير مضرب وسرت صوب المحرش  
وعطفت في طريق الباشورة وكنت امرت سائق عربي ان يروغ في المسير فيذهب  
مرة يمينا ومرة شمالاً حتى لا تعرف ولا تدري الوجهة التي اريدها وما زلت الى ان  
توارت عني تلك العربته ولست اعلم هل التفت ونجوت من الدرك ام لا ... يد آني  
فانطه من الفرج علماً بدهاء زوجي ومكره ... فالبدار في الفرار يا صديقي البدار ...  
والأ صرنا عرضة للهلاك والبهار ...

فزاد اضطراب اندراوس وقال : ليكن ما تريد ان اذ اني اكره ان اعرضك عينا  
لهذور مواجعتك زوجك في هذه الحال ... فلست اطلق الى حيث تفانين وتنوين نزولاً ...  
فاذ هي انت اولاً ... واقبل كلامها نحو الباب ... فطرق مسامعها صوت اقدام على  
الدرج كأن رجلاً صاعداً على هبل فوقنا مهينين وقد سقطت يد اندراوس بعد  
ارباعها لفتح الباب وجعلها يتكران في الاقدام موجسين خيفة منه ... وما لبثا ان  
سما رجلاً يترنم باغنية زفافية فقال اندراوس : خنفي عليك وسكني روعك بالؤلؤة  
فليس هذا الروسه . اما هي فلما سمعت الترنيم ارتعدت فريصتها وجلاً وتخاذلت  
رجلاها حتى لم تكن تقوى على القيام وقالت : هل هو هو نفسه لا شك قد ملكنا ...  
وخضت نحو الباب ولعنمت به واذا بالمنفاح قد أدخل في القتل فقتل والرجل ما زال  
يترنم ...

فقالت لؤلؤة وروحها توشك ان تزحف لم يبق عندي شك انه هو نفسه ...  
ما هوذا اجار المنفاح في القلق ... اعوذ برب القلق ... أنا هالكان لامحالة ...  
واشتت به راجعين الى القاعة وجعلت وجهها بين يديها وقعدت على المنكبة . اما اندراوس  
فتجلد وثبت قائماً ليدود عنها ويدافع بنفسه ووطن نفسه ، على توقع البلاء وانفتح الباب

ودخل رجل متباطئاً في خطو لا تلوح عليه علامات القلق والاضطراب كمن هو آمن  
وائق بأدراك بغيته من الانتقام العاجل وأقبل يمشي في صحن الدار بادي المواد والوفار  
ودخل الغرفة فإذا به الروسية اعزل في الظاهر «لا سلاح معه» وشفتها بطرفه كالمختبر  
المتكبر وإذا رآه لؤلؤة فاست متصبية على قدميها مظهرة قلة المبالاة به . اما هو فأوم  
انه مفكر في امر ما وما كان الا انه حدى اندراوس ببصره ينظر اليه شذراً وقال له  
منجها منكم : أعلم من انا يا خواجه ؟ ...

— نعم اعلم واني مستعد لكل ما تروم مني

— أعصيني اسوءك المبارزة ... معاذ الله ... انت تعرف حق المعرفة ان  
هذه المرأة في زوجتي وكونك معها في منصوريها على حال خفية منكرة يحملني على  
قتلكما جميعاً وحكم الشرع والقانون لا يجرني من العذرة في ذلك فلا اخاف شدة  
العقوبة والمجازاة

— لك يا خواجه ان تقتلي دوني ... اقم لك قعماً بروراً انها برايا ...  
اني لا اجد في حماي وبقياتي كبير امر فان رأيت في قلبي رضاك وشفاة لغلة انتقامك  
فاعمل غير متردد ... اقتلي ... فلمت اذافع ولا امانع  
اما الروسية فتذم من اراقة الدم بيده لا كرمها لروية الدم المبراق ولكن خوفاً  
من غشيان الشرطة ورجال الدرك منزله وتداخلهم في الامر وان كان آمناً فعني الفتك  
مرجل وجده خالفاً بامرأته في منصوريها ولانه كان يخاص مشاهدة الشرطة لما عرف  
به من سوء السيرة ورداءة المسلك وقبح الطريقة فاختر التربص بذلك الشاب شر الفيلة  
فقال له : ألا ترى ان لا سلاح لدي ؟

فاجابه اندراوس لا يكن هذا المانع . والى الى الفدارة السادسة التي غادرها فريد .  
ففكر الروسية وقال في نفسه : ارى الاولى ان الملع وطري وبقيتي باحسن من هذه  
الواسطة ... فلي حملة مثلاً محققة النجاح ... وهي اقل خطراً . واعتدل الى الباب  
واقفله وعاد قائلاً لاندراوس : لتكلم قليلاً ... اما لؤلؤة فكانت تحرق اسنانها من شدة  
الغيظ والغم وبلغ من خوفها انها عذمت القدرة على التكلم بالكلمة وقد زادها السكون  
الظاهر من زوجها خوفاً ورعاً ما لم يكن يناها مثله لورائه غاضباً ساخطاً اذ كانت  
تشوق منه شيئاً لا تدرى مبلغه ولا تدري موقعة علماً بأنه يذكر في ما يقدم عليه من  
الجناية الشيطانية وكانت كمن يخاف خطباً جسيماً نقد بعينها غير عائدة الى الفدارة التي  
القاهها اندراوس على الكرسي ولم يلتفت اليها الروسية وإنما شدة وجعها وضعفها قد جعلها

خرساء لا تنبس بينت شفة ولو تمكنت من القبض على الفدارة ما اشفت من سطوة زوجها ومكره وبقي الروسة لا بعباً بشيء من ذلك وأقبل على اندراوس وقال : لست اريد تأنيبك وتقريعك لان الذي وقع لا يمكن الاعياض عنه بشيء فانك ولجت غرفة زوجتي وخلوت بها ومع ذلك فلست اراخذك بعملك ... بل اني صانع اليك خدمة وهي اخبارك ومكاشفتك بشأن هذه المرأة وفي ضمن هذه المكاشفة تفصيل امور مهمة اراك تجهلها بلا ريب

فظر اندراوس الى لؤلؤة فامتنع لوبها واخذتها الرعدة ومالت مسندة على كربي كان يجانبها كيلا تسقط على الارض وحجظت عينها وتبين في وجهها الفلق والحوف الشديد ما يلوّح به زوجها وبهم ان يكشفه

اما الروسة فاستم كلامه بان قال : لاشك انه يسرك ياخواجه ان تسمع النصة فهي ان هذه المرأة التي تودها وتحترمها ... لا بد ان تكون قد تسترت بها بشنع لها ... ولم تقضك مستودعا لاسرارها ... وطبك في هذا غشاضة لا مندوحة عن غسلها وما احراك ان تعلم من هذه ... وهانذا اعرفها اليك ...

وكان اندراوس متأثر بهذا الهلى وخرج صدره وشعران سيلى بشر وينزل به مكروه وبقي ينظر مرق الى الروسة واخرى الى لؤلؤة ... وتبين في المرأة شدة ابتئاسها وانفعالها ... ودفعها الى تحريك لسانها احسايا بدنو للحدورما تنقيه ولا انقاءها الموت وهو ان هذا الشاب الذي جل في عينها وهو اعلى بها عينا سيملم بها كانت عليه من المساوى والمآثم ... وما لبست من العار ... وانت من الجرائم ... فثارت فيها هذه الهواجس والوساوس وجددت قوتها ... فاندفعت تقول للروسة للجلجلة : اشفق ... ارفق ... فظواهر بعدم الجمع قدنت منه وجئت على ركبتيها بين يديه قائلة : اغتلي اغتني ... اذقي من العذاب ضروبا والواكا ... واكنفي ككف الغطاء لهذا الفتى فان المكاشفة بالجهول امر مهول ... عزمت عليك لما قلت له شيئا ... فاحب اني ان تقتلي ... من ان تقدم على اهلاكه ... بما عساك ان تقول ...

وما كان من الروسة الا ان ضربها برجلو فقلبا الى حذاء الكرسي الذي عليه الفدارة فبكت مطرحتها مسندة لاحراك فيها وقد جدت عنها ما كانتا أخذت في هاجس مفاجئ - ومرة الروسة في كلامه بكثير من الغلظة والخشونة فقال : اعلم يا هذا انك انت ثالث اثنين قد تلعبت بهم هذه المرأة فلقد احبت زوجها الاول ثم تعرفت

انا بها واستملتها ... فأتت وما تشاحت امتناعاً مع كون بعلمها حياً بجعلنا عن مورد رغائنا ... وبلغ من طيشها ومهاكتها في الوجد أنها حاولت إزالة كل مانع بيني وبينها وما زالت طائفة اللب الى ان لاح لي منها أرب

وكانت لؤلؤة مصغية الى حديثه ونفسها تكاد تطير شعاعاً ثم قامت من مطرحتها ودنت من الروسة وقالت : انت ولا شك هالك قبل اتمام مقالك وصوت الغدارة السداسية نحو رأسه واهوت مجددها عليه فاعجلها بان اسلني الى الارض وكانت قد نصبت اداة الغدارة قابضة على الدافع ... ولومرت دقيقة واحدة لتضي على ذلك الشقي ولكن اندراوس اجدر المرأة وضرب على يدها ونزع منها الغدارة ... مغالباً اياها جهك غير مهال بشدة مانعها ومكابرها وحركاتها المضارعة حركات المجانين . وكان « اي اندراوس » قد احس ان الروسة سيكشفه بمعلومات هائلة جسمته استدلالاً بقلق زوجته وفرقها وفرط اشفاقها وخوفها من كشف الفطاء عن الجهولات والكنومات فاستطير نواذه ووقع في روعه ان وراء مطالعات الروسة ذكر الجرائم التي اوجبت العار على فاعليها وما كان اندراوس لتطاوله نفسه الاية على اكرام امرأة هذه صفاتها مع كونه لا يجد من السهل المهن ان يراها على مثل هذه الحال فقلق واشتد اضطرابه عند سماع كلام الروسة ولم يبق له صبر عن اكنائه الامر بيد أنه خاف عني معرفة ذلك خصوصاً حين رأى ما رأى من امتعاض لؤلؤة وجزعها وقد ضاق ذرعاً بهك الكوارث والهن للخافة جسمه وسرعة اتفاله فصدق ظن الروسة فيه لما تبين من شدة وداد هذا الشاب لزوجته فحنق قلب الشاب واضطجع احباء على متكأ طالما تنوآه اربقات الصنو والهناء واشتكت يداه احداها بالاخري وانضمما الى صدره علامة على شدة غمه وكدره وفرط حزنه وجواه وانقبض صدره واحمرت وجنتاه وانطبقت عيناه وظهر شيء من الدم في فمه فسمعه بالمتدبل . اما لؤلؤة فكانت حاضرة كالفائبة تنزو اليه بهمس ولا تفجر ان تخطو نحوه خطوة واحدة واظهر الروسة قلة اكترت لذلك ووضع قدمه على الغدارة الساقطة على الارض فقالت له لؤلؤة بهوادة باخواجا : ألم تر انك قاتل هذا الذي ان زدتك كلمة واحدة من جنس هذه الكلمات ... فحرك شفتيه اذراء وقال : لقد كنت اتوقع ذلك ... فنهت لؤلؤة مغزى تلك الاشارة والعبارة وايتمت بالهلاك وان حب هذا الشاب المنمش قلبها لا يلبث ان يزول بل يتقلب الى بغض على اسف منه وحسرة وربما اورده ذلك مورد المنية ...

ولم يكن لها فرجة كحل العقال فاسلمت نفسها للانس والقنوط وغطت وجهها

ييديها مغضبة مقلتها سادة اذنها كيلا تبصر وتسمع ما يقال وبصع وكفكت عبرتها وكفكت زفراتها

ثم ظهر ان اندراوس قد سكن جائحة وثاب الي روعه فانصب تجاه الروسة وقال له : ياخواجه من حثك ان تقول لي مها شئت وانا مصغ اليك راغب في الاطلاع على كل خفي مجهول ... فاجابه لست اشك ان هذه القصة تمليك على الرغبة في ساعها فأكمل سردها ... واقول : لما كان بعلمها الاول زاجراً لما دهرت على هلاكه والتخلص منه ... وعلينا ياخواجه ان التي قد تمكنت من امتلاك قوادك وبلبت بالك واستغوذت على جميع جوارحك وربما كانت لك اول شاغل ... هي هذه المرأة التي تراها حاضرة لا نغمرؤ ان ترفع راسك او تنفع عينا لعظم ذنبها وجسامة جريرتها فهل لك ان تحذر من هذه المرأة وما فعلت ؟

فاجابه اندراوس بصوت الآسف الحزين وبداه على قلبه من شدة الحنقان وفرط الكرب وقال : لا اريد ان احزر شيئا ... واود ان اعلم كل شيء ... ان ذلك ... باول ...

فقال له الروسة بشدة وغلظة انهما ... مجرمة ائيم ولوسلت الى الحكومة لسيئت الى المعلق (المشفقة) او المجلس المؤبد ... وسلمها هل تكذبني ؟ ...

فتنهت اندراوس وقال : الهى ... الهى ...

فاتم الروسة كلامه بان قال : اعلم ايها الشاب ان هذه المرأة قد سمعت في هلاك بعلمها الاول

وكان الروسة عابسا عند القائه هذه الكلمة التي وقعت في قلب اندراوس ونوع السهم او كأنها حربة شقت صدره ... فاقبل اندراوس على لوثوة شارد الغفل ورفع يديها بعنف عن وجهها واطال النظر اليها ثم ناداها بصوت يهدج ولسان يطلع لوثوة ... اليس هذا الرجل افانكا في قوله عليك ؟ ... قولي له كذبت ... اما هي فلم تنقطع ان تخبب بشي لان ظواهر الحال تؤيد كلام الروسة وتؤذن بانها آئمة مجرمة ولو كانت قد بكت واسفت كثيرا على ما فرط منها من الذنب العظيم . واذا ثبت عند اندراوس اجترامها شتى وضحك كالجنون وارتجف وسقط على الارض مغنى عليه وفاض الدم من فمه وسال على فكه الاسفل حتى نضج عقه الايض الناصع اللامع كجيد الفناء

وعلى هذا المنوال انتهت مكيدة الروسة المائلة بمقتل ذلك الشاب دون اعمال آله جارية لان الروسة كان يدري شدة ضعفه وعظم انفعاله وحسن خلاله وما هو عليه من

الحب والإعزاز للؤلؤة فلم يشك أن كلة واحدة سيفه تذف بها تكون كافية لموت فتى مثله أتى النفس ضعيف البنية فعد إلى قتله وإهلاكه بهذا النديير الشيطاني فكان يبلغ فيه من فعل الفتارة السداسية التي كادت لؤلؤة أن تطلقها على الروسة فجاء ببطشاً ٠٠٠ ولو أقدم الروسة على طعن الشاب بالمخبر في صدره لما كان تأثيره أشد من وقع هذا الكلام ٠ ولما أن أتم الروسة مفاصله الخبيثة رجع أدراجها على رسله ولم يظهر في وجهه أقل تغير أو امتناع

## ❖ ٨ ❖

أما ما كان من اسر فريد وما صار إليه في ذلك الوقت فانه قبل تلك المحادثة بساعة انطلق إلى منزل الروسة في محلة الرملة وعرف عزمه على إهلاك اندراوس ولكنه لم يدري وجه النديير وسر المكيدة وإخبره الروسة بما كان من اجتماع الفتى بامرأته في منزله براس يرموت وكان لا يأوي إليه إلا في الدرة لتشاغله بالمهام في المنزل الآخر فظن فريد أن الروسة يتدبر إلى قتل الشاب بذريعة الدفاع عن عرض مخلصاً من العقوبة والتصاص فتوقع الشر بينهما فتجمل انذار اندراوس وغادر القدرة السداسية بين يديه لأجل الدفاع عن نفسه وما خطر بباله ما أضمره الروسة من الحيلة الشيطانية التي أحناها ٠ وكان أنه لما جاءت لؤلؤة قد اطأ قلب فريد بعض الشيء لتأهب اندراوس وتغذره من مفاجئة قرنه فخرج - أي فريد - من المنزل ونوارى في حانوت هناك وقعد يرقب مجيء الروسة حتى أبصره جائئاً على عربة وخرج منها وصعد في السلم فقام من عجلته إلى حيث يمكنه الاستماع بأصغاء تام لما توقع من عجب الأمر فمرت عدة دقائق ولم يسمع صوت إطلاق النار فتجمل بفكر في ما لعله وقع وبينما هو كذلك اشتد بو الكره والمقت للروسة لأن فريداً كان قد نهم العشق وتبلى المهام بغادة البقاع ووجد نفسه مجرماً مسبباً إليها وإن الباءت له ذلك هو الروسة وميله الشرير فحزم أن يعوضها عما مضى مصلحاً ما أقصد رجاء أن ذلك يزيله إلى مرضاة غادة البقاع ٠٠٠ أو يكون وسيلة للانتقام من دفعته إلى الانبعاث في المهام والمآثم وبالمجمل فانه صار إلى عدو لشريكه الروسة وصرف عنايته لأحباط مساعيها ٠ ثم أحس برجل نازل على الدرج فلطأ بمكانه ونظر من خلال حاجز هناك فابصر الروسة رابط الجأش لم يظهر عليه علامة قلق أو اضطراب كأنه عائد من زيارة عادية حتى إذا انتهى إلى موقف العربة ركبها وسار عليها فتركت فريد ليرى اندراوس ولؤلؤة خارجين

من المنزل فلم يخرجها فراه امرها وتوجه الى الباب قصد الدخول والبحث عما كان فاذا بعجلة واقفة على مقربة منه وفيها رجل ينظر اليه بحدس فدهش وارعدت فرائقه لان الرجل المحدث هو عزيز فلزم موقفه محاذراً مشفقاً لانه لو دخل المنزل وكانت فيه خطب لحيف عليه سوء المقلب والمصير لتعرضه للثمة فبدأ له في الامر فتعجل الذهاب منصرفاً عن ذلك الشارع مغادراً البحث عما ناب الشاب اندراوس بعد ان بذل اقصى الجهد في قصد ذلك المنزل لانتفاذه ورأى ان لم يبق من حاجة الى الاستئصال اعتقاد ان اندراوس اما انه هلك بسطوة عدو عليه واما انه طلب النجاة هرباً ففاز وعلى كلا التقديرين لم يكن ابطاق لمزيد البحث نافعا . ثم صادف العربية التي كان قد اكتملها تنظره على بعد غلوة فركبها وكرّ بها راجعاً وسأل السائق ان يرجع جهده مواجداً اياه بصلة اخرى يبذلها له

واما اندراوس فلبث ملقى على الارض تادم المحس ونبت لؤلؤة مشرّدة العقل كاسفة البال متفضضة لا يقر لها قرار واستمرت في حال الذهول والخلول برمة وكان في تلك الغرفة سكون مخيف — وانما هو سكون هول المطلع — لا يقطع هذا السكون تنفس . ثم افافت لؤلؤة من دهشتها وظهرت في وجهها امارات الغم والمجنون واحمرت عيناها واقبلت زحفاً على الركبتين اعياه نحو الفتى الملقى على الارض وجعلت ترفق في تنبيهه وتعيته رويداً رويداً فعل الام بالولد وما زالت حتى اجلسته على الكتاة وقد تصدعت كبدها من شدة الغم والنجوى وخرج صدرها واطالت النظر اليه وهو في هذه الحال المشبهة على الهلاك من اجلها فقالت في نفسها : ما كان احرائي ان اعاني هذه الشدائد والبلايا كفارة عن آثامي وجزاء ذنوبي اما هذا الشاب فهو برأى لم يأت جرماً ولم يرتكب اثماً . ايها الرب العادل الرؤوف انظر من عرش سائك لمن الذليلة الضارعة اليك المستجيبة بك طلباً للرحمة والمغفرة وتخلّ تقنك على من كثر نعمتك ولكن هذا الفتى التركي لا ذنب له فاجعلني فداءه واني نائمة اليك من سيئاتي السالفة وانت القواب الرحيم . ثم نظرت فارعدت ولزاعمت من روية جنة اننى مجانبها لاخوفاً من الموتى على انها فكرت في ما بينها وبينه من التفاوت في التفضيلة وحسبت ان في وضعها الجملة هذا الموضع احتقاراً لها واهانة فنادت بصوت آسف حزين اندراوس . . . يا اخي العزيز . . . الصغ الصغ عما سفت اليك من الاساءة وانزلت بك من ضروب الاذى عد الى نفسك واستتب روحك تأمل شدة آثامي ولطفي وكفى عذابي واضطرابي ! . . .



اما اندراوس فما كان ليظرو او يسمع وهو كالميت عادم الحركة وبداه في يياض  
الطلع وابن الحرير فاقبلت عليه مديّة النظر اليه ... فلم تشعمرته تنفس ولا حشرجة ...  
وانما كان كأنه ميت لارمى فيه

ولما ايقنت ان بين يديها جسداً بلا روح ارتعدت مفاصها وارتعشت امامها  
وقالت ان ذلك غير بعيد الوقوع ... ليس بمحمّل ... وجمعت كل قواها ثم نادته  
ثانية : اندراوس اندراوس ! وما من محجب فقالت : يا اخي ما باللك لا تليّبي ندائي  
فتكلمني وتفتح عينيك فتدري الا تعرفني ؟ ... اندراوس لا تصدق لا تصدق كلام ذاك  
الانسان ... فانه آثم مني ... آه يا اندراوس ماذا عليّ ان اقول لا رد اليك الحياة ؟  
واخذت تحرك يديه وبمهمزه لتجدد فيه قوة الحياة ولكن كل ذلك ذهب سدّى ولم  
يزل اندراوس جثة لا حراك لها فتباعدت عنه وقد تولّاهما الخوف الشديد وبردت  
اوصالها وكللها العرق البارد لما همتها مصرع من مات حرصاً على حرمتها وغضباً  
لغيرها فكان كشف مساوئها السابقة كطعنة قاضية عليه وكانت توهمت بادىء بدء انه  
مغنى عليه ... فهل هو الآن ميت ؟ نادته : اندراوس اندراوس اسمع خاطبي ولي !  
اما هذا اللثم الاصفر الذي كان يمسك الكلام كالدرّاء كالشهد بجلي مرارة قلبي ؟ ما  
لهاتين الشفتين مصفرتين صامتتين وكأني بذلك اللسان قد خرس خرساً لا يعنّيه  
كلام ؟ ...

فضافت بلولة الحيل وخاب الامل فطلقت تمشي في العرفة موسعة الحيل  
كالمتوهمة وشهقت شهقة عظيمة على ان دمعها قد انقطع ونظمت على غير هدى ورشاد  
وقالت وصوبها بمهذج : الهي انت عادل ورب الرحمة والحنو ... لقد اصاب سهم الثقة  
هذا النقي البري وانما انا المجرمة الشريرة ... فهو لم يجترم جرماً قط ... فلا تدعه  
يموت يا الهي ... فان لي كل الاعتقاد عليك وعلى قدرتك وعدلك وقد اتيت انما  
عظيماً ... ولم يتلي عدل البشر بالعقوبة ... فاسالك ان لا تنقص مني بهذا  
الشاب ... الهي اني اعزّه جداً ... فلقد احبته حباً صائحاً — حباً لا يمحضك ...  
لانه مبني على الصنف ليس فيه شيء من الريبة والمنكر — فلا تجعل موته جزاء اساءاتي  
بل كن لأمّك ابا رحوماً ... مره فصيحا ... أما يكفيني جزاء ما الاقي من الغضاضة  
والاحترار عده مدة حياته وما يشعر به من الثم لما ظهر من مساوئي ... اما فقدته  
فلا استطع عليه صبراً . ثم تراجع اليها وعيها وسكنت زفرائها وهدأت شهقاتها وانعلت  
مدامها المسخنة وعاودت مداء اندراوس فاذن به لم يزل غير مجيب ودنت منه وخاطبت

ففسها قائلة : لعله باقى حياً لم يمُت وما أشأم هذه الغرفة أنى لا اجد فيها قطرة ماء  
انضمها على جبينه عساه يبقى فلو علمت ان دمي يحى ما تجملت عليه يوكله  
وما كان ذلك منها تحذلقاً ولا تنميقاً فانها كانت تود لو تبذل حياها لينظرها  
نظرة ولو بعين باذنة . وبلغ من شدة لهنها وابتناسها انها صارت تمض اصابعها واصابعها  
من فافندها الحس ثم تاب اليها روعها فقالت : هلاً ادعوك طبيباً لعله يعالجه فيبقى ...  
ولكن لا بد من استدعاء الطبيب عنو الساعة بلا ابطاء . انى اجد الاى ؟ ...  
وما اقول له ؟ ... ما الراي ما العمل ؟ ... ان ذا لامر جلال ... !  
وما هي الا ان وفنت بغنة وحدقت الى اندراوس لانه تحرك بعض الشيء وتهد  
تهذاً عيقاً كاد ان لا يسمع فقالت في نفسها : انه لم يزل حياً ... جبر ما زال حياً ؟  
وحماك ياربى ؟ ...

وما لبثت ان خرجت من الغرفة وانطلقت مسرعة نحو السلم في طلب الطبيب فاذا  
برجل صاعد على الدرج حتى اذا انتهى وقف امامها ... وكان الرجل عزيزاً . فقالت  
له : ايها الرجل انى لك تستوقني ؟ . فاجابها - وصوته اجش - اسالك ان تخبريني  
عن رجلين جاءا هنا منذ برهة ... احدهما الامير فريد ...

— انى لا اعرفه واجهل ما نقول

— والاخر يدعى الروسة ... وانت زوجة

— هذا صحيح

— هذان رجلان لا يجتمعان الا لاثيان جريمة ... فاريد ان اعرف المجرم الذي

فعلاه هنا ... انى اراك تحاولين الذهاب ... ارجي معي واخبريني

وقبض على عضديها ودفعها الى داخل المنزل فتفتحت من بين يديه مرتاعة

مذهورة وهي تنوه بكلمات متقطعة وكررت ما ياتي من العبارات

دعني - دعني ... يجب ان ادعو الطبيب - الان تلوم دعوته ... انه يموت ...

ابن الطبيب ... وكانت ترجع القهقري مكرمة حتى بلغ بها عزيز الى الغرفة وهي شاردة

المقل لم تفكر ان تسأل عن هذا الرجل الاجنبي وشانه ومراده بما يفعل وما ادراه

بما كان وإنما كانت تقول : الطبيب ... الطبيب ...

اما عزيز فرأى اندراوس على تلك الحال فتفقن ضرورة استدعاء الطبيب لانه

وجده في خطر ميم فاشار اليه وقال للؤلؤة : انها لجناية حدثت ما

فاجابت ونار الغبط تنفدح من حديثها ووجهها كامد ولها واجب لنصورها

جسامة الجريمة فقالت: اجل! انها لجناية اعظم من كل جريمة سواها اذ وقعت بدون مخبر قاطع ولا سم نافع

— ومن القاتل؟ أليس الذي اشرت اليه؟

— آواه ثم آواه سواء كنت لي صديقاً او عدواً فماذا اقول لك ان القاتل ذكرته وسميته منذ هنيهة!... وهو زوجي بعينه ولكن اسالك ياسيدي ان تفق وتفرق فلا تسالي مزيد بيان وانما ينبغي ان نوجه عنايتنا الآن الى هذا اللتي ثم تعلم كل شيء... فلا بد من طلب الطبيب فانا منطلقة لاستدعائه

— انطالقي مسرعة في طلبه وانا البت هنا قائماً على العناية في هذا الشاب المسكين ربنا ترجعين ومعك الطبيب

— شكراً لك على هذا المعروف ياسيدي واسأل الله ان يجزيك خيراً. واسرحت في الماضي وكان عزيز قد دنا من اندراوس ورفع الى المنعد وفك ازرار ردايه وقمصيه وجعل اذنه على منبض قلبه فشعرته بمخفقان ضعيف لا يكاد يسمع فالتبس ماء بارداً من عند احد الجيران وبلّ منديله ووضعه على راسه ومع بالاء البارد ايضاً جبينه ووجهه وفاه وعنته وبده ولم يكن في البيت خادم يعاونه لان صاحبة المنزل لولوة كانت اذنت لخادمتها بالانصراف صباح ذلك اليوم لخلوها الجوى

ثم تنفس اندراوس ولم تزل عيناه مطبقتين لان الاغما لما يفارقه وانما كان يلوح ان قد التأم صدع قواد الحادث عما القاه الروسة عليه بدليل انقطاع خروج الدم من الفم. ومضى على غيبة لولوة ربع ساعة ولم تحضر الطبيب والفرصة مع ذلك لم تنت لتدارك المصاب بالعلاج. وفي اول ما كان منها انها قصدت اقرب الاطباء في المدينة وطرقت باب بيته وكان الوقت نحو الساعة الثانية من الليل فاشتقت من ان لا تجده واذ جاء الخادم وفتح الباب سالته الطبيب هنا؟ وصوتها يضطرب فاخبرها انه في المتزل فسكن جاشها واستأذنت في الدخول فادخلها الخادم الى القاعة وقال لها ينبغي ان تنتظري سيدي الدكتور قليلاً لانه جاء الآن نعباً لكثرة ما قضى اليوم من الزيارات الطبية فلا بد له من اخذ قسطه من الراحة وهو جالس على المائدة فيحسن ان تنتظريه هنيهة ففكرت ان في الانتظار ابطاء نفوت بفرصة تلاقي اندراوس الدنف بالعلاج الواقي من الموت التام فالتفتت الى الخادم وقالت: ابلغ مولاك — آه — ابلغه ان الحال تنتضي الاستعجال... وان حيوة الشاب موقوفة على سرعة حضوره وما قد مر وقت طويل مذ فارقت ولم اتمكن قبل هذه الساعة من الوصول الى ها

فأشار الخادم الى قلة الامل باذعان سيده واجابته قبل الفراغ من تناول الطعام ومع ذلك عاد اليه وخبره خبرهما وما لبث ان اتاها قائلاً : سيدي يسألك المذرة في انتظاره وهو آسف لما بلغت من نيل المصاب على انه لا يعطى عليك في الحضور ... فكمد وجهه لؤلؤة واطرقت غما وناجتها نذرها ان تخرج في الناس طيب آخر ولكن ذلك يقتضي وقتاً مع احتمال ان تجد اولاً تجد طبيباً مساعداً في تلبية الدعوة سريعاً فلبثت وحدها سادرة حائرة ومرت عليها دقائق ظننها اياماً بل اعواماً وكانت غرفة المائدة بجانب القاعة وكان الطبيب يأكل وحده اذ لا اهل له واصوت صحاب الاولان والمعلقة والشوكة والسكين وقع اشد من وقع السهم في قلب لؤلؤة وما زادها تألماً ان النطاسي كان يكثر على عادته التآني في تناول الطعام غير ميلال بما دعي اليه من دفع خطر ملم عن دنس من بقي الانسان وكانت لؤلؤة تتذمر قائلة في نفسها : متى ينتهي هذا العشاء ؟ اولم يخاطر بهال هذا الطبيب اني انتلب على مثل نار النضى من طول الانتظار ؟ اما هو فلم يبال بكل ما كان وبقي يأكل يتأن وتأنى الى ان قبض الله فراغه من تناول الطعام فلم تصبر لؤلؤة على ذلك فدخلت عليه واذا شاهدها دهش وعالى عن الكرسي وقعد ولم يرد عليها الفجة بل قال لما تعجب : ايها السيدة ماذا تريدين ؟

— يا سيدي آه انه يموت ... انه يموت

اما هو فلم يجيبها بشيء ولكنه هز منكبيه المقلبين على صدره كبيراً ايذاناً بنفلة الاكثرات لئلا هذه الدعوة المفاجئة الهزئة التي اتاها وصارت لا تحيك فيه وهكذا لبث يأكل وأشار الى المرأة ان تقعد على متكده في غرفة المائدة فجلست تلتن وتلطف في استجماله في المضي الى الليل الدنف وهو يجيبها وفيه منهم أكلاً ما نذا فرغت ... لا البت ان اقوم عن المائدة ... بعد دقيقة ليس الا

أجل ان الطبيب كاد ان يفرغ من تناول الطعام الا ان لؤلؤة كانت تجد تلك البرمة القصيرة عاملاً بل دهرأ حتى انها حسبت الايام تعاندها والطبيب يأكدها قصداً للتريت والباطور.

وفي خلال ذلك اتى الخادم بالجبن ثم بالفاكهة وكان الطبيب آكولاً شروباً فتناول كاساً ترعف من خمر « بوردو » وجعل يترشفها مقلدًا مقلداً

وحسبه لؤلؤة قد فرغ من الاكل والشرب وكان الامر على خلاف ما ظنت اذ جاءه الخادم بكوب من قهوة البن فجعل يبرده من العنوة وبرشه ثم تناول قدحاً صغيراً من شراب « شارترز » ومع شاربيه وقام عن المائدة فتقدمته لؤلؤة الى الباب

وودت لو تجره بعنف فقال لها، ما أنذا منطلق معك ولبس رداء الطويل المريض  
ووضع برطله على راسه واتمس عصاه حتى وجدها وأخرج لنافه تبغ واشعلها وقال لها  
سيري بنا ابن المنزل أهو بعيد؟

— لا ياسيدي الطيب بل هو قريب لا يجاوز مسافة خمس دقائق

— لا باس ... لا حرج ... احب ان امشي بعد الطعام

فسارا ولم يمرّ غير خمس دقائق حتى بلغا المنزل وإنما كانت مسافة احتراق لنافه  
تبغ (سيكارة) وكانت لؤلؤة قد تأثرت بقلة مبالاة الطيب وشففته ومسارعه في  
مساعدتها وتلبية دعويها ولكنه لما بلغ الغرفة وشاهد اندراوس مطروحاً فيها كالمت  
مستّمسّ مأس الرحمة وظرفه حسن الشيم وسجاياء مثله طيباً نطاسياً ورجلاً حرّاً رفيع  
الفرد كبير النفس يحرص على انعام واجباته وإن كان ذلك منه أمراً عادياً عارياً عن  
كل ما لا يلبس صناعة الطب . فصرف معظم اهتمامه الى ابعان النظر في الدنف  
وساعده عزيز في الكشف عن صدر اندراوس وكتفيه فالتى الطيب سمعه الى ضربات  
قلبه ثم فعل مثل ذلك في ظهره وكانت لؤلؤة تنتظر فراغه بقلب يفتق خوفاً مما عسى  
ان يقول الطيب بعد ذلك . اما عزيز فاه رقى لهذا الثقي المضارع له سناً مع عدم  
معرفة اياه وإنما عطشه عليه ما ركب في الطبع من الميل والنزوع الى استنقاذ من كان  
خض الشباب رطب الاهداب

ان القهجة بالرياض نواضراً لانشئ منها بالرياض ذوابلاً

وما حال هذا الشاب الاّ حال غادة البقاع في كونها ذاهين شهيدى غوائل  
الاشرار ...

وما كان عزيز ليذك ان هناك امامه احد ورثه تلك التركة العظيمة الذين يتأثرهم  
فريد والروسة

آلم يكن هذا الثقي صريع اليد الباطشة التي وقعت بشفة على غادة البقاع !

وهذه الهواجس كانت ثمر بخيلة عزيز على حين كانت لؤلؤة شاردة العقل ذاهلة  
حما يقول الطيب اما عتبي بحشه الطويل فانه نظر الى عزيز ولؤلؤة دون ان يظهر  
في ملاحه شيء من دلائل استعظام الهلاء وقال لها : أأنما من ذوي قرانه هذا الشاب ؟  
قالت لؤلؤة قول الآسف اللاهف : أنما نحن من ذوي مودته ليس الآ

— اني اشهر عليك ان تخبر اهل بهاله ان كان له اهل ... اذ فيما يبين لي انه لا يبقى  
كل هذا اللبل ... وإن بقي الى الغد فلا يطع في بقائه الى غروب الشمس ...

فكانت هذه الكلمات كنبال تغرق قلب لؤلؤة فوضعت يديها على جبينها ثم  
مرم المجدلية الثائرة وجثت على ركبتيها قائلة : يا رحمان يا رؤوف يا ميعن اصرف غصبا  
ان عقابك لعظيم !!



وكان ما ينبغي نقل اندراوس من ذلك البيت المشؤوم الذي لاقى فيه هذه الصرعة  
المقاتلة وقد لاحظ الطبيب حال لؤلؤة ودرى ان ليس هناك ما يقتضيه التمريض  
والعلاج فسأل عن منزل اندراوس الدنف  
فأقلت لؤلؤة ان منزله في ميناء المحصن

قال الطبيب اطلي عربة تنقله بالرفق والودّة والمواودة الى بيته ليعوث فيه بين  
اهليه وينبغي ان تجري به العربة جرياً بطيئاً ليناً كما قدمت لان العدو العنيف الشديد  
لا يؤمن معه نجدد مناجر جراحه فينضي نحب ولا تدرين ايها المرأة وبصير بين  
يديك جثة لاروح فيها وانت تحسبينه حياً

وما لبث الطبيب ان عدل عما كان اثار اليه اطماعاً بتأخير أجل الرجل الدنف  
فاستدرك بان قال : ولكن لا رجاء في الفناء وراء ذلك لان بقية حياته لا تمتدى بضع  
دقائق او بضع ساعات فسيان تلافيه بالعلاج وعدمه . وهكذا خرج من المنزل وقد  
اخذ اجرة زيارته

فاقبلت لؤلؤة على عزيز ضامة يديها احداها الى الاخرى - وقد جمدت عنهما  
اذ لم يبق فيها عروق دمع لكثرة ما بكّت وسكبت من المبرات - وقالت له :  
نندتك الله ايها المولى المحرّ الشفوق اللامف معي على هذا السوء المجدان لا تغدني  
وعملي في هذه المحال الشديّة وان كنت لا تعرفني ولا اعرفك . . . اسالك ان  
تساعدني على اتقائه من الموت ان كان ذلك يستطاع . . .

— اني لا ادعك ايها السيد ! فلقد حدث هنا جنابة لم اقدر على منع حدوثها  
فاجتهد على الاقل ان استنجي هذا الصريع المجني عليه حياً ان اتاح الله لنا بقاءه  
— اوّاه يا مولاي ان الله يريد اتقاذ هذا المظلوم فلا ترتان في ذلك

لما عزيز فلم يظهر اليأس او الجزع من حياة اندراوس الدنف المائت فخرج مسرعاً  
في طلب عربة لحمله عليها وكانت العربة التي طلب قرية من المنزل فاشار الى سائقها  
فادناها من الباب ورجع عزيز ورفع اندراوس ولؤلؤة نعاونته وخرجا به من ذلك البيت

المشؤوم وكان جنة ضعيفة البنية كجثة فتاة لطيفة ووضعه في العربة موسداً موسطاً بينهما  
وقعدا متناوحين برفقان يوم أمر عزيز الحوذني (السائق) ان يجري الخيل على هيئة سائراً  
بالعربة مهيئاً ففعل ولذلك مر ساعة في قطع المسافة بين رأس بيروت وميناء الحصن  
ولما صارت العربة على مقربة من بيت اللبازي والد الفتى الدّاف تعجّدت العبرات في  
مقلتي لؤلؤة عظامها بانها مضطرة ان تفارق عما قليل قتيل هوأما اذ لم تجسر ان ترافقه الى  
داخل البيت ونشاهد اياه في هذه الحال لعدم ثقلها ان تقول له شيئاً . . . وماذا ينبغي  
لها ان تفعل له وتحدث عن ولد ؟ . . . فكشفت عزيزاً بامرأها وما هي فيه من شدة  
التضايق وخرج الموقف فرقاً لما فؤاده وبلغت منه مظاهر قلها واضطراب بالها ونوازل  
غها ولبالها فطنن بعزها ويسلها ويشجعها ويقويها قائلاً : خفزي عليك وهو في البلية  
ودعيني اسعى للاجتماع باهل هذا الدّاب فالنق لم حديثاً وقصة كأن اقول لم صادفته في  
شارع كذا مثلاً ممثلاً اصابه غشية اماره الى هذه الحال التي ترون . . . ولكي لا اجد  
بداً ايها السيد من ان اطلمهم على جليلة الامر واكاشفهم بالحقيقة . . . فانت لم تنظري  
الا الى انتقام زوجك منك ومنه هالك . . . وما اراك على يقين من سر الحيلة والدخيلة  
فان الخطب لا عظم ما تظنين فهناك جريمة جسيمة واثم قطع . . .

— آفي الحادث جرم ؟ آه ! ويلٌ لذلك الشقي الشرير الذي جعلني مهانة ذليلة  
باقدامه على اقتراف جميع المعاصي والسيئات . . . اني اصدق ما قلت . . . فويحي  
ثم ويحي ! . . . وتباً له وتعباً ! . . . وجعلت تنظر الى عزيز كالمتعبرة عن كينية  
الجريمة وسببها وممّ عزيز ان يخبرها بكل ما درى من احوال التركة الدّائب في ادراكها  
الروسه وفريد وان الفتى اندراوس من الورثة على انه توقف في الاخبار لان هناك  
سراً ليس من اسراره الخاصة فضلاً انه كان يخاف بعض المذورات ويهشقى من  
عواقب الامر ولبت بين شك في صدق دعوى المرأة شدة الحزن واحترازي من ان  
تكون مخادعة مخائله وبين احسان الظن فيها انها لم تغمر بذلك سوءاً ولم تنصب له  
شرك شر ومكيّة وما زال في عدال من امره ممسكاً عن مزيد التصريح والبيان  
اما هي فاحسنت بما يخالفه من المواجهات فتهدت اخلاصاً ونكست راسها الى صدرها

اللمع ثم افعال لما عزيز : ما بالك مطرقة فقيم تفهمين وما تدرين ؟  
فهزمت منكبيها وقالت لست اُبالى بما انا صائرة اليه . وكانت عازمة ان تلتقي  
باندراوس اُبان قضى ومضى لسبيله طالبة له كفارة في الآخرة  
وطودها عزيز بان قال لها بلين ولطف اسالك عنوا باسدي ان كنت كلتيك

الجواب عما لا يخصني ولا يعنيني وإنما أرجو أن تأذني لي في إعادة السؤال  
— وبلاء لا أعلم ابن يذهب بي ولا أتى بقر راسي  
— هذا ما دعاني للإلحاح عليك في السؤال أفليس من نيتك الرجوع ... الى  
زوجك  
ولما سمعت بذكر بعلم ارتعدت مفاسلها كرهاً واشتمتاراً وقالت : لا فينة له عليّ  
ولا رجعة أبداً ! أبداً !

— اني اراك شديدة المودة لهذا التي فاما الحيلة في ابصال اخباره اليك  
— شكراً لك ياسيدي ! على هذه العناية فاني آتي كل يوم مرات انتم  
اخباره ... آتاه لو امكن لي ان اتولى خدمته بنفسي ولا افارقه طرفة عين لعمري  
البلغ به الى حال العجاة ولكن اني في ذلك ؟  
— فلو ثابت اليه روحه ... وافاق ... ولو شاء ان يكلمك ... فابن ارادك ؟  
فكفكت لؤلؤة دموعها — وقد بلغت العربية بيت التي الدنف — وقالت  
لعزيز : اذا دخلت بيت اللبائي فانظر الى البيت المناوح له فاني ساستأجره فغرفة  
واقم بها لا ابرح متضرعة تائبه الى الله تعالى رجاء انه يتقبل صلوة التائبين فيعفو عن  
المضطر البريء . وانت تعجدي هناك كلما طلبني

ووقفت العربية لدى باب بيت اللبائي فقالت لؤلؤة لعزيز بلهجة : اأدخل  
انت باندراوس الى بيته ثم تستدعي له طبيباً آخر عن لسان ابيه وان كان  
غائباً ... اما انا فاني لا ابعد عنك فهاذا ابني داخل العربية متوارية عن العيان  
وراء سجوفها وحجبها المستورة واني اسالك مترامية على قدميك مستغللتك بما هو اعز  
شيء عليك ان تعود الي عند انصراف الآسي وتخبرني عما اتوقع ... او ارجو ...  
فانصدع فؤاد عزيز ورق لها فقال : اني اعدك بذلك وعداً أكيداً . وقد  
انتفى عنه حينئذ كل شك وريب في صدق دعواها الحب لما رأى من تدارف عبراتها  
الصافية التي اوشكت ان تنطق من غير لسان ... ولين ان ما نقوله هو من وحي  
القلب وان كل ما في ظاهرها يدل على حسن باطنها وسلامة ضميرها وخواص قصدها  
فابتدر عزيز ان ازل الشاب من العربية واحمله الى البيت وقد اعانه اهل  
المحار الذين اخذتهم الدهشة وعراهم القلق اذ رأوا جارهم التي على هذه الحال فتداعوا  
واحتشدوا واثربن او مستخبين . واما لؤلؤة فقد غطت وجهها وتوارت داخل العربية وولج  
عزيز باب المنزل الاسفل وكان مفتوحاً وصعد باندراوس على الدرج تعاونه في حملها



امراة من الجيران فقالت له لا اراك تجد في هذا المنزل غير خادمة عجوز اسمها مرغريتا فان والده بمخاض اللياوي غاب ولما يحضر . قال : سارسل في طلبه

— ومن سوء المجد ان اخالتي جورج ثابت عن ياد رت والمصوم انه طيب ماهر كل المهارة وهو لم يجاوز طور النشبة . . . ولعله لو كان هنا لنتي اخاه هذا اندراوس وبودي لو تدري ياسيدي عظم محبة هذين الفقيرين احدهما الآخر فان مات اندراوس وعاد جورج واخبر بوفاته لا يسلم من المجنون حرًا علي . . . وعسى الا تكون بلية اندراوس جسيمة أتدري ذلك ؟ فلما اشار اليها اشارة السلب وقتل عليه طول حديثها وقد وصلا فناء الدار وطرق احدهما الباب فجمعت الخادمة نفثه وكانت مرغريتا العجوز وقد مرّت على خدمتها في بيت اللياوي منذ طوبلة فهي التي رست جورج واندراوس ونجّتهما محبة الام لبنيتها وما يكرمانها ويبرأنها شان الولد مع والدتهم . وكانت أنها لم تفرج بركة العربية عند وصولها ولذا دهشت حين رأت اندراوس على تلك الحال لا يبدي حراكا وشهقت وسقطت عليه نفضه بين يديها ذاهبة العقل ثم بسطت له فراشا وثبرا ليلا ووسدته اياه قائلة آه يا ولدي العزيز ما اصابك . . . اواه ان سيدي والده ذهب ولم يرجع حتى الآن . ونظرت في السماء وانملت الى رب العرش قائلة : غوثك يا رحمان ما هذه المصيبة ! . . .

وما زالت لوّلوة في الشارع متوقفة الخيرة او الشر واجفة القلب وبرّ عليها نحو ساعة اصبرت في خلالها عزيزا مطلقا ثم عاد يصحبه آخر فاشتد قلقها واضطربها وبلغ من وجعها وجزعها ما اصابها الى حال من فارق الحيوة فكانت تضغط يديها على صدرها تسكيناً لضربات قلبها . ثم خرج اليها عزيز وقال : جاء الطبيب . . . اقياه !

— ماذا جرى ؟ وكانت ترتعد فرقا وخوفا

— اثبت ما قرره الطبيب الاول

— ألم يبق من امل ؟

— لقد خاب الرجاء في الشفاء فواساه . . .

فلبثت لوّلوة بضع ثوان واجفة لا تنبس بينت شفة ثم نهضت تنهدا غير بين واخذت يد عزيز المدودة اليها وقالت : لك الفكر ياسيدي وماذا اودعك ولا انسى معروفك وحسن مراسلتك ما حييت . . . واني لست ابتعد من هنا . . . فاما مطلقة الى حيث تاهدتك . . . فلا تقطع عني الانباء عما يكون . . . اريد ان اعلم كل شيء . . . الى النهاية المشوّة والساعة الهائلة . . . ولو كان في ذلك انتضاء اجلي

— أكرر لك الوعد وأجدد العهداني لا ادع اندراوس ٠٠٠ او يعود ابيع اللباوي  
 وأثنى عزيز راجعاً الى غرفة اندراوس وجلس بجانبه متأوفاً اما الدنف فلما يرح  
 في يوم بحران ووجر الدواء الذي وصفه له الطيب فما عاج به وبقي فيه رمي بدليل بقاء  
 النبض وكان يتامله وبهز راسه ايذاناً بالياس من شفائه  
 فطلب عزيز من الخادمة مرغريتا فلما وقرطاساً ودواء فحماه بها وكتب الى غادة  
 البقاع يخبرها بالمحادثة ولما فرغ من الكتاب خرج يلتمس رسولاً يذهب به اليها فوجد  
 من دفعه اليه وأوصاه ان يبلغه غادة البقاع يدك بيد  
 وكان قد ارسل في استدعاء ميخائيل اللباوي منذ ساعتين فاكثروا ولا يحضر وكانت  
 مرغريتا ممن يصدق الامثال السائرة فجعلت تمثل في نفسها — ان المصائب يجر بعضها  
 بعضاً ! —

وجاء الرسول بالكتاب فالتى غادة البقاع وحدها قد دفعه اليها فعرفت من العنوان  
 خط عزيز فارتعدت وأوجست خيفةً وخامرها ما جس ٠٠٠ فتوقفت في فم الكتاب  
 مشفقة مما تضمنه ان يعلما بدر حادث اجدر بها ان تجهله ولكن هذا الوقف والتردد  
 ما لبث ان زالها وكان الكتاب طويلاً فلحنه يبصرها وفهمت ما حوى فارتمشت وسقط  
 من يديها وجمحت عيناها واغبر لونها لشدة الانفعال وصاحت : الهي الهي من لي بان يتقم  
 من الآثم المجرم ؟

ولم يكن عزيز اخبرها في ذلك الكتاب الا عما عاينه كاتبه فريد الى رأس بيروت  
 وترقبه من حين دخل المنزل هناك الى ان خرج منه وان الروسة جاء على اثره  
 ودخل البيت . وان فريداً كان ينجسه وانها بعد ذلك قد افترقا وذهب كل منهما  
 في سبيله ولم يدرك احدهما بالآخر . واخبرها ايضاً بكنية حده في حدوث الجرم وان  
 وصوله المكان كان بعد فوات الفرصة وقام الامر ومصرع فتى دون ان يبين فيه  
 اثر جرح بالكلية وانه لما رأى لؤلؤة تختفي ظه في وقوع الجريمة ثمة ٠٠٠ ولكنه لم  
 يعلم نوعها وكيفية ٠٠٠ وانه لم يكن لاحد ان يحلو حقيقتها سوى اندراوس وحاله  
 معلومة او لؤلؤة وقد منع من استخبارها فرط قلقها وحزنها فرأى ان يؤجل سؤالها  
 تفصيل الحادثة وآخر ما اودع كتابه اخبار غادة البقاع بكل ما علمه من شئون  
 بيت اللباوي عن مزيد بحث وتدقيق لانه كان قد نصي في استخبار مرغريتا الخادمة  
 المار ذكرها

واذ طالعت غادة البقاع كتاب عزيز اليها تحققت كلها تحققة من تصميم عزم الروسة

وفريد على قرض هذه العائلة عن آخرها وإن أول من بدىء بهلاكه اندراوس اضعفها  
قوة وحولاً

أما وقوع الجرم فهو ما لا شك فيه . . . وما بهم غادة البقاع ان تتوصل الى معرفة  
كيفية ارتكابه وانماه فليست لذلك برهة ذاهلة غائبة العقل يخجل اليها انها زوجة لص  
شهير قاتل ويدور في خلدها ان هيئتها عن ممانعة لا يبرئها من ان تكون شريكة له  
في آثامه ومساوئه وبلغ من اشتداد هذه المواجه في نفسها انها مثلت لها مارق  
الدماء ومصارع الابرياء بين يديها تصرخ طالبة الانتقام الانتقام ! فخافت وارتعدت  
فرائصها وحارت في امرها وعدمت صبرها على مساكنة مثل هذا الرجل المنبعث في  
المعاصي والنظائير فحدثت نفسها بالفرار ولكن رأت في ذلك طاراً عليها بين الناس  
المجاهلين حقيقة شائها المهزلة ثم هوت كل ذلك وصبرت نفسها على ما سيقال فيها مكثفة  
بما عندها من سلامة الشرف الباطني والطمعنان الضمير وحسن القصد ولكن امرأ  
آخر قد منعها عن ذلك وهو معارضة البقاع الظالمين فاذا هربت فلا يكون لهم من  
متمم ولا معارض في اتيان الشرور والموبقات اما فريد فانها كانت تنتم منه بالاعراض  
عنه على علمه بانه اسير هواها وكفى بذلك قهراً وتعذيباً ومن ورائه ضرب آخر من  
الانتقام وهو ان تخبر الشرطة ورجال الدرك عن افاعيل فريد والروسة اذ كانت  
لا تستطيع بنفسها ان تقوى على دفع شرورها وقد طالما فكرت في هذا العمل واجتمعت  
عنه لتعذر اقامة الادلة والقرائن مصداقاً لما نقول فمهما

فما قد حدثت جريمة جديدة . . . ففي ديف مائت . . . ولكن كيف السبيل الى  
تبيين سبب موته ؟ وكانت غادة البقاع ترتجف وتدهش عند تصورها شدة دماء الروسة  
سعى صارو فريداً من اذى الخلق واعظمهم مكرًا فانها ضربا آباط الامور ومقابها  
وحذرا مظان الشبهات ومواطنها واذا كانت مهم في وادي هذه المواجه خطر لها ان  
بعض كلمات تساق الى رثاء الضابطة تكفي في الدلالة على ما هنالك ولعلها تمنع مزيد  
الشر وقد لاح لها ما هالها من اقدام رجال الحكومة على العقوبات والتحقيقات فان  
قدرت ان تقيم الادلة والبيانات مبط الامير فريد من درجة عزه الرفيعة الى دركة  
الذل والهوان فتكثر القالة في شائها . ثم عاودها ثبات الجاش فقالت في نفسها : اني  
ارضى بكل ذلك ولا اخاف القيل والقال وحسي تسلية عن الكرب ما لا اعده من  
شهادة الاسن عند اعتقاد الضمائر براءة ساحتي وظلي واخذي بالمكر والمخدعة وصبري  
على اموال الدفاع عن شرف الذات

وان لم يترتب على تحقيقات الشرطة اثر مهم فلا تخطر عن فائده مستقبلة وهي تنبه الضابطة الى ما لعله يحدث في القدم من الامور المكرة فأبان وقع خطب استأنف الشرط تجديد البحث والتنقيب ووفقا على الحقيقة . وبانت كل ذلك الليل في ارق وقلق وعند الصباح عزمت على الامر وكتبت الى ادارة الضابطة ما يلي « ار ان جرائم كثيرة تقع ولا تالمها يد العدل وما زال خبرها مكتوما فانا من قد اُصيب بواحدة منها وسينزل بغيري مظالم اخرى او كآتي بها قد تمت فان ثلاثة رجال على خطر الملاك وفي حين كتابة هذه الرسالة ارى احدهم دفقا ماتما ! وما ادري ما جرى على الآخرين وم من بيت اللياوي في جهة مينا الحصن على شاطئ البحر فان ابدي الاشرار المتآمرين تبطش بهم بطشاً وقد آلى اولئك البغاة على انفسهم ان يهلكهم عن آخرهم طمعا في ثروة عظيمة واسعة وانما الماعل رجلان احدهما يدعى الروسة والآخر ... »

وقد توقفت ان نخط اسم من تلبست به على الرزم منها — اسم زوجها المعروف بين الناس — ثم رأيت ان ذلك لا يمنح التصريح باسمه شفقة عليه او حرصا على شرفه او ضما بعرضها ان يلم به فان كل ذلك لا يبطعها علما بان انفاذ اسرها ودفع الشرور ومنع الجرائم افضل واولى بها وان كان فيه مظنة قدح وذم خلا ان قلبها قسا على فريد قسوة لا يمازجها رافة ولا شفقة على الاطلاق لانه كان علة بلائها وسبب شقاءها وشقاء عائلتها وبدا لها في الامر بداء فتلوت مخافة ان التصريح باسم الامير فريد على وجاهته ومكاته ونفوذ كلفه في دوائر الحكومة يكون باعثا على حبوط هذه السعاية والاعراض عن هذه العريضة وانتباها ظهريا اذ لا يطلع في تصدق هذه الوشاية عليه فيكون حظها لدى من فصل اليهم من المناكب وانفاض الرؤوس انكارا وازدراء ... وظهر لها ان شكوى فريد عقيم لا تجدي نفعا فعولت على عدم ذكر الامير فريد وختمت الرسالة بما يأتي « اما الآخر ... فتشوا عليه ليس بين الصعاليك ولا المعديين الهائسين ... »

ولكن انظروا الى من فوقهم قدرا وبجسوا بين السراة الكبراء

وانفذت الكتاب الى ادارة الشرطة ولم تضع في ذيله اسم من ينسب اليه

## ❖ ١٠ ❖

وقد آن ان نعود في الكلام على ما كان عند شاطئ البحر بناحية مينا الحصن حيث كان اندراوس ملقى على فراش الترع والاحضار والى جانبه عزيز ومرغيتا وتحدث

عما جرى قبل ذلك اذ كانت مرغريتا تمثل بقولها « ان المصائب يمرُّ بعضها بعضاً »  
 فان من عادة ميخائيل اللياوي الممتنع ان يثوب الى بيته عند غروب الشمس  
 لا يستأخر شيئاً من الوقت مطلقاً وهو مطبوع على حب ترتيب العينة ونظام احوالها  
 الف ذلك مذ نقلاً وشب - ومن شب على شيء شاب عليه - ومن صفاته انه يخوف  
 البدن ضعيف البنية ارباً وقد وخطه الشيب . ومرت الدقائق في طي الساعات على  
 الخادمة مرغريتا وهي تنتظر عودة سيدها بذهاب الصبر والجهد فقلقت وجزعنت فارسلت  
 من يسأل عنه حيث كان يتردد فرجع الرسول ولم يقف له على خبر فازداد برغريتا  
 القلق والخوف عليه واغرورت حينها فكررت قولها « ان وراء البلية بلايا والحنة  
 تجر الهمة » وما كان يدور في خلدنا انها على طول مقامها عند اللياوي لم تهدأ ابداً  
 بالمحضور مثل هذه المرح . ولما رأت شدة شفقة عزيز على اندراوس كاشفته بما تخاف وتخشى  
 فسكن روعها بيد انه هو نفسه كان مضطرب البال بذكر قصة خطاف غادة البقاع  
 واخفاء والدها الشيخ البقاعي فلا بعد ان تكون تلك الايدي الباطشة قد ذهبت بميخائيل  
 اللياوي ولبث عزيز في حيرة من الامر بضرب اخماساً لاسداس



تقدم الكلام ان الروسة لما احاط علماً بمخبر عائلة اللياوي صم على اهلاكها بان عند  
 موافق مع اشياحه في منزله بالربطة واتخذ على نفسه التدبير على هلاك اندراوس  
 الشاب واوجب على مهرها ان يتولى اغتيال ميخائيل اللياوي وان كليهما يفعلان في  
 يوم واحد فانطلق مهرها وما لبثت ان وقف على شان اللياوي فتصدت عصر النهار  
 في مهد عمله وسأل عنه فلقبه وقال له: آت سيدي ميخائيل اللياوي او كانت زوجتك  
 السيدة حنة البقاعية ؟

— نعم انا هو  
 — في كلام صم القبه عليك وقد طالما مجتحت عنك حتى هديت اليك اليوم  
 — قل ما بدا لك

— اني مامور ان اتف على جلية امرك لمسألة ذات شان كبير لك فيها خير  
 كثير وكونها سرية لا ينبغي التحدث بها الا على خلوة تامة فان شئت ذهبت مساء  
 اليوم معاً عند من ارسلني اليك وهو يطالعك بكه الامر وان رمت مزيد الياف  
 صلم معي بعد الفراغ من حملك الى مكان قهوة على شاطئ البحر وهناك اتم لك الحديث

— اني لم اعود القعود في اماكن التهوى — وشديد على المرء ما لم يعود — خلا اني  
أكره الابطاء عن ميعاد ايامي الى بقي فان امكن لك فاخبرني الآن بالقصة ولا تدع  
شيئا منها

— لست طالما بكل ما تهلك معرفته ولكني مخبرك بل مبشرك باصاة ثروة عظيمة  
ان طاولتني واذعنت لي وعملت بمشورتي وانما الثروة المحدث عنها تساوي ملايين من  
القروش قد ساقها اليك القدر المحتاح وسأها لك حتى الارث أما انت جدير ان تصير  
معي اليها ؟ ...

وكان ميخائيل اللباوي يعجب ويندهل ما يحدث به فقال له : اني لي مثل هذه  
التركة ولم اعهده في عائلتي اغنياء عظاما ؟ ... اما امرأتى فقد هجرت بيت ابيها منذ مدة  
طويلة ولا علم لنا بمصيره  
— كيف كان ذلك ؟

— غاية ما اعلم من السبب في ذلك انها فارقت والدها مراغمة وذهبت معي هيما  
لي وغراما ففكر هذا الامر على عائلتها وساءم جدا حتى انقطع ما بينهم وبينها كل  
مواصله . اما انا فمذ خلعت اليّ واقامت معي لم اخل من لوم ضميري وتائبه على ما  
فعلت وانبت من المجرأة فرأيت ان استكفي هذا الهاجس والبلال بالتخاذلي روجه  
شرعية وهكذا بارك الله زواجنا ووهب لنا ولدين . واما ابوها فقد سألت عنه بعد  
ذلك فأنبت بموته وكانت امها قد توفيت من قبل وكان لها شقيقان وبلغني ان اباهما  
كان اوصى بهما احد اصدقائه فهاجر بهما من بلاده مستحيا كل ما اتصل اليهما  
بالارث من والدهما ولم نسمع من بعد ذلك بجهنهما . واما امرأتى فكانت لا غتر من  
السؤال عن اخويها منذ السنوات الاربع التي قضياها معا الى ان ادركهما الوفاة ولم  
تعلم بمكانهما وانا ما زلت اجهل مصيرهما حتى الآن

وكان مبروبا بسمع هذه الكلمات باصفاء تام وواجهه نغمه ان هذه البيانات  
لا تخطو عن فائدة عند سيده الروسه والظاهر ان احد الاخوين الذي هو بولس البقاعي  
قد عاد الى الوطن ولم يدرك اللباوي بعودته فلما اتم حديثه قال له : لقد بشرتك بادراك  
ثروة وافرة وانت بالخيار في اتباعي الى من ارسانك اليك او في البقاء هنا فان رمت  
الوفاق على الانطلاق معي وقفت هناك على حقيقة الامر وما عنذا انظرك في الفندق  
القريب من محلك ربنا تفرغ من مشاغلك

— اني منطلق معك في المريد وثقا بمشورتك

وبعد غروب الشمس جاء ميخائيل الفندق فالتقى ميروبا بتتظن فرحب به كثيراً  
وسأله بلطف احتيالي ان يجلس اليه بضع دقائق انتظاراً لورود العربية فاجاب وقال :  
اظن المكان الذي تقصد بعيد الشقة من هنا ؟

— لم يخطر بباله ذلك ولكن من هو مثلك جديراً باصابة ثروة واسعة معدة له يسهل  
عليه اتفاق نزيه من الدرهم في سبيل احرازها وآمل ان هذه البشري تأتي بخير يعوضك  
اضفاف اجرة العرب

— لا شك في ذلك وثني اني سأكافئك على تعبك  
— آمل ان لي ان اناولك كأساً من الجعة (المبيد) وانا آخذ كأساً منها ونشرب  
كلانا بسر الثروة العتيدة . وبصر ميروبا بالعربة مقبلة وكان بين يديه كأس منعة  
(ملائة) وزجاجة فيها مايلاً قدحاً آخر من النبيذ المذكور فصبه لميخائيل وقال له : اشرب  
ها ان العرب جاءت

— اني اشرب هذه الكأس بسرك يا صاح  
— واما اشرب هذه ايضاً على ذكرك يا مولاي  
فشرب اللبازي المخدوع ولم يشعر ان في الكأس طعم التروتين الذي كان دافعه له  
بالجعة ميروبا المكار للذهوله بها طرق مصمعه من خسر الثروة وايتدر ميروبا ان حاسب  
صاحب المنزل (اللاوكت) بشن المشروب ودعا ميخائيل الى ركوب العربى فركب وركب  
الى جابه ورأراً بعينه الى السائق باسماً وقال : سرينا مسرعاً وكان ذبوا احتمال الروسة  
الاشرار قاتل نسب فصعق بالسوط فعدت الخيل شديداً في طريق المنارة  
اما الشيخ اللبازي فما لث ان شعر بشغل في راسه واصفر وجهه فقال يا عجباً كافي  
بالارض تدورني مثل فلك واحس توجع راس وارتماء احصاب واجد في جمدي  
توصياً وما ل على مفك العربى فاستدته ميروبا حساً فراجعه الكلام بان قال : ما زلت  
استشعر اضطراباً شديداً ولعله من اجل شرى الكأس بنفس واحد فارى في معدتي  
تقللاً ولا ادري ما اصابني فقل ذلك من شدة الفرح بالبشري — ومن فرح النفس ما  
يقتل —

— ربما كان السبب ما ظننت . ومها يكن من الامر فاحسب هذا العارض  
شيك الزوال — على ان الشيخ كان قلقاً متزلزلاً لا يستطيع ان يقعد راسه وكانت  
العربة مطبقة مستورة والوقت بعيد الغروب والليله مظلمة فلم يبصر احد عابري الطريق  
من في العربى خصوصاً انها كانت سريعة المجري في طريق المنارة — ثم قال الشيخ لميروبا

هل لم تزل المسافة بعيدة فاني اشعر بالمر في قلبي وعدت لا ابصر شيئاً ثم نكس راسه الى صدره وانغصص جفنيه وسكن لان التركوتين كان بلغ منه كل مبلغ فحركه ميروبا وقال : ما بالك ساكناً ساكناً ؟ تذكر انا متوجهات للبقا رجل ذي قدر ومنزلة ! ... فائر هذا الكلام في نفس ذلك الشيخ المتفاني فقال نعم ... نعم ... لا انا ... لا انا ... بيد أنه ما عزم ان اعتراه تغير شديد اصابه الى الهذيان وقد حلك الظلام وانتهت العربية الى جهة المنارة فدعاه ميروبا فلم يجبه وبات كالميت لا يسمع ولا يفكر فاشار « اي ميروبا » الى السائق ان آتته لان هذا اوان العمل فارتعدت فرائضه مع اعتياده التلك وسفك الدم وجعل الخب الماكر يقتش في ثياب ميثائل الفاقد الحس والوعي لان التركوتين اعدمه كل حركة واتعبه اذ سرى منه في جميع مفاصله وعروقه فاخذ كل ما وجده معه من الاوراق ثم فك ازرار ردايه وقام بهودة وتأنر شان من يفعل امرأ عادياً واخرج من احدى جنات العربية خنجراً وطعته بو في صدره فنذ من صلبه ونزعه نزعاً تذيب قاب الجراد اما الشيخ المسكين فلم يبد حراكاً وانما فتح عينيه واطفها وفاضت نفسه

## ❦ ١١ ❦

فاشار ميروبا الى ذبيو ان العمل قد تم وبقي ان نطرح البجة في البئر وما كادت العرة تقف في جهة المنارة الا وقد دنا منها خمسة من ديدبانة ادارة حصر التبغ كانوا يحولون في ذلك الليل الدامس منعاً لتهرب الدخان فارتابوا في مسير العربية ووقوفها هناك وصاحوا بسائنها ان قف وجاءوا ووقفوا في سبيلها معترضين فابتن ميروبا بانكشاف الامر وخاف القصر عليه فاجدر فبح باب العربية من جهة البحر وم بالهرب فازداد انديدبانة فيه ارتياباً فتبعه اثنان منهم فلم يجد مناًصاً الا ان التقى نفسه في البحر وكان احد اولئك الرجال قد طير الخببر الى شرطي (بوليس) المحلة استنجاداً واحنياطاً فجاء من نوره في نفر من المجد اما السائق ذبيو فلم يستطع الفرار وحاول ان يلبس الخيل ضرباً بالسوط ولكن الديدبانة منعه فاستسلم اليهم مدهوشاً من شدة الارهاق واذا وصل الشرطي والمجد وجدوا ميروبا قد اقيم اليه وذبيو بين ايدي الديدبانة الذين ساءم وجدانهم في العربية جثة قتيل بدل التبغ المهرب المطمع بنيل قسطهم من المكافأة النقدية واقبل رجال الدرك يفتشون على ميروبا في البحر فلم يلحقوا له اثرًا فحطرت لهم انه هلك غرقاً او عطب بسبب سقوطه على اثنان الفحل (صخرة في الماء)



فساقط المحوزي ذيبو والعربة عليها القنيل الى دار المحكمة وداؤوا باستنطاق السائق  
واخذ المعلومات وتقارير اليهود اما ذسو فظهر الاستغراب من القبض عليه اما  
الشرطة متجاهلاً منكراً كل ما حدث داخل العربة وجاء المستنطق ليلتذير بقرره بايجاز  
قال : ما اسلك وما هو رقم عريك وابن محلك ؟

— اسمي اسعد الميهطل ورقم عريتي ( ٨٥٠ ) ولدي اجارة في مزاولة مهنتي ومسكني  
في محلة الدحاح من البلدة حيث استأجرت بيتاً — وكان صادقاً في ظاهر قوله لان  
الروسة لما اضر العر لعائلة اللجاوي امر ذيبوان بزاول مهة سوق العربات وبأخذ  
في مزاولها رخصة نظامية متملاً اما مجهولاً ويضع على عربته الرقم المذكور وهكذا  
تأتى له ان يجاوب المستنطق باحتراس على اسئلته —

( س ) متى اكربت العربة ولم ما سمت اول الامر في الاستسلام ؟  
( ج ) ما اذا اخبر بكل ما جرى فاقول : كنت راجعاً الى مركزي بعيد غروب  
الشمس ففرض لي في الطريق رجل واستوفي ومعه آخر واستاجر عريتي مساعداً ..  
امي مكاراة بالساعة — ودخلها ورفيقه واطلقا بابها ووافذتها وامرني الذي استأجرها  
ان اسير بها في طريق المنارة مسرعاً ففعلت واما غير مشه ولا مكترث لما يكون  
داخل العربة خصوصاً ان الوقت كان ليلاً أليل وما رأت كذلك حتى انتفض لي  
دهدبانه حصر النبع واستوقفوني فابي عليهم مستأجر العربة وامرني بمخالفتهم فطأوعته  
طمعاً في مزيد الاجرة والكراء « اه »  
وبمثل ذلك كان ذيبو السائق يروغ عن مفال الحق ناخار ملقة قرب من حد  
التصديق

اما المستنطق فداخله الشك المريب في شدة مائة السائق للديدمانه لاسيما ان  
واحداً منهم قال : انه شهر عليه الخنجر جهولاً ونحوهما ليجلي له الطريق . واما ذيبو  
فاعتذر عن ذلك بان شدة الغضب والحدة قاده الى الجاهل بالمقاومة القاصرة على  
مجرد الاخافة دون العمل

وسال المستنطق عن الخنجر فلم يظهر له اثر لان ذيبو لما رأى ان لا سبيل الى  
التخلص وان جرح يؤاخذ دهدبانه حصر النبع زاد الامر جسامه واعضالاً القاء في  
البحر واعتذر للمستنطق بفتكه وضاعه

وقد اقتصر على هذا الحد في الاستنطاق الابتدائي وامر بتوقيف ذيبو واتيم عليه  
شرطي يحميه ويبحث يسأل عن حاله وصفته رأز ( شيخ ) ساقه العربات في البادية وكتب

## جريدة التحقيقات

واستدعى بطبيب البلدية فاجاء وسارع في الكشف الطبي عن جثة القنيل وكتب في ذلك تقريراً قال فيه : اني لم اجد في جسد الرجل القنيل سوى جرح يبلغ طاقع في الصدر الى جهة القلب وهو عمل آلة قاطعة نافذة وبسببه حدث الموت في الحال وبحث الشرطة في جيب القنيل فلم تلف شيئا يستعان به على استظهار الحقيقة لان مبروبا كان قد اخذ كل ما وجدته معه من الأوراق المكتوبة كما تقدم المخبر ولكن رُئي على ثيابه هذين المحرفين ( م - ا ) وبما ان المقتول لم يعرف أرسلت جثته الى الكرنينة مع احد البوليس ليعفظ هناك الى الغد اذ لم يستحسن ابقاؤها في دار الحكومة اما البوليس والشرطة فلما اعيام الوقوف على آثار القاتل في البحر وقد تنصوا في البحث كثيراً ولم يهلل بطائل ليلتذ ايقنوا انه هلك غرقاً وان سيفذه التيار الى الشط غذا . وهكذا اكمل مامورو العدلية واجابهم محققاً وتحقيقاً في اثناء ذلك الليل البهيم واما مبروبا فانه ما زال حياً لانه حين التي نفسه في اليتم لم يستطع دفعة واحدة بل تزحلق رويداً رويداً على تلك الصخور المائتة عند الشاطئ فاصابه انفاريسها في يديه ورجليه ورأسه محمقا وتغديهما وما زال حتى انتهى الى الماء وقمر هناك وهو على اقصى الاعياء والدم يسيل من خدوشه يده أنه ما لبث ان ثابت اليه قوامة واحسن بان الشرطة مجدة في طلبه وادراكه فلجأ الى مغار وجده اتفاقاً ونطاري فيه ربها استراح بعض الشيء ثم خاف ان يراه رجال الدرك الباحثون عنه فلما سمع صوت جري العربية رعى نفسه في البحر وكان يحسن السباحة كل الاحسان فاسكه الايفال في اللجة وكان يجهد ان لا يعم على وجه الماء مخافة ان يرى وكثيراً ما كان يرفع رأسه لينظر هل احد يتبعه ويتنص اثره فلم ير له متعقباً فامس وسكن جافه واستمر يسبح محمراً اتم الاحتراز غابراً من جهة المارة الى جوف الزميلة فدنا من الشط تحت شج اللبل الدامس وخرج متصاعاً الى منزل الروسة المعروف ثم وقد قطعه التصب والاعياء والدم يسيل من خدوش يده فالتى سيده المذكور فجعل يقص عليه ما وقع له فقال كان من الامركيت وكيت الى آخر ما جرى

## \* ١٢ \*

صباح اليوم التالي اقبل شاب على قصر الامير فريد في المدينة وطلب يدور حوله فهو ساعدين الى ان تحقق خروج الامير ، فخرج الشاب فاجاء الخادم فقال له :

استأذن لي على مولانك

فانطلق فاعبرها ان في الباب زائراً فاذا في الدخول الى الردهة فدخل  
وكان الرجل عزيزاً فاعجب بما رأى في القاعة الكبرى من فاخر المفروش والتكاآت  
البديعة الصنعة وعلى الابواب والنوافذ من السجوف المشاهية في الحسن وعلى الجدران  
من ضروب النقش والرسوم المختلفة الاشكال والاصباغ التي تمثل للرائي كل ما يروى  
ويشوق من صور الطيور والاشجار وفي السجوف من بدائع صنعة النقش المذهبه  
ما لا يكاد يوصف ويندر مثله حسناً وانفاً وبهاءً ورونقاً في دور يبروت وقصور  
المقامة وعلى حيطانها مرايا كثيرة من البلور تحت كل منها ساحة مشرجه في نها  
الاحكام والانفان يعلوها ساعة كبيرة ثمينه الى اشياء أخر كثيرة من النصف والظرف  
النفسية يجار فيها الناظر وفي جوانب القاعة مقاعد وكراسي مغطاة بالاطلس والحرير  
وسط الدار مائدة غطاؤها مرمر متوش فوقها آية الزهر فاجنار عزيز اثر الخادم واطن  
بساطاً عجباً كأنه منسوج على قدر ارض القاعة ولما دنا من باب الردهة دعاه الخادم ان  
يدخل رافعاً السجف امامه . وكان عزيز يتأمل ما هناك ويتفهي العجب ما شاهد من  
آثار النعمى واليسار والزينة والرخاء وكان مع كل ذلك مقبض الصدر لا يتانه ببناء  
هم الى غادة البقاع . فوَجَّحَ باب الردهة ووقف مستوحشاً لان كثرة الاثاث  
والسجوف المسدولة على النوافذ جعلت المكان مظلماً بعض الشيء فلم يبصر لاول  
وهلة ما في داخله فتوهم انه متوحداً هناك لا ايس له وفيما هو كذلك اذ سمع بفتنة  
صوتاً رجباً قد طالما طرق سمعه يدعوه : يا عزيز !

وكانت غادة البقاع جالسة في الردهة على كرسي كبير فقامت من فورها واقبلت  
نحو عزيز ومدت له يدها للتعبة فاخذها مصاحفاً وقد ظهر له جوانب الردهة اكثر ضياء  
شان المبصر بعد دخوله مكاناً فرأى الاميرة لاسه ثوباً ساذجاً من الصوف الاسود وهي  
عاطل ليس عليها شيء من الحلى والزينة وكانت صفرة وجهها تزداد ظهوراً تحت  
حالك شعرها في قبائها الاسود فنظر عزيز الى ذلك الحسن المتمثل لعينيه عجباً ولم  
يكن ليكتفي رنوا اليها فيجمل يسبح الخالق ذاهلاً عن كل امر حدث ساهياً عما جله لاجله  
وقد ذهب عنه ان غادة البقاع متبذرة بعد الزواج مع رجل غفوه لان عواطف الحب  
قد ثارت في قلبه فاضى ثلاً نشواناً ناعماً في اودية الهوى والغرام وكان انسان عين  
كل منها يوحى الى الآخر بياناً عما كان يتوقد في الحشى اشد من نار الفضى  
وما كانت غادة البقاع لتخاف باساً من عفتي هذا الهيام لانه خلا عن كل ريبة

بل عن كل نية سيئة نضلاً ان الهبة قد تمت موهبا ونشأت بنشوءها ولم يفرقا اختياراً  
بل اضطراراً وقسراً بفعل اولئك الطفام الاشرار

وغادة البقاع ما كانت لتحب نفسها زوجة فريد لما ان هذا الرجل الشرير القاتل  
لم يعد ان كان بها حاكماً جرياً على منتهى عند ذلك الزواج الاكراهي مهدداً وتخويفاً  
لغادة البقاع بفنل ايها ان آبت وامتنعت من الموافقة على ما تقدم الخبر ولهذا  
اسهرت نود عزيزاً بل ازدادت له حباً خصوصاً انه كاد يذل حياته في سبيل  
اقتادها ومن اجل ذلك قالت له : آه يا عزيز ما احسن مجتلك ! .... بودي  
لو تعلم ما صرت اليه من العيشة الشؤمى ... ولكن مراك بعيد الي بعض التجلد  
ولي به مصحاة من سكر الغم ومسلاة من كرب الهم ... فاني لفدة سأمي الحياة  
كثيراً ما تميت الموت بمشيئة الله تعالى

ثم اقبلت الى عزيز واعتبرت في مروءته وحسن شيمه وكرم طباعه وما هو عليه  
من صحة المزينة والحمية وقالت : لقد اخطأت في تمني المات ولي اخدان مثلك يندوني  
بالارواح ولكن مالي وللأسف والاهن فلست بذاكرة الا غضي على ذلك الخبيث  
الماكر الشقي وسوى الي اموالك فاخبرني ايها المحل الوفي بما حدث  
— جريمة أخرى

— آواه ألم يكن ما كان من الجرائم ؟ ... ودقت بدايد ولطمت وجهها من

شد الانفعال

— الى الآن لم اغتفي ما وقع ولكن قرائن الحال تدل على وقوع جريمة جديدة

— قل ولا تبس شيئاً فانه قدني على الشاب اندراوس البجاوي .

— لا لم يمت ولكن الاضياء بائتهم قالوا انه عن قريب يموت ولا بد في بقائه

حياً وشفاؤه من مغبة الامر لم يتبين بعد هذا الحد فان والده مفقود خرج من مكتبه  
امس مساء ولم يعلم مكانه وزادته ان يؤوب الى بته آخر النهار بخلاف عشية امس  
فانه لم يحضر ولا بد له من امر مهم وساجبت عنه اليوم وتد معني البحث عنه في هذا  
الصباح ما اجد في جسدي من توصيم الارق والسهد لاني احيت الليلة العابرة في  
هواجس ووساوس واذقت الرقاد ان تبونا واول ما فكرت عند الغداة ان آتيك  
واخبرك عما كان وهانذا منذ ساعين ادير حول هذا القصر متربحاً فرصة خروج  
الامر فريد وذهابه لاراك والذي رايته ان الشيخ البجاوي لم يعد الى بيته حتى الآن

— آه من هذا الانسان فريد ! وتبا لانه وزملائه ! ونوجوت ببصرها الى

## ١٣

وقد صدق حدس غادة البقاع ذان فريذا اول ما وصل سألها ان تأذن له في  
الجلوس اليها محدثا . ولم يمهله ان شك في اجابها هذه المرة اذ انه صار من الهين عليه  
ان يراجعها في الامر وان رأى منها « بوء » وناراً لشدة ارتكاسه في اللبائل والمواجس حتى  
عاد لا يدري ما يفعل وقد انسرنت جميع حواراته الى غادة البقاع ووجد بها وجداً  
لا قياس له ولا حدة ترخصت به . وتتمنى في دخيل مقصودها فولوجها مضطرباً مرتهناً على  
كونه شديد اللباس قوي المحول ثبت الجذبان فاخرج من جيبه متدبلاً ومسح عرق جبينه  
ودنا منها وخطبها خافت الصوت او بالحري كان يغعم غنمة المذخور بان قال : يا غادة  
البقاع اني اراني سعيد جداً بما مهدت لي من سبيل مشاهدتك ومحادثتك . . . ولا سيما  
هذا اليوم . . . فانك لولم تأذني لي في ذلك ما عدت عاذني في موافقة مشيئتك . . .  
فان لحك دلي سلطاناً غالباً ثوباً لم يبق لي معه ارادة مستقلة . . .

اما في فلبث وسط المكان ضامرة لا تنبس ولا تظهر مالاثة بقوله ولا تحرك  
شفتها احتقاراً له ولكن علق بذهنها كلمة « ولا سيما هذا اليوم . . . » فجهلت تنكر  
في مراده منها

وكان الامر فريد قد شحب لونه وشغل بدنه وتقصرت وجته من افزال . . . وكان في  
جسمه حتى الدق تضيقه والى الاجل تدنيه . . . وظهر في وسط جبينه ذفن بين بدل على  
شدة قلقه واضطراب باله ولبالاه . . . وكان ارتجاف شفتيه ينشئ عن حزنه المستمر . . .  
وكلما مرّ عليه ساعة يشعر بتدل وخافة اندر دليه وما ساهه من المضروائل والهول

وقد اضنى كأنه شبر ذلك الشاب الفيساني المدل بسطوته وقوته وغناه وهو ذو  
جاه عريض وشرفٍ حاعد وجدٍ مساعد تنبأى بحدة ذهـه وحسن روايته ودرايته حتى  
كان لم يكن من اثر لمن كان بهم أن يتخطى جميع العقاب الصعاب وبذل كل المشكلات  
والخطوب لا يثني عزه هول من الاموال واقد ياد كصعوك ذليل تحسبه بنوه  
بعبئه ثيل

ونظرت اليه غادة البقاع في هذه الحال ونالت : لقد أشكل عليّ من كلامك كلمة  
لم افقه مغزاها وهي « انك تجد نفسك سعيداً بمشاهدتي خصوصاً هذا اليوم » فما مرادك  
بذلك ؟

— ما وضع لك المعنى باعادة البقاع ...  
 — أملكك تريد ان تعجل باعلاحي اصرارك على آثامك ؟ ...  
 — بكفيك باعادة البقاع فدعي اللوم والتفريع  
 — أو تودان نقول لي انك هديت الى معرفة تلك العائلة المتعصبة المجد التي  
 طالما مجنت عنها مجزذك وانما هي ذات قرابتي ومحبي لما ان تراث نصف التركة الماتجة  
 بك داعيات الطبع ؟ ... أو أنت تدعي لنفسك المسرة لشعري انك وزميلك  
 الماكر الشرير قد نسى لكن اهلك اثنين من هذه العائلة ... الاب وأحد بنيه ؟ ...  
 — ولا سمح فريد ذلك فائز ثأره وقال : من ذا اعلمك بهذا ؟  
 — لا يفصك ان تعرفه افلم يحدث ما قلت ؟ فلا تسلي عن اخبرني  
 — مطرقا — ان ذلك صحيح

فتنهدت وصاحت : وملك من لص ... انك جان قاتل — وتباددت عنه من  
 آخر المكان الى الباب الذي عليه الحجاب كأنها تريد الالتجاء بن هو متوارٍ وراءه  
 — اي عزيز — اما فريد فصر ولم ينف بكلمة وكان غريب السمحة مكفأ الوجه وقد  
 عاودته رعشة يديه واصابه تقبض في انامله وحاول النجاة من شدة انفعاله الذي كاد  
 ان يذهب بحياته فقالت له : انت وزميلك قد قتلنا اندراوس اللياوي او كدثنا ان نقتله  
 لانه دنف داني الاجل

— أهو حي ؟ وقد برقت اسارير وجوه بفتنة دلالة على الاستبشار الذي لم يملك  
 اخفاءه

— نعم هو حي ... اقواه منك فانك تخاف من يشكوك ويرفعك الى المحاكم  
 انيس كذلك ؟ هو حي وانت ترعد خوفا ! هو حي ... ولكن سكن روعك باشقي  
 فربما توفي المعانة ...

فتنفس الصعداء وترك الدفاع عن نفسه علما بانه ان نفى مدافعا كذبه ... ولو اخبرها  
 بمحاولته افانني اندراوس من ذلك الخطر الذي كان يخافه عليه ويعلم عظم هوله ما  
 صدقت دعماء بل رثته بالخداع والفش ...

وكانت عادة البقاع صفراء من شدة الغضب فارادت ان تلم كلامها : لاشك انه  
 ليسررك ان تراني اليوم لتخبرني بمينة اندراوس ... ولا ريب ان اليد الباطشة هي  
 هذه اليد المتوارية مرتعشة من الوجع ... وكنت احسبك اثبت جاشا مارأيتك وان  
 الدم لا يهولك كل هذا الهول الذي اراه الآن لاعتقادي اعنيادك سفك دماء العباد

فاجابها بصوت اجش كن عدم الصبر والمجد ولم يطق اطالة الكلام فقال : عادة البقاع لا شيء يفيظني من كل ما ترسمني به لانه سياتي يوم اسطبع فيه الجواب على اقوالك كلها

سوطي م تلتكأ وتؤخر جوابك ان كنت قادراً ان تدفع عن نفسك ؟ ولم لاتنصل من التهمة في الحال ؟

فنهذه وتآوه تكررأ وقال : لما بين الاولان .. فاطرق وسكت قليلاً وهو يدنو نحو عادة البقاع رافعاً راسه شيئاً فشيئاً وناداهـا باسمها وقال : اسلفت لك اني اليوم اراني سعيداً جداً لقبولك زيارتي بخلاف سائر ايامي السائلة وانا اشعر بسرور عظيم في اثناء محادثك ... ولست اروم ان يكون غوري مخبرك بما انا محدثك عنه ...  
— ملذا نعي بكل ذلك ؟ اني لافقه من مقالك شيئاً ...

— انك ستنبين . جبر يا عادة البقاع قد حدث جرم ان آخران في هذه الايام الاخيرة لاجد بها خاف عن ارباب الحكومة لعدم الاحتياج في اتياهه الى استعمال الحديد او السم ... اريد بذلك مقتل اندراوس ... والجرم الثاني هو الذي بحث عنه مامورى العدلية ولا بد ان ينال فاعله الجواز اريد بهذا منزل الشيخ اللبائوي الذي درى به رجال الديرك بوطليبا قاتله فادركوا احدهم وهو من العمال الاشرار الشرسي الاخلاق شديد العزم حريص على حفظ الامانة والندام لسيدته الروسية من تكرهين مماع ذكره كبرهك لاسي ورمها تؤدي معرفة العامل الى معرفة المدبر وان اخذ الروسية فلا اقل من ان يجزى هو بالموت وانا بالمحبس الدائم (الكورك) ... بيد اني اتخلص من مشاق هذا الحبس وعذابه بالانتحار ... وحيثئذ تجددين المماس ... فهذه بشارتي لك يا عادة البقاع فسري وافرحي

فلتهنت وهبناها تبرقان. وقالت : ان ساعة العدل لما تات ولكن ستاتي ويكون القصاص كافياً انتقاماً وانتصافاً لجميع من ذهبوا شهداء في سبيل الفوائل والمكاييد ...  
— ولكن اعلمي ان القاتل الذي لدى الحكومة لا يتكلم ويموت ولا يقر على مولاه الروسية وقد اخذت كل التدابير على غاية ما ينبغي حتى يعسر العلم بمن كان السبب في هذا الجرم ... ومن ثم فان القاتل لا يتكلم ... وان لزم الصمت فموت انا بالروسية ...

— اضرع الله تعالى ان يلهمه الندامة والتوبة فيتكلم  
— لا تطعي في ذلك يا عادة البقاع ولكن يوجد وسيلة اخرى لاهلاك الروسية

وزيلائه... وهي ان بنى الى ادارة الشرطة ان المتجسس عليه هو من مجال الروسة فهم  
يوضح هناك سبب قتل الشيخ اللهاوي والعزم على فرض عائلك ملئاً بادراك التركة...  
وبذلك يتسنى لك باعادة البقاع ان تسري وتفرجى لان من تخفيهم لعدة اسابيع  
يصبرون الى شفا الملاك والردي

فتبسمت غادة البقاع شافئة فريد وقالت: ان مشورتك قد تأخرت عن ميعادها  
لان ما نقوله قد صار امراً مفعولاً

وما كان فريد الا ان تبسم حزينا مقابلة لتبسم غادة البقاع واخرج من جيبه رقعة  
مطوية ففسرها ودفعها اليها فاخذها مرتابة وقرأها مرتابة فامتنع لونها وانما في الرسالة  
التي كتبها منذ قريب وفيها اهمام الروسة بالمتكرات والشروخ لولا من ذكر الامور فريد  
فقال لها: اني اشكر لك على عدم ذكراسي ولكني ولا شك سأأخذ تبعا للروسة اذا  
قبضت الحكومة عليه لانه هونسه يخبر عني ويفري بي... ثم جثا الامور فريد  
على ركبتيه لدى قديمي غادة البقاع واتم حديثه: اني احب يدك يا سيدتي— احب  
اليدي التي تسوقني الى البلية... احب اليد الساعية في ادناء اجلي وللهامسي ثوب  
العار وايراداسي مورد النمل الهوان...  
— هوذا الكتاب فكيف حصلت عليه؟

— غير خاف عليك ان للروسة اصدقاء في كل محلة فلما وردت الرسالة اعطوه  
بها فسعى للحصول عليها وهانذا اخذتها منه وعرفت خطك... ولكني مشرك ان  
الغاية التي طلبها ستدركها فليكن ان تبني العمل الذي بدأت به... وادرك  
تفنين اني احبك يا غادة البقاع... واريد ان تصدقني قولي لك اني اجد الشفاء في  
حبك سعادة والثناء لاجلك راحة... وانني ادعو لليد التي قطعني فاتي عملك يا غادة  
البقاع... امضي الى ادارة الشرطة وان ابيت الظاهر بالامر وانتيبت المرأة فاكتبي  
ثانية الى المستعطي وقولي له ان الرجل الذي وقفتموه بنقل اسم اسعد المهمل مع ان  
اسم المحبتي ذيو... ومومن مجال الروسة... والذي قتل في جهة المنارة هو جيتايل  
اللباوي ويته في مينا الحصن وكفى بهذا بياناً

— ومن انباك اني لا افعل ذلك انت اذا لا تقارني من الملاك

— اسالك ذلك ملئاً عليك فيه جهدي

— أملكك شمت الحياة وبلغ جزعك الى هذا الحد؟

— اي وري اني شمت العيش وما بقي لي صبر ولا جلد على الجفاء واؤكد...



فوقى لاجلك حياة ... ولكن اعجلي في الامر باعادة البقاع ... فان الروسة اذا داخله بعض الريب فجعل الحرب ونجا من الطالب ... فلا يتأتى لك الانتقام الا من جهة واحدة وبفوتك شفاه الغليل في كبت سائر المجرمين

وكانت غادة البقاع تنظر الى فريد مستنكرة لعدم علمها بما كان يدور في خلده ويهجم في قلبه من الهواجس المتجددة واشفت ان يكون وراء ذلك مكيدة معقدة فقالت له : اذكر كلامي يوم اكرهني على اتباعك ... يوم قلت لك انذارا بانك اذا حان حينك فلا اشفق عليك كما انك لم ترفق بي وتشفق علي ... والي اكون قاسية القلب فلا تحسبن ان في فؤادي لك ماسة رحمة او عاطفة رافة ... فانك لم تشفق ولم ترحم ... ولو قبض لي الله ان احيا بعشرة اعمار مثل عمري لفضيها كارهة اياك شائنة ... وما اتي اكتب الى دانع المستشفق

اما فريد فاطرق وتهد فائلاً : ان في حشاها ناراً احابية توججها موجدتها علي . وجلست غادة البقاع الى ساحة (طاولة) وابدأت تكتب ويدها ترتعش من شدة الغيظ حتى اذا كتبت بعض اسطر دفعت الكتاب الى فريد وقالت له : اقرأه أليس يكتي ؟

فرفع راسه وقرأ الرسالة ثم عاود الاطراق وقال : هذا هو الحكم ؛ ريت الروسة والنضاء علي

واذ مدت يدها لاخذ الكتاب منه قبض على يدها بشفة والزمها جبينه وهي تدوق بالحمى وقال : الي ابنا احبك ... لعمري لا اراني مصرفاً عن محبتك رديت ام لم ترضي ...

— ان كنت ثابت العزم وضح ان فريدك بوسك علي ما جئت بذلك وانت لا تحاول ان تمكركي كما طالما كنت لي ضرورتاً من الكيد واصرتني الى هذه الحال فلم لا تسل نفسك الى الحكومة ؟ ... وتلمي تريد ان اكون اما المذهب في تسليمك اليها ؟

— لان الموت امون ما يكون عندي بل احب الي اذا اتاني من قبلك ! ثم قال وهو يتضاحك غماً — وشراً المصايب ما يضحك — لست اجد في نفسي ندماً علي ما فعلت وما كان ضميري للومني باعادة البقاع ... انما انا احبك واريد ان اؤيد حيك بالبرهان ... اودك ولتني لو توديني ساعة فاموت ... واذا مت رجوت ان تملك مواس الرحمة لمن سفت اليه اجله فترين لي وتظنين الي نظرن

الحمان والشفقة فامضي سعيداً في سبيل الهوى كالمتشهد وكأنني انشد  
ومن لم يمت في حبه لم يعيش به ودون اجناء النحل ما جنت النحل  
فقل اقتبل الحب وقبّلت حبه وللدعي هيات ما الكحل الكحل  
وذا حي

— لا أسمع في المال فذبح ما است فيه من الاماني والآمال ألم اقل لك  
اذاً خف ان ياتلك يوم تدم فيه ولات حين مندم وليس من يشفع او يرحم  
فاجابها وقله يتزق غيظاً وكذا : اذهبي اذن وديرتي على هلاكي فاني اخنار  
الموت على الحياة في جنب رضاك ! فلست اسئ لتاخير الدلاء دقيقة واحدة فهاذا  
ناثق الى السماء لاكنيك مزبد السماء فثقي بقولي ولا ياخذك فيه شك . وكان  
صوته منهدجاً كصوت من م بالكاء وخرج من الغرفة لاهثاً واجماً لا بلوي  
على شيء.

ولدت عادة البقاع مفكرة في الامر فضع دفتي ثم قالت في نفسها ان هذا  
الاسان مجرم فلو دفعته وزميه الى المحكمة كيفت وكفي غيري شروراً اخرى ...  
وجرى العدل مجراه جزاء بالمجرائم المرتكبة ... وعلى من اشفق ؟ ... فهلاً اخذتها  
الشفقة على من اغياهم بمجائل مكايدهم ؟ ... ومن هذا المرء الذي انصرف عني  
الآن بالنسبة الي ؟ ... فانما هو ابعد الناس عني ... نعم هو اجبي بل ابعد  
من اجبي ... هو عدو ... بل اعدى عدو ... هو وحش ضار ... شرس  
مفترس ... فليمت فليمت وزمياه الذرير ... كلاهما مستحقان الهلاك ! ... ثم  
جاءت الى حيث كان عرّض متوارياً مستيئاً الى المديك لا يبيدي حركة يد ان وجهه  
كان اسفر بعض النقي . فقالت له : اسمعت ما كان من المحاورة اترى مظنة للخوف  
والخديعة ؟

— لا واكمه صادق بدتواه محنتك ... وانه كان يطوق بما في قلبه ولا شك  
في كونه بينك باغادة الذئاع ...  
فتبسّمت تبسم الفاتر الظاهر وقالت : يا ويله من مغرم معنى ... آتراه كما اراه  
شديد الغم ؟

— نعم انه يعاني كثيراً من الشدائد واره شقياً بمعنى الموت لان حياته صارت شديدة  
وعيشته مرة لاتطاق ...

فرفعت بن يديها ذلك الكتاب الذي كتبه برأى فريد اخلاصاً لرجال

الحكومة على جلية الامر ليفضى عليه وعلى الروسه بالتقصاص وقالت : اذآلمت !

## ❖ ١٤ ❖

عوداً على وصف ذلك الليل الذي حدث في اخره امور خطيرة لم تتصل انباءها بفريد وحرز وغادة البقاع فجل ما كان في معلومهم مقتل اللياوي واعتقال قاتله ذيبوسائق العربية . فان الروسه وعياله عدلوا الى احداث خطوب جسام سترآ للبرمة واخفاء للجناية عن ماموري العدلية وكان أن مبروبا بعد ان قص المخبر على الروسه جملاً يمحنان في القاس اسباب النجاة من شر العقى وقد اكثر الروسه من سؤال مبروبا عن مجرى الحادث وكيفية وقوع الجناية توسلاً بهزيد الاستيضاح الى ما ينبغي من سوء المنقلب فلم يزد يماناً على ما تقدم من انه يبقا الامور جارية مجراها وكاد هو والسائق ان يخلصا من تبعه ما جنت ايديها خاليتين عن مظالم الريبة اذفاجأها القدر المتاح بما احبط مساعيها وورطهم شر مورط — وكثيراً ما يفتق ان يسبى المرء وهو يحسب انه يحسن تدبيراً —

يوشك من فر من بليتو في بعض فرائو يوافقها  
وطبق ينفصل له خبر بلوغهم جهة المنارة حيث راموا لقاء القنيل في البحر مثلاً بمجر  
كبر يعين على سرعة اغرقه واخفاء اثره وانهم ينفاجهون في ذلك اذ صادفهم ديدبانة  
حصر التبغ وكان من الامر كيت وكيت الى آخر ما جرى وانه ورفيقه حاولا الفرار  
بادي يده فلم يستطع هو سبيلاً الى النجاة بسوى المسارعة الى انقضاء اليم واسى ذيبو  
ين ابدى رجال الدرك وهلم جراً . وكان الروسه منتصفاً كل الانصات الى المحدث  
فاطماً غاضباً وبلغ منه فضررب الارض برجله وقال : انكبا لمحدوران فان المقدور  
كائن لا مفر منه وهو الذي احبط اعمالنا ونخب آمالنا . لقد اصارنا الى اسوء  
حال وعرضنا لخطر الهلاك

— اراك ياسيدي شديد الخوف مما وقع على غير داعر موجب علماً بان ذيبو صادق  
المودة لك لا تحمله شدة المضايقة على الاقرار بالحققة واليوق بالسز المكتوم الى حد ان  
تظهر داخلة امرك وتكشف خلطتك في الجناية . اما انا فلا اخال الشرطة تلتمني وتدركني  
لو مها بجنت عني ومع ذلك فلو علمت لي وادركتني ابدأ خلك شك في صحة ذماي  
وولائي لك

— اني لوائى بكم متحقق ثباتكم على الانكار وعدم الاقرار بشيء ما تعاهدنا عليه

— اذًا ما هو الباعث على الخوف

— هو ان يعرف رجال الحكومة جهة القتل لان اهل ميخائيل اللياوي اذا دلت عليهم غيبتهم فلم يبق البال على البحث عنه ومن ثم يدرون بامرهم ويرفعونه الى ارباب الحكومة فيكشف الغطاء ويبرح الخفاء

— ولكن لا ارى عليك ياسيدي خوفًا من هذه الجهة لانهم اذا عرفوا كون القتل ميخائيل اللياوي فاذا يترتب على هذه المعرفة ؟ فمن يظن ان لهذا الانسان حقه في وراثة تلك التركة الواسعة ؟ ... وانا ساعون للحصول عليها اني ... هذا اما مع تقدير احاطة اهل الحكومة علمًا بالورثة لا تكون انت موضع الظنة لبعذك في القرابة والسب عن اللياوي واخفاء الرتبة فيك من هذا الوجه

— ما زلت يامرؤسا غافلاً عن سر الامر غير متنبئ الى سلسلة علاقة فريد بالتركة المعهودة وهذا السر لا بد ان يفسد ويدفع ويعلم ان يني وبين فريد مخاطرة ومواجهة ... ولذلك نتوجه المخاطر الي واصبر عرضة للظنون ... خلال الشرطة قد بنت علي العيون والارصاد ... وان عندي الخبر اليقين ... وانما وان كانت ما زالت موقفه بزازولي امالاً غير مربية لكنهما امت ذات يوم في الوقوف على شيء من حباتي ومكائدي ... فلو خطر لها الآن ان تتعقبني ... او لو اتانا شكاية او وشاية فظهر لها الحقيقة اسميت عرضة للبلاء وعدمت الطائفة والراحة

— لقد اصبحت في ما حدثت ولكن من ذا يحسر ان يشكوك او يسعى لك الى ارباب الحكومة

— اني اخاف وشاية من يخافون شرّي او الذين حاولوا مغالبي فغلبتهم وظفرت بهم فاطرق مبرؤبا متبصراً ثم قال : اراني فعلت لما نقول وفهمت المغزى وهوانك نخشى نعمة المجنابة التي فعلنا أليس كذلك

— فكرت وحررت ما يدور في مالي وبهيس في قلبي من خوف الوشاية والمخيانة

— ان الخائن ايا كان لا بد ان افكك بوذات يوم

— لعلي ادعك تفعل ذلك بعد حين اما الآن فمن مصلحة ان سقي على الخائن

— لماذا

— ان المرأة التي اخافها ستكون في القدر الوارثة الوحيدة للشئ البقاعي

— اذًا هي غادة البقاع

— هي نفسها ... واني اخاف منها اذا طال عرض جهة القتل للناظرين وعرف

أرباب الحكومة هوية وشان ذيبو معنا فانه بذلك يكون نوارنا لاجلها . . . اني اخاف ذلك كل الخوف

— اذا الامر بسيط لا اشكل فيه وعائنه مثله نصب اعيسا في الحال

— وهو يتاوم — أظن ذلك سهلاً لا اشكال فيه ؟

— اني لا ارى اشكالا في العمل الذي يقدم عليه اذ ليس سواء والمجري ازمنا اعلان — وما هما

— احدهما ان مهمّ بخلص ذيبو من يد الحكومة

— والاخر ماذا

— ان نخفي اثر مقتيل اللهاوي

— لقد قلت حقاً وهذا الذي كنت افكر فيه ولكن انحسب الامر سهلاً ؟

— لست أنكر صعوته خصوصاً أنا لا نجد بداً من اتيانه عاجلاً قبل ان تقبلي

الحقيقة ونفع علينا العيون اما قولي ان الامر بسيط فمعناه ان لاسييل الى سواء فجعل الروسية يفكر امعان وقال : لاسييل الى الفناء فغير ما ذكر فللخاطو مع ما فيه من المصاعب لأننا اذا قدرنا على اخفاء القتل وانجاء القاتل لا يبقى من وجه للظن فيّ لصيرورهما مجهولين وبذلك نتم النجاة وتنصر الشرطة على ادراج هذه الجريمة في جملة الجرائم التي لم يظهر فاعلوها ويستقر في الاذهان ان القتل رجل غريب وان المتهم في قتله قد فرّ ولم يبق للجهاج من اثر وهكذا تصير ندماً منسياً . . . ومن ثم ننوز بالسلامة . . . ونحصل على الطابينة الثامنة

— ولكن اعلم ياسيدي ان الزمن ثمين والفرص تمرّ الرباح فبازمنا انما كل

ذلك هذه الليلة لان الابطاء يوصلنا الى الند لا يؤمن معه حيوط المسحى وبخشى ان تدري عاتلة اللهاوي بما كان صنع في الياس

— اني ارى رايت ولكن ما الحيلة . . . وماذا ينبغي ان نصنع ؟ وجعل كل من

ذيتك الشريرين بضرب احتمالاً لاسداس . ثم قال الروسية لقد بدا لي وجه موافق ولكن لابد ان الخوف بعض الامور فاري ان تنطلق انت قبل فوات الوقت وتدعو من رجالي من هو اصح عربة وولاء واذا عدت بعد ساعة وجدتني هاهنا اسطرك لان الشرع في الامر الذي اصررت بقتضي هذه رجال يعملون بحمد ونشاط وهانذا منطلق الى دار الحكومة لامت بحث عما صنعوا بجثة القتل واين المتهم ثم يكون لنا ان نسعى لالتخاذ وسيلة اني بلوغ المراد فقم وادخل الغرفة وغمر ثيابك واغسل راسك ووجهك من آثار العثار

ودونك جرعة من الخمر فانها تقوي اعصابك وتعيد اليك النشاط وتسليك العناء واهم  
أنا مقدمون على امر عظيم هذا ، اما حياتنا او مراتنا

— امرت يا يدي خائفاً اميناً مطيعاً فاني ساقبل وعما قليل آتي ورفاتي الي  
ها فدبر برايك السديد واظهر ما ينبغي ان يوثق من الامور وانت تعلم أنا لانتهاج  
الموت في سيل مرضاتك . ثم خرج مبروياً مغادراً الروسة في شرفته يدفعه شك  
ويفاقه ريب وهو يضرب اخماساً لاسداس .

## ❖ ١٥ ❖

وكان ان الروسة بعد ان طلق مبروياً طفق يمشي وسط الغرفة مرتعداً مشفقاً ما  
يدور في خادّه مع كونه امرأ قد اعتاد ارتكاب الجرائم حتى لا يهول وقوعها ولم يخطر  
باله عل حسن ولم يظفر في عينه ما يدل على الشفقة والرافة وهو الرجل الذي  
اتخذ جميع التدابير لاصابة نزكة البقاعي وقد اراق على جوانبها الدماء . . . بل هو المرء  
الذي بلغ من جسارته ان يستصر كل جسيم ولا يهوله امر عظيم والذي اعانه التوفيق  
حتى ذاك الحيز على درك نتيجة مخاطرته . . . فهو قد خانه الجلد وضغفت قواه وحاد  
قلبي البال كثير البال بال بنذره ضميره شر الوبال القريب وقد قلّ رجائي في التوفيق وعدم  
ايقه بنفسه . وبقي يمشي من اول الغرفة الى آخرها على غير هدى ثم عاد اليه روعه  
وقال في نفسه ربما نالت فرصة النجاة في كل دقيقة تمضي فالسرعة السرعة . وراي ان لا بد  
من الذهاب الى دار الحكومة للاستئجار والاستعلام فاضطرب وجزع وخيل له انه واقع  
في المغواة التي حفرها والاحيوات التي نصبها لتلك العائلة فارسل برقاًوية كأن شر النار  
تفقدح منها وتوزعه المهاجس فتواك نسه وجمع قواه وصوب نبال غضبه على من كانت  
تقاومه وتمقلها امامه فجعل يهاجمها بقوله : عادة البقاع ! . . . عادة البقاع ! . . . ويل  
لك بل ويلان . . . فأنت التي اخاف منها هذه الصدمة الشديدة ! . . . وما احراي  
بالفذر منك اكثر ما كنت . . . لقد مر بك ايام رايتك فيها صاغرة لدى ذليلة . . .  
اما وقد علمت ان حبك غالب على قلب فريد حتى ملكك قيادة فانك تتعاليين وتنسجين  
بانفك . . . تنالك وأما منك ! ! . . . ومحننا لفريد الذي اصاره خرنه رحمة وخسة  
طبعه الى حال تشبه ان تكون خيانة ! ! . . .

واشد به الغم والانفعال فسقط على الكرخي لا يبي وخيلت اليه لؤلؤة كافيها ما  
تكون من النساء وخيل له اندراوس ميتاً وتراءت له اشباح الذين ذهبوا بكاهه وكان

دم نسب ومجائيل اللبائوي ينادي عليه بالانتقام . . . الانتقام . . . فنهض من فوره ونظر في الساعة فاذا قد مرّ ثلاثون دقيقة من ذهاب ميروبا فجلد ونابج نفسه ان ليس هذا وقت المجرع والمطلع ولكن وقت العمل وجعل يعمل نفسه ببلوغ الوطر واخرج لفافة تبغ واشعلها وخرج والليل قد انصف والناس متصرفون الى منازلهم من مجالس الممر وساركن يسري هومه في ذلك الظلام المدمّ حتى اذا بلغ دار الحكومة وجد لدى بابها عربة وبعض الشرط فقال احد من حضر عن سبب الجلبة فاجابه :  
 « قتل مجهول وجد في جهة المتارة داخل عربة فأسك سايتها ووقف . » فتقدم الروسة فبصر برجلين شرطين يخفوا ذاهبا الى مكان التوقيف وكان الرجل ذيبو فتراسلا بالاحاط اجماع الى كم السر والاحترار من كشف الغطاء . اما العربة فسارت وعليها جثة القتيل والى جانب من يسوقها رجل من البوليس فاستبش الروسة وزايه القنوط من الفرج بما وفق له من الوصول الى ذيبو ومشاهدة الجثة في آن واحد ولو ابطأ بضع دقائق لفاتت الفرصة ومع البوليس يقول للسائق سر بنا صوب الكرنتينة واذ كان الروسة يتظر رجوع اعدائه سعى للعلم بما اذا كانت الجثة تبقى ليشذ هناك ليظهر في وجه العمل فما كان منه الاّ جدّ في اثر العربة وعالج بمنزله في الرمي له وبدل ثيابه دفعا للريبة فيه من اجل محبة دار الحكومة ثم اتباعه الجثة وما بلغ باب الكرنتينة حتى صادفته العربة راجعة وعليها السائق وحده ولاح له النور في احدى غرف الكرنتينة فابتن بان القتيل هناك يخفزه البوليس ورجع ادراجه الى بيته وكانت الليلة مظلمة كما مرّ وبعد برهة سمع صكّة مستفتح وفق العلامة المعبودة فابتدّر فتح الباب فاذا بميروبا ومعه آخرون من جماعته فجلس اليهم الروسة بذاكرهم الامر وقد مضى ثلثا الليل فقال ميروبا ما نحن بامولاي سبعة رجال بين يديك وكل منا موطن نفسه على المخاطرة بحياته في ادراك الغاية المتبغاة فنظر اليهم جميعا وتقدم ما اعطى لهم من الدراهم جملا وقال : اتي لوائك بفرط مودتكم وثباتكم وهذا جزاؤكم مجلا فوق ما لكم من الراتب ما ستنالون من المكافأة العظي متى فزنا بالمقصود واقبل على ميروبا وقال : لقد تبصرت في الامر مليا وذبحت للبحث عما جرى فتعقبت موضع القاتل والقتيل فيلزمنا الآن ان نقدم دفعة واحدة على طلبها واخراجها معا من حوثها موضوعان فالتطلى لي السمع باجمعكم ابشكم عما عزمتم عليه وهماثة من التداير فاول ما ينبغي ان تنقسم لثلاثة اقسام الاول يسعى في تخليص ذيبو من ايدي الشرطة ويكون على زعامة هذا القسم ثميروبا والقسمان الاخران يتطلقان في طلب الجثة من الكرنتينة ويكونان بزعامتي وغيا

خاف عنكم ما هناك من الامر المهم بيد أن تقبلي بشك اقدمكم وصحة عزائمكم وفرط مودتكم لي تقوي رجائي في بلوغ الارب . فمرانت يامبرويا في اثنين من رفاقك الى بيت خمر بسوق التجارين وذاكرها وجه الاحتيال لتخلص ذيبو وهانذا منطلق بالآخرين سفي طلب جثة القتيل . وهكذا أكلوا وشربوا وتسلحوا بالطبجات والمخناجر واقتربوا فريقتين وكل منها على علم كاف بما يفعل الآخر لنجاح المسعى الذمير

## ❖ ١٦ ❖

وكان الشرط وامور العذلية قد فرغوا من اعمالهم في صدد تحقيقات الجناية فانصرفوا على قصد معاودة البحث في القدر لم يختلف ثمة غير خنزير من البوليس وبعض جند المراقبة وبها م يتوهمون لشدة ما نالهم من الجهد والعناء في تحقيقات حادثة القتيل اذا بامرأة متأزرة تنادي الخنزير وتوقظه مسترخفة فانتبه وفتح الباب فوجد خمرة فقال لما ما شانك ايها المرأة في هذا الليل ؟ فاجابت مظهره شدة الاضطراب والقلق ان زيرة من الاشقياء غشوا منزلي - ومهنتي معلومة - وطلبوا السلافة فاجتهدوا فاشربوا حتى لعبت سوربها باعطافهم ودارت في رؤوسهم فقاموا وانقسموا حرين واحال بعضهم على بعض بالمدى يتضاربون فبالني الامر واسرعت اليكم لاختبركم واسالكم المداركة والى وجدتم في القدر بضعة جرحى وربما كان فهم قتيل . فدعا من بقي عنده من رجال الدرك وانطلق بهم مغادراً السجان وحده وغفل في خلال ذلك عن ثلاثة رجال دخلوا الى دار الحكومة واخذوا في معنى الطبقة الثانية منها وعلى اثر انطلاق البوليس واعوانه ومعهم المرأة خمرة الى حانيتها فوجى السجان بضربة شديدة على ام راسه الله معنى طيه ولتندميرويا ان اخذ منه منافع السجن واطلق ذيبو ومضى يورفعه مسرعين في الحرب الى ناحية الرميلا واخذوا ثمة بمنزل الروسة وما لبثوا ان جاءتهم خمرة واخبرهم ان الشرطة ذهبت الى حانيتها فلم يجدوا فيها غير قطرات الدم على بعض الامتعة فاستدلوا بذلك على صدق ما قالت وان المتضاربين اركبوا الى الفرار خوفاً من الدرك وهي ما عثمت ان يرحمت حانيتها مخافة ان تنهم بمداركة الجاني المارب

ولما اتمت خمرة كلاهما صافحها ذيبو وشكرها قائلاً : انك بهذه الحيلة مهدت لي بيل الحياة والى كنت ملكك لامحالة  
قال مبرويا لاشك ان مولانا ذو تدابير سديدة وآراء صائبة وسوف يعرف لك



يا خمر ما صنعت وبيلك اضعاف ما خسرت وضاع عليك بهر مزلك واعدل  
حانتك بحيث صار من المجتمع هودك اليها

— امت نعلم اني لا اعدل بالمال شيئاً ولهذا فان وعدك اياي بجزيل العوض  
يذهب غي من اجل ما تركت هناك من الموائد والكراسي والمسكرات

— سنطالب العوض مضاعفاً وتعطين فوقه جزاء حسناً واراك قد استصحب  
ما نملك من النفود والحلى لاني كمت انذرتك نغشيان ماموري الحكومة مزلك  
وتفتيشه ارتباباً بكونك ذات خلطة في تسهل هرب ذهب من الحبس  
— أجل قد استصحب ذلك لاجالة

وكان في علم ميروبا وذيبوا انها لانتك قد جمعت اسوالات كثيرة فظفر احدها الى  
الاخر كالنغامين دلها ولم يكن لها من زاجر ولا وازع عن الابعاث في المعاصي  
والمسكرات طمعا في الكسب فقال ميروبا لخمره لابد ان تكوني بحاجة الي الراحة لكثرة  
ما كابدت من اموال الليل فادخلي بيت المائدة تجدي عجالة من الطعام وزجاجة خمر  
واذا اكلت شيئاً وشربت كاساً عادت اليك القوة

— اكرم بك من خل وفي ذكي وما انا داخله آخذ ما احتاج اليه اكلأ وشرباً  
وحون خلا ميروبا برفاقه قال لم: ان هذه الليلة كثيرة المغام والمكاسب فقد تدنى  
لنا فيها تخلص ذهب من السجن وارانا فائزين بمكافاة جزيلة من لدن مولانا الروم  
وما ان لدينا غنمة اخرى تضارعها ولا يلزمنا فيها غير ما تعودنا من العمل — وكل  
امره من دهر ما تعودنا — ذاك ان نفاجيء خمره بطعنة بكر ونسأله ما لنا  
ونقتسم ما يسألهنا اعرف تحت هذا المنزل نفقاً (سرداباً) قد احفره الروم منذ  
زن طويل لاختفاء جيش القلي فلا تظهر مكايده وهو ولا وراء منقاع القرن ب  
حيلة وتدابيره فهم ننتك بهذه المرأة ونخفي جنبها ونضم مالدنيا ولا يدري بها احد  
وان سألنا هو عنها قلنا له لم تعد الى ما — وقد كان اخبرني انه غادر النقي منوماً  
هذه الليلة لاختفاء ذيبو المهرب من الحبس عند الحاجة اي اذا ارامت الشرطة في  
صاحب هذا البيت وجاءت تنقشه وانا لا اري من حاجة الى اخفاء ذيبو لان الشرطة  
لم تدري بامرنا ولم تنبه اليها فهم تقدم على اغتيال خمره والروم لا يرجع الا بعد ساعة  
ربما يتم عمله فني هذه البرهة يكسا ان نطاش بعشرين امرأة مثل خمره

فوافقوه على رايه ودخلوا كافة بيت المائدة وقام ميروبا امام خمره وهي تاكل  
وقال: هلا بدن تكوني دهشت عند مشاهدك الشرطة فلم ترفع اليك راساً واستمرت

مكة على الاكل فباعها ذبيو بطعة فخر تحت ابطها الايسر فسد عليها ولم يده بكلة  
ونصت حالا فنتها مبروبا الى النلق واوراما في انصاه وطاد من فوره وقاسم رفاته  
ما تركت من الحلى والدرام وغسل ما ارفض من الدم حتى لم يبق له اثر يستدل به  
على الجنابة وقعدوا فرحين بما اصابوا من المغنم لا يشعرون من انفسهم بما تب غيور  
على فطاعة جريهم لاعتقادهم الشركا مر ودعاهم مبروبا لغرب المدام وتناول الطعام  
فقاموا وداروا بالمائة يأكلون ويشربون في نعمة وامهاك

اما خنبر جنة التنبيل فوضعها في الكرتينة حيث امرت المحكومة ان توضع وما  
كاد يرقد حتى دق عليه الباب رجل في زي بولس خارج من حربة واقفة له وصاح  
بـ: افتح الباب فقبض وسأله من انت ؟

— مامور من قبل الشرطة آتة بقتيل آخر لوضع جثته مع جثة التنبيل الاول  
والظاهر ان هذه الليلة كثرة الحوادث

ففتح الخنبر الباب فاذا برجل في زي بولس قائم حذاء حربة لم يعرفه فقال  
له اهبط في نقل هذه البجعة ربما افتح باب المجمع التي فيها البجعة الاولى وطاد الى داخل  
الكرتينة فنجعه البولس الكاذب وساقى العربية ويبعا هو متشائل في فتح باب المجمع  
اذا بيد قوية قبضت على يديه واخرى عكست فاه بهنديل مخافة ان يستصرخ وجعل  
على عينيه غطاء منه ان يصر ما يجري عدا ان شدة الظلمة ما كانت تمكن من  
روية شيء — ولما اراد الروسة مزيد الاحتراز وكان هو واحد رجلاه في زي بولس  
وساقى حربة — وما لبثا ان ادخلا الخنبر حجيرة جنة اللبابي التنبيل واوثقا رجله  
وشداه الى حديد اللافذة وذهبا بالبجعة صوب البحر وكان على الشاطئ رجلان في زي  
النوتية ولما هما من اشباع الروسة بانا يتوقعان المعاونة في سرقة البجعة وحملها على قارب  
معها والذهاب بها على ان الامر لم يهوج الى المساعدة فان الروسة قد استطاع بلوغ المرام  
بجملته ودعائه واشار الى ساقى العربية ان يعود بها الى منزله في محلة الرمي له بعد  
اغلاق باب الكرتينة وانطلق هو والبحرية بالبجعة على القارب الى وسط البحر والقوما  
مثلة بمجر كبير وسكن بالروسة طامن تبة الجبابة باخفاء اثرا . وما مر ساعة حتى  
توافوا كافة في المنزل المعهود بالرملة وجعل كل فريق ينقص خبره على الآخر وما  
صنعوا لنجح السبي فشكر لم الروسة واعطى كل واحد منهم جملته وذكر المرأة خمر  
قطلبها وسأل عنها مبروبا فقال: رايتها مع رجال الدرك حين استدعهم الى منزلها ولما  
تعلم فعسى ان تعود بعد الآن فسكت الروسة وطابت نفسه بما تأتى له من نجاح العمل

بيد أنه لم يخلُ من هاجس وقوع خمرة في ايدي الشرطة وعدم تمكنها من الفرار فنبه في المهدور الذي توقاه وطفق يفكر في الامر وقال في نفسه : اراني ابداً في قلبي من جهة اتباعي الذين اتخذهم اعدواناً لادراك الارب لان حياتي لا تزال عرضة لاختطارات اعداءهم واحولهم فان افشى احدثهم السر هلكت لا محالة . ثم خطر بباله ان يلمس وجه الشخص منهم دفعة واحدة فباله الامر لاول وهلة من تصوره فقال لزملائه : اني اراكم في نصب وتعب شديد واجدني مثلكم كثير الغناء فلذلك انا ذاهب لآخذ قسطي من الراحة في غرفتي واسكنوا انتم هذه الليلة في منزلي اذ لا ينبغي ان تخرجوا منه مخافة ان تصادكم الشرطة في خلال مجيئها عن الفار من السجن فيحدث ما يؤثنا ولكن اذا كنا من الغد نسطط الاخبار عن المرأة خمرة . وما ان لكم في هذه الردة ما تحتاجون اليه من الفرش والوسادات والحلج فارقدوا آمين . وكان التعب قد اخذ منهم ماخذه فرقدوا باجمعهم

اما الروسة فومج غرفته والهاجس نساوره لا يجد طائفة ولا راحة كما كان يامل بعد اخفاء اثرا الجريمة بتدل ميثاقيل اللجاوي فانه كان يخاف لحوق الدرك والتبعة وفيما هو يفكر اذ عاوده هاجس التماس الشخص من اتاعه برة واحدة ولكنه لم يخلُ من هول الامر ثم ذكر الفتى ( السرداب ) الذي اعدّه لاختفاء جثث القتلى وكان منذ حين طويل لم يتخله وتذكر ان بابه غير موصد ولبت على مثل هذه الحال من التفكير نحو ربع ساعة فخطر له ان يقفل باب الفتى فاخذ شمعة موقدة من غرفته والمفتاح وجاز على باب مرقده اتاعه فراء مغشوقا ومعهم كهم يغطون غطيظاً وقد استغلوا في نومهم كالاموات لشدة ما كابدوا ذلك الليل فحدثه نفسه : ها هم هولاء باجمعهم راقدون مطمئنون واما لم ازل في ارق وقلقي . . . . . واذ بلغ باب الدهليز او الفتى بصير بنقطة دم فحقق النظر فيها ومساها فوجدتها طرية فارتاع واضطرب لعدم علمه بان احداً اتى المكان ورآه ما رآه من نطق الدم العبيط

وكان للروسة جبان كآته من صوان لا يخامر خوف ولا جزع فاقدم على طلب السبب ودخل السرداب غير مهاب فالتى في اقصاء جثة امرأة طلعين بمدية طمعة بكراً فنفرس بها فاذا هي خمرة وليس عليها شيء من الخلع وليس لديها شيء من النقود فاشك ان ميروبا ورفاته قد فتكوا بها طمعا بكسب ما توهط معها من المال امانى انه اوعز اليها ان تبهر منزلها . وعندئذ اطمان قلبه من جهة خمرة وتحقق ان رجاله لا يخرجون من الاقدام على اي جريرة حيا بالسمت والكسب فاجس خيفة من ان ذلك يزول لم الصدر يو فيقتلونه عدا انه كان يشفق من انكشاف السر واعلان السر

لكثرة مستودعه المؤمنين عليه - وكل سر جاوز الاثنين شاع - فعاد الى غرفته وناجته  
نفسه : ان لا بد له من التخلص من القلق والحذر المستعمر وأنه قادر تلك الليلة ان يذيق  
اولئك الاشرار الاثمة وبال جنابهم على خمرة وبذلك يصيب الاموال التي لديهم وبمكة  
فان يعتاض عنهم بسواهم عند الحاجة . . . فان له اعداؤنا كثيرين في سبيل غير هذه المسألة  
يفتار منهم من يوافق . . . فلو فتك بهؤلاء الليلة لم يبق من الواقفين على داخله امره في  
قصة غادة البقاع الا ذيب لكونه غالباً لم يشترك في اعمال هذه الميلة اللبلاء . . . واما فريد  
وغادة البقاع فهما في وثاق شديد لا يستطيعان افشاء السر المكتوم . . . وكان الروسة  
يخشى في غرفته ذاهلاً متوزع القلب الى ان صم العزم على اهلاكهم بياناً وقال في نفسه  
اليس هم الى اغتيال خمرة فاحرق بهم ان يموتوا . . . وقد مرّ ان الروسة ما كان ليخرج  
من سفك الدم ولا يفتي الاثم ولكنه كان يخاف سطوة رجال الحكومة وتزول انه ثوبه يو  
فطلق يدير على هلاكهم وهذا له ولم يطل الفكرة وجاء حيث كانوا نياماً مستغفلين  
وملاً كانوا من الغم وجعل فيه بعض جرات ثم استعرج المنون تصاعد من الكانون  
فقبس تسم الآثم المجرم واطبق باب المرقد عليهم وعاد الى غرفته يردد من الخوف وتعاورته  
المواجس والوساوس ولست يكابد الليل ويتم باهواله يد انه كان يهون البلاء على  
نفسه ويلهى بأمل التخلص من الذين يخشى عاقبة شرهم ولا يرجو منهم مزيد خير له وان  
قدم بغتة لا يواجهه عليه الظنة لان تعاليم مجاهاته لم يكن مشهوراً فضلاً عنهم من سفلة  
الناس قل من يسأل عنهم ويعنى في شأنهم فيغلب على الظن انهم هاجروا من الوطن  
الى بلاد بعيدة

ثم اخذ خنجراً ویده ترتمش وفتح باب الغرفة حيث كانوا سبعة منهم رائدين واسرع  
في تفجج النوافذ تجديداً للهواء الساكن خوفاً مما اشتر من غاز الغم المتوقد هناك  
وتنفذهم أحاداً أحاداً فاذا بهم جميعهم قد صاروا الى حال التزع وربما كان بعضهم قد  
قضوا اخناقاً مريج وقود الغم فاقبل يدلعنهم بالخنجر كلاً في صدره الشال غير موقر  
على احد ولم يبدوا حركة على الاطلاق لانهم انتقلوا من سبات الرقاد الى سبات سم  
الغم ومنه الى الردى التام وكذلك كان جزاء الظالمين الاشرار . . .

اصبر على كيد البغاة م فانهم هدف المطب

والنار تأكل بعضها بعضاً اذا نفذ المطب

وابتدر الروسة نقل الجثث الى غرفة صغيرة داخل السرداب بعد اخذ الاسلاب  
وكانت مالا كثيراً من حلى ونفود كانت للمرأة خمرة وغير ذلك من الاموال التي

كانت معهم وواصل الباب على القتل وعاد بمحو كل اثر لهم ولزم غرفته بقية ليته الهائلة ولكنه لم يجد لنفسه راحة ولا طمأنينة فكلمنا حاول النوم ثلثت نصب عينيه اشباح الملكى فارتاع وما زال كذلك الى قبيل الفجر فذاق النوم بهويًا وكان يتعارف فرقا وقلنا من رؤيا ارباب القتل نسب وميخائيل الهاوي البريئين وخمرة وميروبا وذو وحوش وجلياد ودعوس وسائر من ماله على ايمان المعاصي وفعل المنكرات فكل هؤلاء كانوا يجلبون اليه في الرؤيا على صور مخوفة هائلة طالين الانتقام منه على ان نميكا وميخائيل قد رأها كلاكين بهيين مجردين سوف النعمة على ماتت بخلاف الباقي فاتهم ظهورا ثانيا كالحيتان والثنايين غاضبين فاغري الافواه مزدي الاشداد منقلب الاشداد تنفذ منها النار واغفارم كغالب السباع الضاربة بهم ان تشب فيه . ثم تمل له غورم من ذهب بكائك وحباله وكان الكل يصيحون عليه عن بواء واحد طلبا للانتقام . . . . . الانتقام . . . . . الانتقام ! . . .

## ١٧

اتم الروسة كل هذه الجرائم المستفظة في يوم وليل واحد — صرع اندراوس في منصوره لولوة روجه صر النهار واغزال ميخائيل الهاوي مساء واحمال لا تقاذ القاتل من السجن وخلف جنة القتل من الكرتيبة وفك بائعاه ليلا وقيل الفجر فرغ من اعماله كلها

ولما جاء ذيب صاحب المرأة خمرة بسأل الروسة عنها قال له : فرت خوفا من ارباب الحكومة ولا بدري اين ذهبت وانه انفذ ميروبا وذيو ورفاقها الى جزيرة بعيدة ابعادها لم عن اولى الامر . ثم اعطى ذيبا خمسين ليرة يتلى بها عن خمرة فاخذها ونفسه راضية نتاجه انه يمل هذا المقدار من المال يجد عشر نساء خير من خمرة وكان ان رجال الدرك لما عادوا من بيت خمرة الى دار الحكومة علموا ان المحبون قد هرب ورأوا السجان ملقى بين من شدة ما ناله من اذى المعتدين عليه فرقبوا له ورفقبوا به الى ان هدهم بما وقع فاقبلوا بان هناك خدعة وحيلة ساقها اليهم المرأة الطارقة باب الشرطة فاقبلوا من فورهم الى منزلها فلم يجدوا احدا وقنطروا من نتيجة البحث في جميع الظلام الدامس فسكنوا وبكروا في طلب جنة القتل من الكرتيبة فاذا ببها مفتوح فطنوا يدورون طلبا للخبر فلم ينفقوه ودخل الضابط موضع الجثة فالتى الخنزير موثقا فحل وثاقه وسأله فاخبره بما جرى عليه في ذلك الليل وابلغ الخبر الى ادارة

الشرطة ثبتت العيون والارصاد طلباً لمن اندم على هذا العمل الحميم واشكل الامر ولم يهتد الباحثون الى وجه الحقيقة فاعيد استبضاح البيان وغفرت الجثة عما اذا كان عدم ادلة على معرفة الفاعلين فلم يزيد على ما افاد ما شاهد اخباراً مجرداً عن القرائن والادلة . وما كان للضابطه معرفة بهوية مجائيل اللياوي الا ما تيسر من تقارير مرغريتا المخدومة في بيته انه هو القاتل نفسه ولكن ذلك لم يكن كافياً ولا صالحاً للدار الاعلى والحكم خصوصاً ان سائق العربيه قد فر من السجن وجثة القاتل تد صرقت واخفيت وكلامها وضع لفائدة التحقيق

وقد علمت المخدومة مرغريتا من الشرطة ما كان وابنت ان القاتل هو سجدما فقال في نفسها : ان المصيبة نجرت المصيبة فصر جليل !

ثم عادت الى البيت فوجدت اندراوس على حاله من فقد الحس وقد اتتدت به الحس . واذا ذلك ورد بالتلفرف ان اخاه جورج اللياوي قادم البلد صباح ١٢ ايار الحالي . ولما عزب فكان ذهب قبل حضورها لزيارة غادة البقاع واستخف عند الدنف لثمان وشيمان وكان ان لولوة اعياما الصبر والمجد على عدم مشاهة اندراوس اذ لم يبلغها عزيزما يخفف قلتها وخوفها وذكرت ان ليس عند العليل سوى المخدومة وانه لم يرد جواب اخيه الدكتور جورج الذي كان منذ ايام خرج من الدبار الاجنبية وان والده مجائيل قد خفي اثره فبرحت مكانها وفي تلوم نفسها من اجل ما صار اليه الشاب بسببها واكت لتلزم خدمته لومها لاقت من الطرد والاهانة وحين وصولها الى بيت اللياوي صادفت عزيزاً بهم بالذهاب الى منزل غادة البقاع يراها يدل على لفتها وجرحها فرق لها وقال : امكي ما وشى ان يكون شفاء هذا البقى على يدك . . . وهكذا خطبهم ثلاثتهم قائمين على تمريضه وكان قد صار موضع ثقة مرغريتا اقامه بها اظهر من عواطف الحس والمحبة في تمريض مولاهما اندراوس حتى انها عادت معه مثله فكتب في استغلافه الرجلين والمرأة لرعاية البقى وانطلق الى غادة البقاع كما مر

وقد اسلفنا تفصيل زيارته الاولى لما وكيف انه سمع ووعى ما دار بينهما وبين الامير فريد من المحاوره حيث خبا في الغرة الملاصقة لتصورهما ماناً لفرط ادلالها وسطوره هو ما على قلب فريد . وان فريداً اعلمها بقتل اللياوي وان قاتله — احد اتباعه — قد طلب وأدرك وانها بناء على مشورة فريد كانت قادرة ان تقول للشرطة كلمة واحدة تكفي في هلاك الروسية وفوقه ذلك بجعريف اسم المجهون وتبين هوية القاتل ولما

امران تجهلها الحكومة وعلى هذا القصد فارقها عزيز وعاد الى بيت اندراوس لتريد الاستعلام فالتى شعبان ينتظره لدى الباب وهو مضطرب كاسف البال فأوجس خيفة وما لبث شعبان ان اخبره عما جرى من احماء جثة القتيل وفرار الثاقل من السجن وكانت مرغريتا خبره الخبر صد رحوعها من ادارة الشرطة فعاد عزيز من غوره الى غادة البقاع فوجدتها تنأهب للخروج مصيبة العزم على مكاتفة رجال الحكومة ودفع الرسالة اليهم ليحيطوا علماً بالحقيقة اذ لم تكن لتريد ان تفصح عن فريد وبما انه هو نفسه كان يهد وسائل الانتقام عمدت الى ايزال العقوبة فيه جزاء ما قدمت يدها من المجرام

و بعد ان لبست ثوب الفسيفساء وامرت باعداد العربات للركوب وسمت بالخروج قصد دار الحكومة اتاما عزيز كما مر - وكان منذ قليل عندهما - والحق عليها في طلب التسلط فاجابه ودعه الى ردهة الاستقبال قلقة خائفة من وقوع خطب هائل غاصمها بما كان واصرف ولبثت في سذلة متعوذة من مكر اوامك الاشرار

## ١٨

ثم ان غادة البقاع نادى الخادم فجاء فامرته ان يظفر هل سيده الامر فريد في مكتبه فانطلق وعاد مسرعاً وقال نعم هو في المكتب فدخلت عليه فالتفت على كرمي كبير ويدها متعشنان الى صدره لا يكتب ولا يقرأ وهو غائص في بحر المالحاس كمن به خيال او يتوقع امراً ذا نال وكانت حاله اثبه شيء بالخال التي دارت فيها تلك المحاورة بينه وبين غادة البقاع يسمع من عزيز وكان متنع اللون اصفر ومع ذلك لم يقدم رباطة الجأش حتى قبل انه كان راضياً بالنجاة من ثقل المهوم التي كانت تكشفه بعد عزمه على الامر بتزيد التجديد والاقدام وانه اضحى يتوقع حدوث حادث لهم ما نواه فعلاً وكان على ساحة الكتابة بين يديه طيعة سداسية محشوة مدهونة الاداة ولما رأى فريد امراته داخلة حاول القيام فلم يستطع لذلك وضعه لاه بعد ان تحرك ومهما للقيام حمد دمه وبردت عظامه بيد ان حضور غادة البقاع أثر فيه شديداً فاحمرت وجتاه جذاً وبدت محاجره شديدة الاصفرار وجعل يمدق ببصره الى الطينبة التي امامه كأنه يهيم ان يعانقها كيلا تفارقه طرفة عين

ولما غادة البقاع فقدت نين في عيبيها ومحامها الغضب والغم والاذا فقدمت اليه وخطبه بصوت اجش متهجد : انك منذ ساعة مثلك لدى دوراً من روايتك الذميمة

فاجابها باندهال ، انا ؟

— نعم انت ابديت لي آية التوبة والندم مع اضمارك الحلاف وانت غير جدير بهذا ولا ذاك ... لا تذكر ما قلت لي ؟

— بلى اذكر !

— هل لك ان تعيد ؟

— هالكة ما قلت ، اني اكون سعيداً ... آه ! باعادة البقاع اني لثرت محبتك ..

ارى من اقصى سعادتي ان اهلك لاجلكِ وسكِ وبكِ ! باراحة الروح باعترفتي للحموة التي احببتها ولا ابرح احبها واكرم يديها وانظمن لديها ولو اثني من قبلها الطعمة الفاضية ... دولك ما قلت باعادة البقاع ...

— بل زدت على ذلك انه يوجد وسيلة محققة تؤدي الى هلاكك وهلاك الروسة معاً وهي ان اذهب الى الضاظة وادفع الرسالة التي ضمنها ما فعلنا من المظالم والجرائم واخبرها بان قاتل اللياوي هو ذبيو تابع الروسة وان البجعة في جنة ميخائيل اللياوي بهمه . ثم اجبني عند المستنطق واقول له : ان ميخائيل اللياوي قسبي في تركه عطية وارضع له المكيدة التي ذهب بها الرجل المذكور واتص طيه قصتي من ذي بدئت وما لاقيت من الاموال وشدة الومال لاجل التركة

— صدقت اني قلت لك كل ذلك ... واك فاعلة كذلك الم بهم الامر ؟ ...

فاستر ملاقة دوائر العدالة ... واراني هالكا لاهماله وهانذا متوقع القضاء ... اذ اني عزمت عزماً لا رجوع عنه ... قال هذا وقض على الطمينة وشار اليها قائلاً : اعلي ان من ياتون في طلبي الى دار الحكومة لا يجدوني حياً !

وكانت غادة البقاع تنظر اليه بعين الازدراء والاحقار متضاحكة مزاء به وقالت : لاندك ان ما تصنع هو رواية محررة ! ... حاولت ان تسترقني وتستعطني باظهار الدمامة ولا اثر لها في قلبك

— غادة البقاع ! ...

— ولي ادلة فاطمة على ذلك ... انك حين كنت تدبر عليّ بالنوجه الى دار

الحكومة كنت عالماً بفوات الفرصة المكنة من الدكوى آمناً كل الامن من المندور

— اني ذلك ؟

— اواه منك انك لذو مكر ودهاء عجيب نحن نتمثل نوبتك في الرواية بغاية

الانعام والاحكام



— اما لك مزيد البيان

— اني عرفت كل شيء

— اما انا فاقسم لك بانى لا اعلم شيئا

— اعلم انك « اذ كنت تقول لى اذا عرف القاتل كان يعرفه بوارنا » كنت متحفظا

ان جنة ميمائل اللهاوي قد سرقت من موضعها

— ماذا تقولين ؟ فرّ ذبيون من الجن وسرقت جنة اللهاوي فاحذر النبا الضريب

الذي تروينه ؟

— انه الحق وانت ادرى به من كل انسان...

فتبسط فريد ودنا الى غادة البقاع صامتا وانقا بصدقها وقال : ومن اباك بذلك ؟

— لا يعنيك هذا كثيرا ! ...

اما فريد فاطرق متاملا ثم رفع راسه وقال : هكذا ظننت يا غادة البقاع اني

مثلت دورا من الرواية او اوه ! فباحق لو كنت فعلت كما تتوهمين لجئت بها رواية منكورة

ولست انكر انها منكورة كل الانكار ...

— وهل لك ان تذكر الآن ؟

— بشة — نعم نعم ... اقسم لك انى منذ خمس دقائق قبل دخولك حلى كنت

جاهلا بكل ما اعطينى به ... آه يا غادة البقاع صديقي وتحبني انى سمعت المحبة وتقل

حلى عتب ذنوبى او بالمحرمى او انا ذلك عتب جبابتي ... فلا اطيع ان تضيق عليه

عتب انا ما اجهلها ... اقسم لك يا غادة البقاع بمحبتك عمتها التى هي اعز شيء عدي

واجلها غاية الاجلال اقسم لك بانى لواجده سعادتي بضربة بكر من قبلك ... انى

ملكلت المحبة ... وقد دفعها غضبك الى كثيرا حتى لم يبق لي طاقة حلى احاطها ...

او اوه اترالك مصرة على عدم تصديق كلامي ؟ فاذا عسى ان اقول ؟ وماذا اصنع ؟

انك ما زلت متفردة عني غير مبالية بشة حالى ولبالي حتى جهلته ما انا عليه من

الالم وما اصابني من السقم ... كنت املت ان اطيب نفسا يادراك الوطر من الجاه

والشرف وعلو القدر وطمعت ان ذلك ينسني حبك ومجله محله فغامرت في مباشرة

حسام الامور ونجست ملامة اهل البيوتات المتشاغلين بالاعمال المالمية فاهلته ونجعت

معماي في ذلك جميعه فعلت منزلي وتفتدت كلتي وبلغت ارفع الدرجات ورجعت

ملا جزيلآ على ان كل ذلك لم يبلغني المني ولم يغن عن حبك شيئا بل زادني

حسرة لتدلت كل ما رُب وكاني لم ابل شيئا من الراحة لعدم اصاحتي البقية بان

اسلو محبتك واسى ذلك الود الذي لم أكن أعلم بان أجد منك مثله... فاني كنت أزداد لك رجدا كلما حاولت السلو أقلم تلاحظني ذلك؟ كلما أردت البعد عنك وجدت هوائك اطلق بقلبي... اما انا اليوم يا غادة البقاع لومها كنت حتميا ذليلا غير مستحق منك هذا الائتلاف فلا اقط... فان النساء قد طبعن على الشفقة والنحو وحس الصلح الجبيل!... واني تارك كل شيء اذ لم أجد مسلة عن محبتك وانا حياتي لاجل حبك... وقد غادرت الاعمال المالية لمن هم اقل مني وسعيا ومعرفة وتاديت الشواغل السياسية لانهني فقد كان في امكاني ان اتال المناصب العالية ولم اردھا لاني راغب عن كل امر من امور الدنيا وقتنا لنفسني في سبيل خدمتك... ولولا ان كنت يا غادة البقاع بعيدة عني لعرفت اني قلما ابرح هذه الغرفة معبد ممتلئة علي وقد جعلها مرقدي لاني كثيرا امام فيها وكلما كنت على هذا الكرسي... استرحف بعض الشيء من احزائي اذ لم يبق لي من وجهي لتسلي والناسي... اعلي ايها السيد ولربما لك ذلك في كوفي مختالا... وتعلمي ان ليس دأبي المكر والخداع

فلم نجبه بكلمة ولربما عابسة... فتقدم اليها وقد هاج الدم في راسه فكان اصابه من اوطرف من الجنون فقالت: هذا جزله ما قدمت يدك من المساويء المستفظة... مطلق يمشي في قاعة الدار ويده القدارة وجعلها بين يدي الغادة وقال: اتعلمي... قتليني... فلنجو من احزائي واكنى شر هذا العذاب... اما هي فاعتادت اليه القدارة قائلة: كلا لا ارتكب جرما... واني لاعلم انك بذلك تجد ماحدا من العذاب وما كنت لاريد تخفيف عذابك لانك لم ترق لي وتشفق علي في نوبتك...

فازداد ارتبانا وطاررت نمة شعاعا وعدم الصبر والجملد لما تبين من كاموت اليغضاء له عند النفاة حتى خيل اليه ان قلبها صاراقى من الحجر المصلد لايلن بالفضل لها والاسنعاف وما كانت قبل معرفته تعرف غير الحب الخالص لخطوبها عزيز على ان فريدا اشرب فوادها المهد والغصة و... له من الذين الى التوبة الدائمة بما جرعهما من غصص المرات وجندسها من الحن والنايات... ثم قل لها ووجهه يهتدج: اعلي اني سمعت هذه انة ارة في جبني لتوطني بين وقت وآخر محبي الشرقة للنبض دلي بدع علي وشايتك ولكنهما لا تجد الا قليلا... انحصين هذا ضربا من الرواية؟ ولما وصلت هذه الغرفة ظننت انك جئت لتقول لي ان كل شيء قد تم وانك آتية لتسقي بهلاكي ولكني لا اهلك يا غادة البقاع قبل ان اتول لك اني بذلت غاية جهدي لاتقاذ هذه العائلة الثمينة عائلة ميخائيل اللبالي من شرمكايد الروسة الذي صرت فكره كما

أسعد نكرهته بل أرا في أشد منك له مقفًا ... على رجاء أن تصدق في قولي في تلك  
الدقيقة الأخيرة - فاني حين دريت بما أضمر الرومة من سوء سعيت لانجاء  
اندرأوس ... وتوجهت الى بيته وأنذرت له الحرب ولكن يا لاسي ان الحب ران  
على قلبه فلم يصر - أوام من لي ان يحبي اندرأوس ليشهد لك بحسن قصدي ...  
ويحقق اني لم أكن مستأ إلى ولا مجرمًا بل بالبحري اني سعيت في انقاذه عند مواته  
الفرصة بيد أنه لسوء الحقد قد مات او هو مات !

- ولذلك اراك تستعده لك دلكا بماه لا يستصيح ان يكذبك ولست بخائف  
ان يبعث الميت فيذهب لتكذبك وتبين محالك وأقنك ! ...

- ينبغي ان تعلم ان الرومة قد أوعز بقتل رجل آخر وسارت في انجائه على  
غير علم منه وهو يمكن ان يهربك كما صحت اليه ولماذا فعلت ؟ ... انما كان ذلك  
حبًا بك ... وكل به ان هذا الرجل قد مات وانت فذلك تحسبه في عالم الاموات  
مع الذين درجوا ... والحال انه باق حي متوار عن العيان ... وهو يهربك  
وانت تحسبه كثيرًا ... هو انسان لا قوة له ولا حولا شيخ جليل جامع بين الضعف  
واللطف ... امك مدبوة له في حياتك ... وطيه انت لا بهة لئام الحداد وتذكره  
باسم والدك !

- والدي والدي ! ... قالت هذا بصوت عال ثم اسكت وانتهره بقولها : يا لك  
من شقي يتري على من ذهب من دار الفناء الى دار البقاء  
- حاشي حاشي لي من الانباء

فقات في نفسها والدي ! ووضعت يدها على جبهتها مخافة ان تغيب من شدة الجوع  
وتاجت نفسها متسائلة ماذا يقول هذا الانسان ؟ وطى م يتكلم من اي ؟  
- ان اباك لم يزل حيًا يا غادة البقا ...

فجعلت تكرر قولها والدي والدي أليس هو الذي وجدت رداءه وسفينته على  
شاطئ البحر ؟ وهو اقد الآن بسلام في منازل الابرار ... لا اصدق ما تقول يا رجل ...  
فانك تقترني عليه بذكرك اياه انه من جملة من يسألون الدبان القهار مجازاتك كما  
جبت عليهم ... ندع محالك ... ولا فانت ذو جنون

- خفني عليك وأعلي يفتيا اتي لست مجنونًا وما قصدت بيدراك خداعك مرة  
اخرى لظهور الحقيقة فان والدك حي يا غادة البقا ...

نعم ان الامر كان قد صدر بالملك من قبل الرومة كما كان صدر باشتال عائنة

اللياوي وقتلك انت ايضا لان بلاء الروسه لا يكاد يغير منه احد ... ولكي تلاميذ اباك واخفته بحيث لاتاله ايدي الاشرار . اما الرده والقارب فاظهرهما اباهما ليكي وللروسه معا اني بطئت بابلك وهذه الحيلة تمكنت من ان ابقي عليه واقي حياته من مكاييد الروسه

— لا جرم ان ذاك الانسان مواسيه شيء يوحش ضاره !  
اما فريد فحنض راسه خجلاً لان هذه التضاضة لاحقة به وبالروسه كنهها لاشتركاها في الدر والفقارة . وما كان من عادة البقاع الا ان دنت من فريد وقرعت فيه وقد طوده بعض الهدى والسكون لمخامرة فواده بعض الامل في انها تسامحه وتصفح عنه فتبهد فقالت له : هل انت تكرم وتحترم شيئاً في الدنيا لاسالك ان تقم لي به على صدق كلامك ! فاوماً براسه موجياً وقال : لا نعم لي الا بك ياغادة البقاع اذ لا شيء في الدنيا احبه واحترمه الا — انت ...

— اما لا اكذب قولك هذا . واطرقت برهة تبصر في ذلك  
— فقال يا حبيبتي غادة البقاع . وصلت وجهه شدة الاصفرار وارتعدت مناصله اغمالا من التأثيرات رجاء ان ترضى عنه وتغفر سيئاته وجعل يده على فواده فسكنها لحنفان قلبه الشديد . فقالت له : اقم لي المك غير كاذب وان والذي حيي برجي ...  
وامك انقذت من الملكة المائلة اغيالا كاللياوي ... اقم لي على ذلك بجهاتي انا برحمة ايك وامك اللذين احببتهما واعترمتها مدة عمرك المسافرة

— وماذا يمنع فسي فهل يجعلك على حسن الاعتقاد واليقين ؟  
— ها انت هذا تاتي التاكيد . وقد اعلت صوتها وداخلها الارتباب فيه  
— اعد قولي وما الفائدة ؟ ... الم يكن ايسر واسهل ان تتطلي الى حيث هو واندك مقيم ؟ واذا وجدته ابقى عندك شك وريب ؟  
— ان رايته بعيني يصح يعني ويتيني ربي فاني ابي اين هو الان ؟  
— في دير قريب من جسر المعلمين  
— هل من شيء يعني الانطلاق اليه فاراه ! ...  
— لا شيء مطلقاً

فانما تنظر الى فريد ودلائل الارتباب بادية في وجهها فتبين ذلك منها وقال بصوت حزين : كآني بك تحسين وراء كلاسي عرساً من المكر والمخدعة  
أجل انا لست آمنة المخداع ... اني لاخذلك واخاف مكاييدك ... فاننا ما

زلت في هذا التصرع المدحج عن نفسي مستعينة بحديثي انبات . . ولكن  
من لي متى ذهبت بي الى تلك الجهة ان لا تكيد لي كيداً حيث لا اسطيع سبلا الى  
الاستغاثة عليك على حين تكون اشد مني حولا

— آه ... يا غادة البقاع ان قلبي لا يطاق عني وهو غائب على ارادتي فليست بمستطيع  
المحول عليك ما لم تسلميني است نفسك ... فساعدت منه . . . فاشار اليها ان  
أطشني وقال : يا غادة البقاع بعد ان قلت لك ما قلت وقررت ما قررت وصمت  
ما صمت في هذه الايام الاخيرة هل انت مصرة على مقبي وبغضبي شاك من اول  
الامر ؟ اني ما اسأت الى احد سواك اذ خطعتك وغيتك عن والدك وحرمتك  
الراحه والسعادة ( وكان صوته يخفص ويتهدج ) الى ان قال : واما انا فيك عن  
حيبك ! . . . جبر ان ذهبي لهظيم لاني كمت ماديء يده عادما شفاة الهبة من  
قلبي ... فالحب تال للذنب ولهذا يا غادة البقاع بيت افساسي اشد العذاب .  
أكد الامكا لا اقدر ان احف لك عظمها ونفسي تاجيني المك لا تنقي ابداً يبد  
الحب . . . وما كمت لا اظن ان عواطف الهيام تملكني كل هذا التملك حتى اها  
تستغرق سائر ايام حياتي فانها جعلت في انقلاباً شديداً ومحت من قلبي عواطف  
حياتي السالفة الهام كانت نفسي تنمو الى طلب الجماء والجد وعرا المناصب والشرف  
والترف لاجرم ان سلطان الهوى والفرام سلسي جميع ذلك واصصت اليوم يا غادة البقاع  
اود لو التحول الى مكان بعيد عني لا يدري بي احد ولا يسال عني انسان فاعيش  
مهلك مفرداً في عزلة ووحدة واقضي باقي ايامي محققاً لك حي ودي . . . فتولي هلاً يكون  
ذلك منك ادا

اما هي فليست صائفة وحولت نظرها عنه فاستتم كلامه بصوت متقطع بالنكاء  
مستعظناً باها وقال : بما الي لم اذنب الا اليك فاستدردك فادرة ان تسامحني . . .

— لم يكن اذاك مضمراً في مكثرون غيري نالهم شر جرائمك  
— اني براء من الاتهام التي فعلها الروسه اني اتم لك على صفة ذلك . . . اتول  
ولم تلطخ يدي ببقعة من تلك الدماء المرافقة ! . . .

واذ رآه هم بالذنومها تباعدت عنه فاستمع كلامه وقد ظهرت امارات الفسوط  
والهأس وقال : اني احلف لك باعظم الايمان على براءتي من مقتل نسب الذي سعى  
لاقتلاكه حين صررت في ايدي رجال الروسه عند خروجك من قصر مراد بك . . .  
وانا وحي حبك بريء من الجملة على ميقاتيل اللبازي . . . كما اني بريء من جريمة

مل اندراوس الدب

— اي اراي مصدقة كلامك ...

— آواه ماغادة القناع مري بما تتناين ... وقد ظهر في وجهه السرور لرجاءه

ادراك المرام

— أجل اي معتدة ماك لم تؤمر ماتيان تلك النظائع ولم تشترك في المناهل المذكورة ... ولكك امت زميل فاعلها وخليطه ... فان ييك و... ذلك الظالم الشرير عهداً وثيقاً لا يتركك القلص من رماقه لو مها فعلت ... امك بالدم المهرق اصبت هذه الثروة ... فان هالكك على حب الترف وهافتك على طلب المعى قد حركا يد الروسه الباطشة فهذان القنبلان يتيان شكاك يوم الدين يوم لا تجري نفس عن نسر شيئاً يوم تظهر الخلفيات ويوخذ كل امرء بما قدمت يداه وربما تكون الشكوي موجهة عليك اولاً ... لامك متهورك في هذه الذرور والسببات المحيطة بك لا تطاخطك بالدماء قد اضعفت شرفك الثالث ومناقب ييك السابية وبهاؤه المصحل ... قل ما الذي دعا الى مقتل نسب وبيخايل اللجاوي الى محاولة اهلاك اندراوس الا حب ادراك الثروة ولبن هذه الثروة ؟ ... فانما هي لك وللروسه وات نسك اخبرتي بذلك من قبل الم تذكر ذلك ؟ فما عسى ان تكون النتيجة من كلامي فاحكم انت في الامر واعدل

اما فريد فخص راسه وكاست شفتاه تحركان ماطقتين بما لا يفهم من اللفظ — وقد تشخ وكان ما لفظه : احى ما نقولين ! ... اما هي فهمت ما لا بصراف فناداها : غادة القناع لا تبرحي هذا المكان مهلاً ... فما علي ان افعل ... لارهن عن حيي لك ! ... مري فاني رهن امرك بكل ما ترومين

— أعد حياة من مات

— آه ! آواه ! ...

— اذن لا تسألني مشورة بل اعمل ما يامرك به بمدك انت كانت الدامة

خامرت قلبك

وما لبثت ان مشت نحو الباب وبدالها فوقفت والفتحت ارادة ان تساله عن امرى منهما كثيراً فعرف سبب توقفها وانفجها وقال : ما شامك وهم ترومين بالسؤال ؟

— امر واحد

— وما هو ؟

— ما سبب طول كتمانك عني الاخبار ان والدي باقى حي ؟ ... وعلى م

لو كنت حاولت بالتحقيق ان تنفذ انداوس لجعلت محاولتك طي السر ؟

فرزفرتبه وقال : ما كنت لاود ان اخفي عنك هذه الامور زمانا طويلا ...

الا فلو تعلمين انه لو ارتاب في الرويه واحسن مني بكرة آثامه ومنعت اعماله وهذه

الثروة المكتسبة على اثر هذه الفظائع والمساىء او لو درى ان اباك بولس البقاعي

هو حي ؟ يرجى واني حاولت ابتداء اندراوس لاصح ولا شك عدوي الاله ؟

— اوانت تخاف هذا الانسان كما زعمت ؟

— نعم اني لاخافه كل الخوف آه ! لاتتكري قولي ولا تخفري لي فاننا لست اخافه

واشقى منه على نفسي وانما ارتعد وارتاع من هولته عليك ...

— علي ؟

— نعم لانه اذا احسن منا بالحيطة لايؤمن ان يبادرنا كلينا بالاعتقام ... وفي

الوسع ان يقاوم ما دست اخالف معاصيه الشريرة ومفاسده الحيطة مخالفة سرية ...

ولكن اذا جازمت بمناصبه ومناواته كما اني عازم ان افعل الآن لزم عن ذلك اثارة غضبه

وايقاظ شره ولا يذهب عنك ما يبلغ بقوة غضبه من الامور ... فيجعل انه لا يكتفي

بالذاتي بل يهلك انت ايضا بسوء وضرة ... ولكنك قلت لي ابها السيرة ان

اقتصر في الاستشارة على ندمي ... فتولي لي باعادة البقاع اذا مضى ابام طويلا

ورأيت ما فعلت لي ... اذا كان يرجى ان تسقط من فيك كلمة تؤذن بالصنيع ...

ولا اسالك الآن الا بعض الامل في ذلك ... واود ان اتمتعني ان يلج قوادي

رجائه ضعيف في ان يشرق شيء من النور على الليل الدامس الذي صارت اليه حياتي

منذ هلمت بهبك

وكان فريد يتكلم وصوته يرتجف وقلبه يخفق وجهه مظلم حتى خيل انه مشفى

عليه عند ختام حديثه وكان يواصل استعطافها . اما هي فمرت في مخيلتها صور الاعمال

الصالفة وما فاست في السنتين الاخرتين منذ عرفت فريدا من عروب العنف والعذاب

وانه جاء مترقا الاول وحملها على شدة كرهه له بما توصل به واحتمل لاختطافها

وجهاها وما تبع ذلك من الفظائع والمنكرات ثم ما كان من اكراهها على الاقتراض به

ولباس ذلك المؤلة وكيف انه لم يرق لها ولم يشفق عليها وغير مراع شق حياها

لعزير . ورأت انها لا تستطيع ان تصبر على البقاء مع مثله غائبا انما ونظرت الى

حال فريد وما صار اليه من ضعف المنة وقلة الحول وتلقي البال وسأم الحياة وملها

وايضاً فان فريداً دري بما كانت تفكر فيه فقال لها وصوت كهوت الخفق  
او المحشرج ، باغادة البقاع ... اصغي لي واسمي ... بيداً خرجت من الفرفة  
قبل ان يتم حديثه وهي صامئة لم تنه بكلمة  
اما هو فوضع يده على راسه وتهدت تهدتاً خافتاً ومال على الكرسي حتى سقط  
راسه على المائدة وعدم الحركة بالاطلاق ... وكان قد أغشى عليه

## \* ١٩ \*

وجاء الليل ولم يبق فريد من غشيته المستمرة او ان الاغواء انضى به الى الاستئفال  
في النوم المنقبه السبات لفدته تعب وكثرة غمه ؟  
وكان ان خادمه الخاص قد استبطاً نداء مولاه اياه فقلق واشتد قلقه ودخل عليه  
الفرفة مسرعاً فوجده على الحال الموصوف وظن ان سيده الامير رائد وفاد الرحة  
فاحتذر من ارجاعه بان خفف وطأته وخرج . اما فريد فلم يكن يسمع ولا يبصر  
شيئاً . ثم بعد ساعة دخل الخادم ثانية فالتى مولاه كما كان فانكر حاله وخيل اليه ان  
مصيبة الممت به فصاح مضطرباً : مولاي ... مولاي ... فلم يجبه فجعل يده على كتف  
فريد فلم يستنق فزعه بشدة ففرك وقح عينيه . وكان في الفرفة مصباحان موقدان  
فراى الخادم وعرفه وفانى وعلم ان نوبة سبات ادركته من جزاء ذهاب غادة  
البقاع وزوجته فاشار الى الخادم بالانصراف قائلاً له : لاتدع احداً يدخل علي  
فينبغي ان آخذ فسطحي من الراحة  
- مولاي الا تامر باعداد الطعام ؟

- اتي حسب ان آكل في مرقدي هنا فهنا بما يحتاجني من الطعام  
وما مرّ غير خمس دقائق حتى أعدت المائدة في تلك الفرفة وما دري فريد  
الا ان الخادم يدعو للاكل فامرته بالخروج عنه ربها بدعوه اليه  
وكان فريد لم يزل مرتبكاً في تيهور المواجه فائصاً في لجة المهبوم والغمم وانما امر  
باحضار الطعام تلبية لدعوة الخادم لا لتصد الاكل لانه عدم القابلية بالكلية وبما لك  
ان جلس على كرسي كبير واخذته نوبة السبات وطلق يفكر في حاله وقد ومنعت قلبه  
ويخل بدنه وعادته المواجه والوساوس وتمثلت له صورة حياته السائلة وجراحات موهلة  
في قلبه وكان آكلة تاكل جميع قواه وعلم عاقبة تفرطه وعبوره في مهاوي الغواية  
والضلال واقدامه على موارد بذل شرفه في سبيل المطامع السافلة الدينية حتى رضخ



منه الاختلاط مع الاشرار ومشاركهم في مساوئهم وجرائمهم المستعظمة ... تهاشم على حب الثروة فاصاب منها مفعلاً بارداً وكاد لئان يستأثر بالاصيب الاوفر منه وصار ذا مجد مزوق الظاهر مزق الباطن في ظل عزه باطل زائل وعيش واسع به انه لم يزل بذلك الراحة وصار اشقى وانس منه قبلاً بقات من المرات واضحت حياته قصص وعمره ينقضي وجسه ينحل منذ ران على له حب غادة البقاع وملاكت قياد وقد طالما دافع هواها وحاول التخلص من رباهه واشراكه ولم يقدر وما زال حتى بات اسير الغرام ! ...

ولما كان عاجزاً عن انتقاء اسباب الهوى وغادة البقاع كالشمس الطالمة في قصره تملأ حساً وبهاه في ابان التمام نادى تلامذ الصبر والجملد يتقلب على فخاد الالم ويدم حيث لا يملعه الدم ...

وبدا له فاراد ان يحكيها وما شاءت او ان يبرح هو نفسه القصر قاصداً العزلة والانقطاع عن الناس توبةً وتكديراً عن ذنوبه على ان الخفاس الذي يوسوس في صدور الناس زين له العذول عن هذا التصدد الحميد واصبح لم يستغنى من النعمة شيئاً ولم يكن ذا عزم على اتمام هذه المقاصد بل اتبع هواه واختار ان يلزم جانب معذبه وان يعاني لاجلها الاحزان والاشجان وقد شعر ان امامه صارت قصيرة الخمول جسمه المذني من الرمس . وقال لغادة البقاع وقوله صدق ان سيرته قد تغيرت ونحولت ... فعزم ان يلزم منزله ابناً منقطعاً عن مشاغل الدنيا وامور الدنيا لا يحفل بالهيب الظاهر والمجد الظاهر ... حتى قيل انه غلب ... جبر انه مريض — بداه لادواء له ...

وابت يقضي اوقاته في حجرة عمله المقيم بها في الحال وقد اجتمع بامرأته منذ ههنا ... وهو مفكر فيها وفي احوالها منذ كراً هيئتها مراةً بحركاتها وسكاتها كلما ظهرت ومرت وسط الدار ويجد بهراً ما مصحاة من سكر النعم وكامت على نمادي الايام تزداد جمالاً وكلامع ان على وجهها صبغة من صفرة التالم والعذاب اذ كانت كهيئة لا تبرح مصورها الا في الندرة .

وكان فريد يوم لا يرى غادة البقاع مجتازة في الدار وليس له ان يستاذن في مشاهدتها بشعر حبي من نفسه شيه بالجسور ... ويثور الدم في راسه فيطبق عليه ويحمل راسه في اباء البارد تخفيفاً لشد الحرارة ويستهب اليه روجه الى ان يسكن اضطرابه لاجل ان يسا الرجل كان يعاني اسد العذابات مع ما طبع عليه من القوة

والترفع الى السر والابحات في الماوى. وقد استحق الدفنة بما داخله من التوبة  
والندامة التي لم يستطع انماذ مؤثراتها ودواعيها . . . واطلم الليل فنبض فريد من  
كرسه وكاد ان يعيه النبوض فيسقط وهنا وضعفنا وبت في جيبته غصون الكهولة  
قبل اولها اذ انه لم يزل في شرح الشبهة وانما ذلك لكثرة الموم والغوم وايضا  
فقد نقوس ظهره وتغصن جلده ووخطه الشيب

وخطا بعض خطوات في الغرفة معتدًا على ما هناك من الامتعة كيلا يستط  
من شدة الضعف وجعل راسه بين يديه وتلصق الصمداة متهدأ من صميم فؤاده وعيابه  
منجهتان الى غرفة غادة البقاع يراقب حركاتها ويلاحظ كونها حزينة كهيبة لما تترن  
من ارقها واتحايها على انفراد سيحجرها وكانت دموعها الدافقة كأنها رشاش  
رصاص تنفذ فؤاده علمًا باشتداد كربها وغمها وليست آمنة في متصورها نقيا  
حرمها واهرب يراقبها ويطلع اليها حتى در الباب وقد مضى مزيج من الليل فنامت  
اما هو فلم يستطع رقادًا ولم يدس لجبهه وسادًا بل بات كالمنزول يؤثث  
حركة خاطره هلما وتنفض افلاذ فؤاده جرحًا يجمل انه عين المهدف ومزة الخاف  
فصار كمن لا يعرف من الامر سدادًا ولا من احزط في بهام رشادًا . ومع ذلك  
فكان يردد وهو جائش الهال ما يدل عليه لسان الحال

الا ياليتها تلو جناحي وتخلص لي بدنياها الودانا

فيصنو مورث قد كدرته جرائم اتعبت مني القوادا

فطال ليله وعوامل اللوعة تؤثر في فؤاده وتيار المواجس يبور في ضميره اذ  
أثر السهاد . فرقة من الاوهام نزغات . وإن تخبر الرفاد . ارقه من الاحلام  
نزغات . فاستمر على ذلك الليل كله الى ان تلمت غرة الصباح فابتكرت اليه وصيته  
غادة البقاع وفي يدها رقعة مآل ما فيها « انني غادية لا تنقد شومون ابي » فاجابها  
من فوره ، لا انني لك عن ذلك زماما . ولا اصد لك عنه مرلًا لكننا الاخوتي بك  
ان تحتفظي عليه خدية ان يسري شر الروسة اليه قال ذلك وليت يترصد للوعها  
ترصد الدر في ليله القدر الى ان زابت غرفتها وامتعت العربى ونفسه تطير ورأها  
شعاعًا . يود لو صار دمعته بجراً تحول من فوقه العربى فلما يجمل له قلبه شرًا .  
فخط في اثرها بعدل لم يمكن منها وداعا

وما نزحت للعين بعدك عبرة اذا التحدت قادت لها اخوات

واستزق الرحمن للعين نظره اليك تدأبها من العبرات

فان مست بالشوق الذي في اليكم فتلك لعمرى حسرة المحسرات  
واما في فانها اقلتها العربية الى ابها والعيون عنها غوافل . آمنة من غدرات  
الزمان وسائلة من شرك العوائل فاقامة في مثابة لا يعتاد الطارقون مزارها .  
ولا يفرق العادلون سناهما وان تلك لمرة اولى وثقت فيها بكلام فريد مع انها لم تكن  
ذريعة الى ان تسميها ذكرى المساوى . التي اقتصرها بمقارنته للروسة وبماثلة الأعلى  
هذه ما قبل

عن المراء لانسال فسل عن قريو فكل قرين بالمقارن يقتدي  
وان تسأل عن امره بعد نزوعها الى أبيها فاحذرك ولا حرج : انه سار الى  
منزل الروسة في الرملة لا يلوي على شيء في طريقه بغوص في مجمع من المهاجس  
وعباب من الاضطراب وقال في نفسه وهو سائر لاندوحة لي ان اجعل لهذا الشأن  
حدا يكون فصل الخطاب ! . . .

فقابلة على خرع منه وهو في مطعم قاضيًا غذاءه . واما الروسة فلما رأى ان  
فريداً من يلقي مقاليد اليه ويحك ذراعه بذراعه ايقن انه في مامن من التريب والمواخذه  
ان استقبله وهو في مكان غذائه فتلبث له وبسط اليه يده بسطة تدل على ابداء  
القبول واعز اليه ان اتعد قائلاً انا والحمد لله فخلصنا من رباى الهوان واستند رجعت  
الينا مراقبي البطة والسعادة

بعد ان فريداً تشطفي مكانه غير ناهس بنت شفة ولا باسط اليه يداً . . . .  
فقال له الروسة وقد كسر في ذرعها ما بالك ؟ . . . ارى ان رويك اياي وحدي  
خلي الذهن من البلبال بهتك على الدهش والمهرة فاني فحوت ممن كان القلب يستطار  
هم فرقا . واحاذر من سطواتهم ذلاً ورمقاً . ألا تعقل ان في وسعي تاليب انوار  
يستمرلون اليه واستنيم اليهم وقت الخطاب ينفذون شوكة المقاومين ويقعون من  
يفرضون بيتنا وبين السجاح حجاباً مستوراً . وبماجاز القول ابث لديك انه لم  
يبقى من الحشم الاوائل سوى ذئاب وان الدكتور سليمان والحادم سيمان قد حصما في  
مآلاتنا على كل ما لست بجاهل سعادة عقباه . اما الاعمال التي تمضت باعبائنا فلا  
بد من ان تكون قد عرفت تيجها بما ذاع من فرار القاتل وخطف المقتول وهما نذا  
أبسط لك عن كل ذلك حديثاً واسعاً

— لا ارضى في استماع ما يعود عليّ قاتلة الضرر . ولا في الجسوح الى رجل قلبه  
مبرك الشمر . فقد فاض الاناه وبلغت النفس الهز

— ما هذا الكلام ؟ ... ما طع على ذمك ! ... أأنت مثلي غرضاً للوادع  
والقوارع وشريك في المطارب والمصائب انى والله لقد كنت أقرب منك شكراً عما  
ومدحاً صمياً . فقابلتي بنظرة جرححت الفؤاد جرحاً اليما . قل لي أيتها اللين  
أذهب عن نورك انى أبيت أموراً يجرحها ابو العجايب ويخاف عن الانبيات  
فيها كتاب من ذوات البرائن والمخالب أيسهل على المرء ان يتلف من ظهراء القضاء  
جثة ويخلص من بين ظهرانيهم صمياً فذلك امرٌ نصفه المشافر قبل الدنونه ويجعل  
لناظر اليه الملك بقينا ولمست بذامل عن معرفتي الضابطه وما يتأتى على من بينك  
حجابهم فكل هذه الامور هيأت لي حجة دامغة تقضي بشدة صريحتي وصعوبة مراعي  
وبأن الاعمال الجليلة فلما يزاولها منغم ويكون له بها فوزٌ كفوزي فاك لا تفهم  
ان لاسي رنة لا ينصر من الجراء صداها وان لجراء قلبي ذكرى حية تكاد لاترى  
جلاً ما رواها . فهذه المحادثة احدثت بيروت شغلاً شاعلاً تنسبها قنبلاً وقنبلاً  
ترسم على لسان كل من ذوبها ذكر رجل

نخس المطوب الدم من سطواني اذ فرط حيلو جهل الهاللا  
ثم حدى في وجوه الامه فرأه لا يزال كالحا عبوساً . فقال له ما بالك فدنك  
نفسى لا تكون في انسا أحالك عني امرٌ فادح يحط طيباً وبلاط وهوساً . أم  
خفرت ذمة لا ينقضا الا من كان في الناس خديماً . تذكر وحياك من آخاك  
واساك واحطال على الارض اهداب خفاك وانت مقرٌ امك

لما سمعت بو سمعت بواحد ورأيت فرايت منه خبيساً  
ولحظت أثمة فسلن مواهباً ولمست منصلة فسال نفوساً  
اتقابلني بوجه تعلوه الجهامه . دلاً من ان نهش في وجهتي بحال السلامة .  
فهذا لعرك امر هون على حلل الحزن وجعلني

اذم زمانى واسأه فمة ومنهم انتفى المسامه  
وكان الروس في غضون ذلك الحديث يحط زهاناً ولاباً ويده سيكاره فتراف  
الى فريد وقرب اليه مثلها وقال له اتود ان تدخن  
— لا اريد ذلك ...

— ومجك ما تريد ؟ ... وعلام انت ممتنع الوجه ؟ ... اخذش خاطرك نما  
مشموم أبيت الآن نفة لدي ؟ ... بدار ؟ ... فان الانباء السارة بمسن  
ارجاوما . ولما الانباء الضاره فيجهم ابدأوها . فتأجيل الاخبار وان خمس دقائق .

قد يكون سبباً لوقوع الخطب وما نصاً من ملافاة البوائق  
 اما فريد فمزراة اشارة الى ان الروسة حل في وادي اعمر دي زرع وان الامر  
 ليس على ما رجحه ... ثم صمت الرجلان برهة من الحين واخذ كل يشرق رقيقة  
 بسهام من اللخط احد من شبا السهام ويقذف عليه من مقفه شرراً ابن من  
 فصيح الكلام . واستأنف الروسة بعد ذلك كلامه قائلاً ما تريد وما بعثك على  
 المهية التي . فاجابة فريد وهو ساكن الجاش وسبه من غرو لا اريد امراً قريباً . ولا  
 اتحدث ما ليس ماتياً . بل اود ان القيك على الارض رمياً . اسيل من اوصالك  
 دماء تري الارضين سيلاً انها ...  
 فارتعدت فرائص الروسة من ذلك ونادته بالقول انتقلني ؟ ...

— نعم

فاوجس منه خيمة وتكبدت الى خلف المائدة لتكون بينها حصاً دافعاً واخذ  
 يسرق مشاجب المكان بنظره على يرى عليها سلاحاً مافماً . فكان احباط مسعاه بشخص  
 لدى عينيه حاماً رافماً . فانتفع لونه الى درجة جعلت فريداً يحسبه لديه خاضعاً  
 وقد كان فريد في ابان ذلك يرمو اليه وهو باسم الفخر تلوح عليه سات  
 الرصانة والوقار ولو لم ينفه بما فاه لما داخل الروسة انه يود له امراً وبلاً فخطا  
 اليه خطوتين وهو اعزل من السلاح وقال له لا تخف ...  
 فاجابه الفاسد السريرة والشكس الحليقة وهو شاخص اليه ومن موه عليك  
 اني اخاف ؟

— انيت لقتالك لا اغنيالك

فتسهم الروسة وقد سكن روعه وقال له شذتك الله ان ترحرح عني عب هذا  
 الحديث ونصرف الى موضوع اسر علي من هك المداعبه  
 — ليس من دأبي أن اداعبك  
 — أبيتني غير مامور اي امر يستحقك على قتلي ؟

— شوم نقيبتك وختمت قلبك اللذان اخرجنا صدري وذم بصري وصرفاني من  
 الدأب في استنهاج سبيلك ومن القادي في مجاورة فحك وشرك فانبث لا تخرج من  
 آثامك الذريعة واحمل حينك حباً للقناص ولكل اعمال شنيعة  
 — قد كنت احصب ذلك وما اخلق المحسان ان يكون بيننا  
 — انك احصبت الهدف وانيت بمحبتهك بما يباري فيع مذهبك وهنني من

الاسهاب في حديث يكون لما اضمرت منها  
— لا لا . . . اني اسالك نيأما لما ادعاك لهذا الامر وعهدي بك رجلاً بفرش  
لي دخلته لا يكون عليّ بذاك ضمينا

وما لبث الروسة ان فاه بذلك حتى قعد عن كرسيه واعتمد على المائكة امامه واوقد  
سيكارة اخرى فقال لفريد مزدرباً وخذ ماخذي بان تلتقي بسيكارة مثلي فتخفف  
عنك برحاء الاثقال فان الحديث اذا كان في اثناء ذلك حين يجعل قائلة في جهاد من  
المخفض ولا سيما اذا كان يتخص دخاناً في اجود الشغ وحسنه . . . فان الدخان يهد لك  
الصبر على الموجة ويمت فيك الصغية لامة يرافك مالموان امان ترحل او تهل  
ويجعل فيك الحق مثل دخان يتعالى قليلاً ثم يصهل

وكثيراً ما احدثت نيران الزراع بين الخصمين وقت تجرم اول ذرة من  
الدخان فما تعالت قليلاً حتى نزع من قلبها الموجة فاطلص كل لرفيقه فهناه  
عليه فاقعد . . . .

اما فريد فلم يد حوايأ بل لبث صامتاً مجتزأً بهز راسه فقال في الروسة وهو  
باسر الوجه اشعر من ملاح وجهك ان من شأنك الوقعة  
— اود اجل منها . . . اود انصراماً لاجل احد المتخاطبين

— انضيع بايها الأمير حرمة العهد ونصرم اسباب الود وتجعل اخاءك الماهرين  
مندماً . فادار في خلدي ان اراك عتيك بعد ان رابت منك خلاً وفيك . تذكر رعاك  
الله يوماً وقع فيه طائر نظري على روض عيبك . وقد كانت يد الدهر تعبت ببالد  
شاك تتاعف من حادثات صبرتك فقبراً شقيقاً . اغاب عن ذهنك ان الدلال كان  
بالامس بيع مناع ينك جزافاً بالوكس وامت تدور حوله منكس البصر كتيب  
النفس . تندب على مسمع مني بالآرخيا وعيها هيباً . تذكر كيف عطلت عليك  
لارفع باظرك وحنت اليك لافرح خاطرك فسكنت اليّ بعهدك رجاء ان تنود عينا  
— لا انكر اني اتخذتك رفيقاً صغياً . ويحيا وقت نزول الطوارئ فوقاً ولكن . . .  
— ولكن ماذا ؟ . . . مواثقتك اباي تنفي عليك بان توصل ركوبك اليّ وان  
يستمر ديدنك مقارناً لديدي الى ان ينقضي العمل الذي اقدمنا عليه

— العمل ذميم والمقدم عليه اثم  
— ليس ذلك من اهانمك ولا من استنارك واعتزائمك فانه منصور على عزدي  
وموكل لمني وان رجالي لم اضع الاع بها يكلفون . فليس عليك الا ان تعاز اليه

بالارادة فان ذلك حسبا وانا بدلفاعون وان كنت جروحا من انك لم تنفس الى  
الآن في غضارة العيم فان سلوكك منهاجي واستضاءك بشبكة سراجي سيات بها  
يناط يسارك ورباشك . وامران يتوقف عليهما لتجارك واعماشك فوالله لم يكن يفدر  
في صدق مودتك ولا يظن في جميل مذهبك ومماحة اخلافك انك تخيس بالوعد  
وتنقض الشرط وتكافني على الجميل بالقتل عمدا وهل يكون جزاء الاحسان الا  
الاحسان فهذا امر ما اضطربت به حاسي ولا همس في ضميري فان كان وجودي  
يطأ على من اشرافك وينقض رجاءك

فيا نفس قبضي في هوى من وددته . فان قضت غاضت منه عمة حزته  
ولما انا فلا ارضى بايها الامير الا بان يكون جبل عرك مربوطا باوتاد الدوام  
وهامة مجدك ناطحة روق الفام وارى ان حياك حيزة عهدي . اذود عنها كل طائفي  
وجهدي فان بيني وبينك محلة نازحة ومسافة بعيدة فان دأبت في عزك ترى  
بضاعة من تكون الرابحة ونفس من تكون السعيدة

— اثبت لاحد امرين هو قتل واحتر من الاثنين  
— معاذ الله ان يكون ذلك او ان او اطلقك على ركوب المهالك  
— بلوح لي انك لا ترغب في البراز

— أعزني يا فريد آدانا صاغية واذهاناً واعيه ولا تكن كولد افكاره بسفاسف  
الامور لاهيه . الا تدري اننا تحالفنا منذ سنتين على ان نركب طريقة تؤدبنا الى نوال  
البحر بعد السروها اننا على وشك الوصول الى الوطر المطلوب فلا تدع الفرصة  
تذهب ضياعا ولقد آليت لك نفسي اني ادنيك من المسيرة ولبان العيش وعما قريب  
ترى اني ابر في يميني فانك ستصير ضجيع الدعة ومستشهد الراحة اذا واصلت توخي  
موافقتي والناس مبرني فتدبر اعزك الله امرك وسرح طائر نظرك على المآثر الخطيرة  
التي نهضت بياضها فان غابة الاوطار قريبة ولقد باشرت امرا لا نستوعر  
هندي مسالكه ولا يتعسر علي التجاره

— يدو لدي انك مقدم على اقتراف جريرة جديدة  
— سبحان من طبع على قوادك حتى غدوت لا توفق لخير ولا تعي ارشادا فاني  
اكرر القول عليك ان الامر لا يعرض لك ولا يهلك فلانجت عن اسباب البسطة  
والغبطة بل تأهب لان تصير راضيا موسعا بعد ذلك الاملاق والمخاضة ٠٠٠  
— واني اعيد القول عليك اني اود ان تحلي الرقعة عن قتل احد الاثنين

— لقد اضمت ذرعي وفنت في ساعدي ولم أكن اعهد انك تكثر من الاصرار على مخالفة الحق ليس لك من نفسك زاجرٌ ينهاك عن القوم في الورطة المهلكة .  
 اما حفظت في ذمك ما عرضته على مسميك قبل عقد ريجيك فان كان برج حافظتك فانا اعبدك عليك بالحرف الواحد هو : « ان الابنة جميلة حسناء ولكن اياك ان يهواها ويحب بها هياماً ربما يودول بنا على احباط مساعينا ونغيب اماننا واماننا . احذر احذر من غلبة هواها على قلبك فان في ذلك خطراً عليك يهر القمص منه » وما انك قد ارتكبت هذا القسط المين فانها نبضت على قيادك وتحكمت في فؤادك . واما فريد قلم يكن يصيح له لانه كان موطناً عزمه على انشاء امر لم ير من انجازها بدا فقال له نهم اني مزع على قتلك فما عليك الا ان توبد بصبرتك وترعى غفلتك ولا يتم لك ذلك الا ان تبسط الى حلبة البرار حيث يمي احدنا جديلاً

— ان اخطاري لنوال كل رغبة ومغن يجسني عن مسامكتك على هذا الامر المشعوم لان حياتك اصل ثروتي ومتوسد راحتي فان قتلتك اضمت اموالاً ليس الى مردها من سيل

— لا مناص من القتال رصيت ام لم تعرض

— وما هي الذرائع التي تمكك من الاستيلاء على ارادتي والقبض على عنان حربي الا تنقذني لا اود القتال

— اذا لم تقدم على ما انا مقدم عليه هجنتك وفتنتك

— ذلك لا ينجس من حالي ولا يخط عن خطري فيني وبك تقوى الامانة

— لا انتصك الا على مشهد السواد الاعظم من الناس

— آء . . . اقدم على ارتكاب ذلك

— اي نعم فاني في حشد غدير من الحس وجه عليك سهام الامتهان

والنضاضة

— الظاهر انك مزع امرًا لابرار منه

— ليس في ذلك ريب

— ففهم وجه الروس وفار فائره وثائق القبس من مقتنيه وفريد ساكن

الجماش متاهب لتضحية حيوة براها مرة وصبة لديه فقال له الروس فما انك متعمد

امرًا لانود الا ركو به فقد المجأتني الضرورة الى ان اقول



إذا لم يكن إلا الاسه مركب فلا خير المصطر إلا ركوبها  
ثم قال فليدرجنا إلى ما يؤتقاتل فلاني أرى أنك مسدد الرمي بالرصاص متلي  
وبناء عليه فلا يسوغ أن تتقاتل بالفرد لأننا بذلك نهدف لموت فان الرصاصه اذا  
صابت رأس احدنا قضى صاحبه لامحاله

— فلنقترب على نوع السلاح  
— لا يفوتك أن الاقتراع اعني فلا اواضعك على ان يكون نوع السلاح فرداً  
— فلنقتل بالليف اقتتالا ينهي بقتل الواحد ما الآخر  
— رضيت بالليف فانه اعدل من الرصاص لان ضرته لا تختلف بدين  
صاحبه

— لا بد من موت احدنا على اثر الذراع  
— مت انت . . . فاي خناس وسوس في صدرك فزين لك الموت . وحدق فريد  
في الرويه وقد امتلاء موجك وحددأ ففهم الرويه معنى ذلك وإن فريداً كارهة كل  
الكراميه فاعمل الرويه برهة ثم ادار وجهه اليه فقال : قلت لك مراراً لیس من  
ارادني ان اتفك فان بطول فائق كل خفزي وراحتي وحياتك كل جدتي وثروتي  
واعلم ان عدم مالائي لك على البراز ليس موقوفاً على ومن مني فان لي عزمه راسخه  
وهو باذنه لستافي بشر وكنت اسألك عليه في بادي الامر ففطنت ان ذلك  
حاجز لتقدم يساري ومنع من استمرار تمنجي باقومك اللطيف فاري ان في برازك  
خسارتين عظمتين تطران علي فلذلك اجتنف عن البراز ولا اوافقك عليه ابداً  
— انني الجئت اليه

— اتجنب الاقدام عليه بقدر امكاني  
ومن الين ان الرويه حاول مراراً ان يخلص من ربه البراز وكان يخشى  
ان فريداً يلجئه اليه فهداع الامر في ارجاء المدينه وربما طرق النبا مسامع الشرطه  
العسكريه فتمرع اليهما فتعقب عن السبب فتقف على دخيله فيكون ذلك عليه وبلاً  
وسبوراً فاخذ يسعى في ايجاد سبل يملكه من التفت من تلك المحبائل الرائعه يده  
ان مساعه لنوال ذلك ذهب ادراج الرياح فان فريداً لم يكن ليقطع عن عزمو  
ويتطاني عن مراده فلذلك اظهر ميله الى البراز خائفاً ان اياه له يسوقه الى ما لم يكن  
يسنوب وقال في نفسه ان فريداً لم يزوق له ذلك الا شر الساء فرنا اليه وقال  
اذا لبثت مصرّاً على طلبك وغير قانع بالاسباب التي تؤيد غائله هذا الامر اللدیم

فاني اوافئك عليه فان حملني على الامور الموبقة اقدر في نفسي انك اوقعت عليّ ضروب الخزي والمهانة ولكلك ستبقى وتندب قبيح فعلك بقرن انك جمعت في العماة ومزمت في الغواية. والحق يقال ان الروسة كان في طوقه ان يبطش بفريد ويزيقه نكالا مرّا غير ان ما يترتب على حياته من جبر الذخائر والمقام رغبة في المحرص عليها ولم يحمله التذرع الى البراز سوى فرط لجاجة والخفية من استحصال الامر ومع هذا فلم يكن ممن يتو ان يوقع به

فقال له الروسة انك اني الى بيتك واعد سلاحك ان طلب البراز موكل اني لاني المهان وبناء عليه سأفقد اليك رسالة تشعرك برغبتني فيه غير اني آسف دلي غصن شبيبك اذ سينهر وهو في ابان لواء والويل لامراتك من بهدك ان كانت سبيلا لانقطاع غضارة ترفي وعلة لمبوط مجدي وشرفي

— انني استظر طلبك وماندا انصرف

فبعت الروسة زمانا ثم بعث الى فريد بكتاب فيوم ما ماله : يحى لي اخيار السلاح ولذلك فاني انخبر ان يكون قتالنا بالسيف فتوافني الى المحانوت الذي هو حد فاصل بين الجبل ويبروت واشترط عليك ان لا يكون معنا سوى الطيب خديعة من ذبوع الخبز وعليه فليس من لازب الامر ان يكون معنا شهود ولدن وصولك الى المحانوت تتوغل في غابة الصنوبر الى ان نصل الى مكان لاترانا فيه عين ولاسمع بنا اذن فتفقد حسامك وسرلدن وصول كناني اليك

ولم يضر المديد من الزمن حتى ورد من الامير فريد جواب هذا ماله « الغد موعد اللقاء »

## ٢٠

وقد وفد في ذلك الليل على منزل الروسة - ابينا الطيب وبعبته سمان الذي اقامه الروسة وقف خدمته. وورهن اشارته وبعد اذ تبادل كلمات التحية اطلع الروسة الطيب على ما عقد النية ان يعمله في الغد وتقدم اليه ان يصحبه ليكون لذلك البراز الموي شاهدا ثم ان سمان انباء الروسة ان جورج اللبازي الطيب وصل الثغر غداة ذلك النهار وانه تمكن من الاستعداد لديه بصفة اجبر في خرفته الخاصة وذلك لما ان قومه لا مومن به لا عنانهم باخيه اندراوس التي تمكنت العله منه فاشرف على الهلاك ولم يبق من شمس الامل بشفاة الا اشعة ضئيلة وان لولو تعني بالعليل عناية بينهما الاخلاص وتدفعها المروءة والحنان فاشار اليه الروسة بلزوم متابعة العمل حتى المنتهى على الطريقة

تني ارتأما والشكل الذي رسمه . ثم أوضح ان البراز الموي لا ينجم عنه موت او خطر  
اموت لما انه مازف من قصد التلذذ بخصه وقتله على انه سيف موقوف المدافع من  
نفسه بمعنى انه يتمكن ايضا من جرح الخصم جرعا لا تشوم تافقه

وقبر القديسات عربات ثلاث تفل كلا من الروس وفريد والطبيب وبهوجب  
اشارتهم اوقفت تلك العربات عن المسير وظلت امام القوة القائمة بجوار مخزن الجبل  
وامر سائقوها بالانتظار ثم نزل الثلاثة من مركباتهم فاستقبلهم خادم المعاطوري بالباشا  
والباشا واذا كن لفريد سابق معرفة به استدعاه على انفراد وحاطبه بما ياتي من الكلام  
— انظر الى هذا الرمال الابيض فانه لك ان خدمتي بامر اعهد به اليك

— وما الامر يا مولاي الملك تريد ان اقدم للجباب قهوة تركيه

— ليست من غرضي الان على اني مزعم ان اسلك رسالة فيكون من هلك ايضا لها لها

— ولين الرسالة

— لحيلتي عادة البقاع

— على الراس ثم العين

— على اني اود ان تسير بها الساعة

— مثلك من بامر ومثلي من جيع او امرك بتدقيق

وعندها اخذ فريد ورقا وكتب لفادته رسالة وجيزة العبادة كثيرة الاشارة  
ودفعها للمعاطوري الذي تظاهر براءة ذي يده بعدم رغبته في اخذ الرمال مع انه كان  
يوث من صميم فواده لو انه يتمكن من استحصال ضعف تلك الاجرة على الاقل ثم سار  
بالرسالة المذكورة والملك ما لها

« يا غادتي الكريمة »

« ان كثاف الغيوب والعالم بمكونات القلوب يشهد اني اود لك رغبة العيش  
وطول البقاء واتى منذ امد جعلت نفسي وقف سعادتك وحياتي فدا مرصاتك . . .  
وحالما تصل سطوري هه اليك اكون قد اقتلعت والروس . . . يا غادة البقاع فني  
ان اقتل خصمي ثم اقتل لان هوت كلانا تنالين ما اتناه لك من سعادة المحال  
وحسن المآل فاميني ان تكوني اسعد الناس . ورجائي ان تصغي عما اسأت به  
اليك وبغيتي الا تذكرني بسوء ومني ان تنفي ايها الغادة الكريمة اني احبك مثا وحييت »  
وكان الروس والطبيب قدما فريدا بالمسير ففص على اثرها (فريد) وكان  
ينظر نظرة الوداع الى جمال الطليعة وكان كل مامرت بولسيات الصباح النقية بدوعها

نفاث الحزن والاكتئاب وكان قلبه يحنق وفؤاده يضارب كلما تذكر اربار الميبد  
ليس لانه كان بأسف على فقد الحياة بل لتدوره ان موته يفعله من غادة يملك  
حبها قلبه واخذ بمجامع له

انا ابكي على فراق حبيبي لست ابكي على زوال حياتي  
وما كان يريد كدرًا انه مزيج ان يجمع كأس المدام من يد الظلم والجور  
من يد الاثم والدر نريد من يد الروسة خلاصة الصفات الذميمة وكانت هذه  
التجليات والتصورات ترد على خاطره وتؤثر في عواطفه حتى انه لم يفارق من ان  
بنوه مرارًا عن غير قصد هذه الكلمات مخاطبة نفسه : انني لعراضي مستحق هذا  
الكد فقد سلمت قهادي لاروسة ووافقت على مبداء الذميمة وكنت آلة للفريدة  
فلا بدع ان ذمت ما اذوقه من كروب الحزن اذ ان هذه النتيجة المربطة لكل من  
يخالط الاشرار ويقاسمهم اعالم القيمة ولما شئت الشمس صيف الفلاد الاخر وعلى  
الثلاثة مرجًا نصيرًا تكفه الاشجار من جهات الاربع فوقفوا في منتصفها واجنبعت  
كلتهم على انه الهل الانسب للبارزة وعندها ابرر الطيب آلة الجراحة ولغائف  
من نسج الكتان معدة لتضيد الجراح وبسط كل ذلك على الصليب الاخضر واذا رآه  
فريد قائما بهذه الملام قال له جسم يذوق عن عدم الاكتراث

— ارى من العبث اهتمامك بهذه المعدات باجتناب الدكتور

— لا ارى من العبث اهتمامي بما يبعد الخطر عن سوف يجرح منك ويمنفس من الامه

— عرفت ولا ريب من خصي ان هذا النزال سينتهي بمقتل احدا وموته وليس

بمحدث بدنه وجرحه وما اظن الاطباء يحاولون ارجاع الروح لايدي واحياء النمام المريم

فتمالك الطيب عن الجواب وبقي مهتما فيما كان ابتداء يوم انه ارسل في الهواء

ريالًا للاقتراع على من يحق له القبض على النمام اولًا مباشرة للنزال وكان فريد قال

« الطغراء » والروسة « النقطة » واذا هبط الريال على الارض ظهر وجه الطغراء

فتناول فريد السيف الاحد وخلع كل من المخصين دناره وصدرته تسهلًا للحركة

واذى كل منها آية العزم والشفة والجأش والاقدام والبش وبعد ان تناظروا وتنازروا

وتدافعا وتقاربا من الزمن خاطب الروسة فريدًا بقوله

اعرفي يا فريد اذنا صاخو وارعر عن غيك ما زال الوقت ياتن لك بذلك

اليك اليك عن هذا البراو

اما فريد فلم يفهم ببنت شقة بل امال سينه ذات اليمن وذات الشمال وكاد ان

ينفذ في صدره لوله لا ان هذا ابدعه وصاح به قائلاً

— ادفع المويل عنك

— لا بد ان ينتهي هذه المنصام بالموت !

وظل كل من الخصمين يحقق قوى ماضيه ويراقب حركاته وكنت تستمع صالحة  
السيفين بدون ان ترى لما اترجراح ولا راي فريد ان الوقت قد طال ولم يفر  
المرام انتفض على خصمه انقضا السر وحاول تكرارها ان ينفذ الحسام في صدره  
كنه خاب املا اذ ان الروسه كان ثابت الجاش هبما في امر البطل العجيب  
مس غره معرضا عن العلك بفريد الذي عرضه الحدة مرارا للخطر الجلل

من غلب معرضاً عن التثك بفريد الذي عرضه الحدة مراراً لخطر الجمل

وقد تدبر فريد غرضاً الروسه وأجبه لمقاصده على أنه لم يثن عن حزمه  
إلا وهو أن يقتل وخصه بوقت واحد وثقى لو أن يكون البراز بأعمال  
السلاح الناري بمعنى أن تطلق الرصاص من الأجانبين وبمجلي الأمر عن قتيلين  
ولما وهى جلدته وفرغ صبره من هذا المثل تجددت الهمة في فواده وساردم  
الاقدام والعزم في عروقه بشدة مزيدة وقوه شديده حتى أنه صار يقاتل قتال  
الابطال الصناديد وكاد أن يبطش بخصه على أن حكمة الروسه اسدت عنه المخطر  
ولم تؤثر ضربات فريد في بدنه شيئاً بل كانت تفتحها انها مزقت طوقاً من  
قميصه . ولما رأى الروسه أن فريداً لم يزل ثائراً أراد أن يخفض عليه فاولج السيف  
في كنفه وجرحه جرحاً خفيفاً سالت منه قطرات دم قليلة ثم ترك السيف وقال له  
انت تعلم يا فريد اني لا اود قتلك وما سحت هذه القطرات من دمك الا رغبة في  
في انتهاء البراز وفصل المحضام يد أن فريداً ابي موافقة الخصم وقال له لا يكون ذلك  
بدأ اذ اني لم ازل قادراً على القتال ثم هجم عليه وتلاطم السيفان مراراً عديدة  
وكان في امكان الروسه ان يقتل فريداً بالنظر لعدم خبره ووقفة احتراسه وبها كان الروسه  
يوجه حسامه نحو صدره فقدم فريد ولم يهب الموت وارسل السيف للجهة صدر  
الخصم بمعنى أن ينفذ سيف كل منها في صدر الاخر والغرض من هذه الحركة أن  
يرتقي كل من المشاورين جريحاً اوجد يلاً ولم يدرك الروسه هذه الغاية الا بعد  
فترات الوقت وشعر ان رأس سيفه نفذ في صدر فريد فتمرك السيف ثم احس ان  
جسمه بارداً يخرق كنفه فارتد الى الوراء ونجا بذلك من الضربة المهلكة وكان من  
نصيبه انه جرح فقط بكنفه جرحاً طفيفاً . اما فريد فبقى قائماً بازاء خصمه لكنه كان  
يقابل ذات البين وذات الشمال وكان سيف الروسه دُخلاً في صدره فاخذ

بيده وأراد أن ينفذه حتى القبض على أن الطبيب استدرك الأمر وأسرع نحو فريد  
ونزع السيف من صدره ورماه بعيداً وعدّها سقط فريد على البسيطة مشتبهاً عليه والدم  
ينظير من كله انفجار الماء من البنبوع

فقال الروسه لقد افقدتني التفادير من التهلكة إذ كان من قصد هذا الاحق  
فتلي لا محالة على اني اسالك ايها الطبيب ان تباشر معالجته لعلك تقوى على شفاؤه واحب  
ان تعلم ان حياثة ثمة جثا الذي وارت بها سرّ نجاحي وسعادتني فبادر الطبيب  
لتضميد الكلوم وبعد ان انهم النظر واطال الفكرة في امرها قال للروسه ان جرحك  
ليس خطي بل اما جرح الامير . . .

- خفّض عليّ وجد لي بكلمة الاطشان

- لا اطعم كثيراً في سلامته أو ان يستفيق من غيبوته

- لم نقله الى العربى ثم يكون من هك ان تسير الى قصره وبعد ذلك تبني  
عاجلاً بما يكون من حماية امره واباك وافشاء السر ثم حملا الامير وساراه نحو العربى  
وبينا كانوا سائرين استفاق الامير ونظر الى خصه نظره الغضب وصاح به قائلاً  
ما اسعدني لو كانت ضربتي لك الضربة القاضية حقاً لكنت اموت بسلام ولكن يئى  
ان الله ستمل لك القصاص يوماً وما يوم الله باليوم البعيد . واني وفاء بالوعد  
وقهامة بالهد لا ارفع الشكوى عليك لمجلس الحكومة لاني منذ تخلي عك وكري  
لمبادئك صرت اندر الشرف قدره وادعى الزمام على ان الله عادل وهو يقتضى ملك  
ويلقي على عاتقك اثقال ما اقترفته من المصايب والمضالم . ان يد الله شديدة على الظالمين  
واذ ذاك وصلوا الى مقر العرصات فاجلس الطبيب فريداً في مركبته واظهر  
رغبته في الجلوس بجانبه ومرافقته حتى النصر فاني الامير ذلك وأشار اليه ان اغرب  
وريفقك الشرير من امام وحي فخير لي ان اموت من ار تسادني يد المكر والخطاع  
اما الروسه فكان فرحاً جذاً لاستفاقة الامير على رجاء انه يكون من رجال  
الحياة وصاحب الارث الوحيد فيقاسمه الثروة التي ارتكب في سبيل الحصول عليها  
صنوف المنكرات وضروب المحرمات وقد تضاعف سرور الرrose على اثر وعد فريد  
له انه لا يزيغ امر البراز ولا يرفع عليه الدهوى . لدى الحكام على انه كان يخشى  
مقاومة الامير مشفقاً ان يتهلك سره . ويهلك سره

وظل فريد يتألم من كله الاما هائلة وكاد يغشى عليه مراراً ولم يزل كذلك  
حتى وصلت به العربى باب القصر فصعد الدرج مستنداً على كتف سائق العربى وحاملاً

اطرح على فراشه استدعى اليه غادة البقاع وبعد اذ صرف الخدم من غرفته خاطبها بما يأتي من الكلام

الي ايها العادة مرّ شديد وموتني لامرأ قريب أكيد ان صوت ضميري يهيني اني اسأت اليك كذراً واذقك طعناً مريراً خالمت وصايا الهى بما افترفته من الضرور والمآثم . والحفت بالقرب اضراراً عظائماً من اجل هذا احتيل بهر ما اعاب من العذاب . فذلك عدل وهل جراه الانام غير العتاب . على لئله اسئلى الله ان ينظر اليّ بعين الرحمة وليس بعين العدل . ويفرّ ذلاني الكثيرة بقوة ما لك ~~في~~ <sup>عليه</sup> الفضيلة والفصل . ورجائي عظيم انه يتوب عليّ والله ثواب رحيم . وعهدي بك ان تصلي عا سبتك لك من الاكدار والالام . وترو ديني قبيل عاقي كلمة العنوق فانطلق بسلام . واسألك الان ان تستدعي لي الطبيب والكاهن اذ ان يهيني القلبية . ان اكفر عن اثامي السالفة بالدانة الحقيقية

فدعمت غادة البقاع وغمرها الذموم من هذا الانقلاب العجيب واتمت الحال ما رغب الامير فيه

— اما فريد فقد اصاحته على اثر هذا الكلام نوبة من الحمى شديدة بعد اذ كان احسن براحة موقفه واذ وصل الكاهن والطبيب وجداه فاقداً المحس والرشد اما الطبيب فقصده الجرح ثابته وأشار بالعلاج المناسب وبعد اذ فحص حالة المريض الصهبه تهد وهز راسه ثم قال بصوت منمض لا ارى املاً بشفاؤه ولا معلماً في نجاته اذ ان الجرح في موضع يودن بالمحطّر القريب وان لم تمت الامير من جراء الكهوما سبه له من من فقد الدم فلا ريب انه يموت بذات الرقة المتائرة من الجرح تأثراً لا تحمد عاقبه وعند ما سمعت غادة البقاع كلام الطبيب رفعت الحاضيا نحو السماء ثم تنهدت وقالت : الهى انك بعدل تصدر احكامك وبرافة تعامل مخلوقاتك باقاهر الغاة بل اماها الثائنين ان كانت متشك ان تنزل بفريد قصاصك العادل محارة لما اتاه من المنكرات فرد بارب الامه في هذه الحياه واصفح عنه فيمال الراحة الدائمة في الاخرى . الهى اسجب تعرجي وجد له بهاء مراحمك . يا ارحم الراحمين

( تم الفصل الثاني في محن الزمن وبلايا الحياه )

( وبه الفصل الثالث في ولاء الشقيقين والشقيقتين )

## ﴿ الفصل الثالث ﴾

( في ولاء الغنيين والفقيرين )

### ﴿ ١ ﴾

انه في صباح الهار الذي تقرر ان يجري فيه البراز بين الروسة وفريد اقلت  
الباحقة الفرساوية على مرفاء يهدوت قلل عدداً من المسافرين وكان منهم شاب تعلو  
وجهه صفرة الصلص ووالعناء وتلوح على عشاء سياه الثجبر والاضطراب واذا وصل الدر  
على احد القوارب ركب حرمة وسارت على لجة مينا الحصن . وهك الشاب كان جرج  
الليماوي الطيب شقيق اندراوس وعطيب فريدة شقيقة مراد بك وهو الذي من عهد  
عام خطه يدير قراراً يذكره القاري وهذه حرفته « مساء اليوم في الخامس والعشرين  
من شهر ايار ٠٠٠٠ شمت نفسي الحياة لعدم نجاح علي وخيمه الي ٠٠٠٠ فمضت  
على الانتحار ٠٠٠٠ فلا يهتم احد بقولي الصادر عن عن عد ومطلعي ارادة ٠٠٠٠ »  
ويذكر المطالع اللبيب ان اندراوس كان قد انباء لوملوة بالاسباب التي ابلجات جرج  
الى تحرير ذلك الصك وكيف ان الروسة اطلع في انباء تلك المكاشفات على اسرار  
العائلة الليماوية وقد اخبر اندراوس كيف ان مراد بك اذ علم بما بين جرج الطيب  
وشقيقه فريده من علائق الحب ولواجم الغرام عرف جرج المومي اليه واني مهابته طاربا  
الي الدناة والخساسة حاسبا انه مدفوع اليها بامل الحصول على ثروما اليافرة ليس  
الا وان جرج قد اجابه بلجة اليأس والقنوط لا يتقضي عام على هذا العهد الا واستنزل  
ربي الثروة والفخار من در سحاب الفجاح بقوة ما سوفقتي الله الى اكتشافه واختراته في  
عالم الوجود وبذلك سارقي رقي ذوي السعادة والجد فلا آكون بعد حقيرا لديك  
ومنهما في عينك وان قهرني الزمان واغلق موجي باب القويق ساجر ابد الدهر ربوعا  
لا ارى فيها غير الدل ! وانخرج بهام الرضى كورس الموت التروام . وان فريدة ودعه  
في ذلك المين مودعة في اذه كلمات هي غابة الانيجاز على انها ملائى بعراطف حفظ  
الود والولاء وهي قولها : « سر على الطائر الميمون وانا اسامل الله ان ياخذ يدك  
ويكون لك نصيرا . اننى الله وئى ان فريدة لا تنساك . وانما تصون النفس حبا بك  
ممتطرة لفيك

ذلك ما يذكره القاري . اللبيب على انما ليع اليه عملاً يثل العامة » ان بالاعادة



## بعض الافادة

وقد كادت السنة تنقضي على عهد سفر جرج ولم يعلم عنه اثر ولا خبر كانما هو غائب عن عالم الوجود وسنعمل فيما سيجي ما اذا كان اطلع سعيًا او خاب مسعى والان لنرى ما كان من امره ان اياه من السفر

قلنا انه حين وصل بيروت كانت سياه المتاعب والمشفة تلوح على وجهه وبخال من صنف بشرته وبحول جسده انه اعمل فكره وتوغل في المطالعة والدرس هذه ما كانت تدل منه عليه في نظر طلبة العلم وانصار المعارف اما اهل الحب فكاسل يرون انه قضى الليالي في ذكر من كان يحسبها خطيئته وشريكه عمره في مستقبل الزمن وربما كان يراه البعض على جبينه

قد بت اهنف بالشكوى واشرب من دمعي واسقى ربا ذكرك العطر  
وكان كلما اتجه نحو البيت تأخذ السواغل وبزجه مزيد الاضطراب مشفقًا من  
عدم مبادرة والده وثيقته اندراوس للالقاء وقد زينت له الهيلة ان مكروها اصاب  
آله مخف مسرعا ونازل من لجة البصر تمكن من الوصول الى البيت وعندما قرق الباب  
استقبلته الخادمة فقط وحيته بالسلام بيد ان الفاظها كانت تعنف عن انقباض في القلب  
واكتئاب في النفس اما هو فاشفق من سلامها المؤيد مواجهه وبادرها بالسؤال عن  
حال والده وشقيقه اما الخادمة فلم تقاول الامر على الكلام بلسانها وشفتها بل  
كانت دموعها المتكئة والميتة بالمساق وبعد اذ بارحها الدعة الاولى شرعت في ان  
تقص عليه ما كان من امر والده ثم انها اخبرته ان شقيقه اندراوس في حالة من  
المرض تؤذن بالخطر وانه منذ يومين اصيب بنوبة من الحمى شديدة اندر الاطباء  
ان عاقبتها الموت الاكيد ثم انها علقف بعض الامل بشفاؤه قائلة لجرج : لعل الله  
ياسيدي يمن عليه بالعافية بقوة ما وهبك من سعة الاطلاع وغزارة المعرفة وفضل  
التجارب فتكون استعانة نجاته من الحالة السيئة التي صار اليها . ثم انها سارت به  
الى الغرفة التي كان فيها اخوة متوسدا على فراش الالام . ومن بعدها ذهبت لاعداد الطعام  
اما جرجى فدخل الغرفة مسرعا . وكانت هناك امرأة تصور الحزن على وجهها  
وتغل الحنان والانكسار بكل اقنومها وكانت جالئة قرب رأس المريض تضرع لله من  
اجله وكان تلهيها ولهجتها والفاظها تشير الى انها متفهمة ان الله وحده هو القادر على شفاؤه  
بقوة فائقة الطبيعة اذ ان المساعي البشرية قد ذهبت ادراج الرياح  
وهذه المرأة كانت لوه لوه

ولم يكن لجرج سابق معرفة بها على أنه لم ينظر إليها لما أنه كان ثامر البال ومطعم  
الطائر بل ظل يسير نحو شقيقه فاحذر رأسه يديه وضعه إلى صدره بحركة هي نهاية  
اللطاف وخلاصة المحمان . اما اندراوس فكانت نظاره شاحصة نحو أخيه من غير عدد  
أذ أنه كان فاقد الحس والرشد والادراك فانزج هذا المشهد المحزن وخاطب أخاه  
بصوت خففته العبرات قائلاً : أخي . . . شقي . . . حيي . . . الم تعرف أخاك . . .  
ليتني أموت فذلك . اما اندراوس فلم يكن ليبي هذا الكلام بل كان محالفاً على  
سكوت يعبه سكوت من لاروج فيه

وكانت لولوة قد ابتعدت عن الشقيين قليلاً نذرف سحابة الدموع ويتدلح  
في أحضانها الولوع

ثم أن جرج سعى جهده في اتخاذ ثورة اضطرابه وتناقص عواطفه الطبيعية ونظر  
لاندراوس نظراً الطامس الضاليع وأخذ يلخص حالة العليل محملاً طبيكاً في نهاية التدقيق .  
فوجد أن ضربات قلبه متكاثرة تنبئ إلى ارتفاع درجة الحمى وسرعة حركة القلب وأن  
عينيه غائرة وشبه ناشتان يحاول العليل أن يربطها لمعايه ثم أنه شرع بتلفه حركات  
الشفش ودانة الرثمين جاعلاً أذنه على صدر المريض وعلى ظهره فأرعبه بأصابعه على  
الأضلاع . وكان اندراوس لا يبي شيئاً من سائر هذه الحركات العجيبة . اما جرج  
فعند إذ تم هذه المهام أحس رأسه إشارة الاكتئاب وقال يا لله ما هذا الضعف الشديد  
وكيف حل به هذا الوهن الذي ما عليه من مزيد أسفاه . . . لا أرى رجاءاً بشئنا !  
ولا إلا في صمته ما جرى له من الأسباب التي أوجبت هذا السقام ؟ وكيف صار  
لهذه السرعة من فقد العزم والتوى ما جرى له يا ترى ! . . . من عساه أن  
يظلمني على حيلة الأمر وحقيقة الخبر . فاجابه صوتٌ خفيف فمازجة رنة المزمن :  
اما انبتك أيها المولى الكريم بالامر الذي ترغب فيه

وكانت حرج يظن أن لا أحد سواه في غرفة العليل ولما سمع ذلك الصوت  
ارتد إلى اللوراء مبهوتاً ثم التفت فرأى امرأة لم يكن قد اتجه لوجودها بأدى . ذي  
بدء نظراً لا محالوا بالمريض . ويلم القاري أن هذه المرأة إنما هي لولوة التي  
خاتمة عقلها الذمول وأخذ الاضطراب من أعضائها كل مأخذ . . . قلب مخوق  
ذهب براحتها وخاطر تأثر جعلها في قلق مستمر

كربشة في مهب الريح طائر لا تستقر على حال من الأرق  
وكانت لا تدرى أن تطلع الطبيب على حقيقة الحال ولا تتأفف بالأسباب التي

اضرت اندراوس واوصلته الى ذلك الخطر المبین . على انها رست الى انصر والشد  
اعتقاد ان قرارها بالامر وكثرتها قاب السبر يساعد الطيب على دفع العلة الالهة ويعيد  
اندراوس الى عدد الاحياء

اما الطيب فقال وهو ناظر الى لؤلؤة نظر المذهل اتعجب : انت ايتها  
السيدة تدعي بالامر . . . وكان مغرى مقالو : « من اسر . ومن اتى لك لها  
وما الفرص من وجودك قرب سرير اندراوس » ففهمت مرادة ولم تزل سفارها الى  
الارض مخجلاً ثم قالت بصوت يدل على الانكسار : امن لازم الامر ان اوفيك  
ما كان وهل يؤثر ذلك في كونه المعالجة

— لا ريب

— سانبك بذلك اذا ولكن كن على حذر اني ساقص عليك رواية جامعة  
غرائب الاحران والاصناف وعجائب الاهول والاعوان ومما يفتح لك امكانات التي  
نصت لاهلاك هذا الانسان واغاطر المدقة بك من كل صوب

— ي . . . اما . . . واي خطر تعبرن

— انتي غس المصاب الذي الم وهذه انصبة لتي تراها امامك ( وقد اشارت  
الى اندراس ) ونفس الخطر الذي ذهب حياة والدك . . .

— وقد تعاقمت الانوار في وجهي من جراء شدة التأثيرات المختلفة — تكلمي ايتها  
السيدة زيجي القاب عن وجه الحقيقة فما اراني صابراً على الحائلة التي ترين . . . واما  
منقلب على شوك القتاد

— نعم ساطلعك على كل شيء . . . . . اذ اني وثقت دلي جلية الامر واجتعلت  
حقيقة الحل على اي اسالك ان ترفق بي وتجهلي في مأمن من مقاطعة حديثي  
مها يوهثر لك

مولاي ساقص عليك امورا مريعه وساطلمك على اثم وفنائع ما سمعت بها  
اذن ولا يعلق بها اسان فلا تغر بي اذا ما استظلمت الامر ولا تهادني بالامتنان  
تطردك اياي من هذه البيت . . . . . جد لي يوجد الكرم المك تهادني بالرفق  
وتجافض عما تسمعه بي والا فلا اقدم دلي مكانك بالامر ولا اتوى على تربة لتحديث  
جتي الهاء . . .

فتردد يجر لاول وهلة في الامر اعتاد ان المرأة التي تلمه في خليعة انما كان  
سبها لعماء اخيه ويضا كان على تلك الحائلة اثنت الى امه مرأى ان العلة تقدم

بسرعة حينئذ عزم على انشاء العلف عن تلك المرأة بها يكن لمن ائتمها فقال لما على الورى بقي بشري ايها السيدة اني لا اوبك على شيء ولا اناطع لحدبك فربما يان تنكلي بمئة امي مالا م... هلي بالكلام لان الزمن قصير وكل دقيقة تمر تذهب باشعة امالي من شواء اندراوس... فجلست لودوه على كرسى واطمت عيها لكي لا ترى ما يكون من ردة معايل كلامها الى وجه جج المجالس على كرسى اخر امامها ثم قصت لود وقائع الروم وما اقترفه من اللغائع على ما كان رواه لما عزيز ولم تدر في جاس ملي الكخان سوى ذكر احوال غادة القناع وكيف انه عليها في بول انكره اعتسف عجة العدل وما ن عليه ارتكاب تلك الجرائم هذا ولم تبق لوداة انماها في ملي الحما بل صرحت لخرج بما ارتكبه بمباشرة الروم... ثم سردت الحوادث الاخيرة واسات ما يمكنه فوادها من المودة لاندراوس مودة بعيدة عن كل اثم وانما نحن اليه حين الشقيقة الذنوة بل الام الروفة مادية على ما فرط من انجكم انشاء والتدر ثم احرمه نياسا المكيدة التي نصبها الروم قريبا لاندراوس وما ختمه مغال الاجادي... والذمة المثارة الفاكيد وهي ان الجنة التي سرقت من المنزل ( اكرتيا ) كانت بيته وحلاصة القول ان جميع تلك الحوادث كانت متعلقة في ذهنها فلم تنس منها شيئا البتة واثت مرارًا في سياق الحديث على ذكر اسم مراد لك

اما جرح فكان على ما ورد صاغرا منيّا لعلها لا ينوء بهت شفه على ان التوان وحزنه كانت تلف عن اتماله وتأثره وبعد اذ اثمت حديثها قامت له مولاي انت تعلم الان كل شعور وقنبل مغزى ما اميا لك به وموان المظهر مدق لك فتعاسك خرج من المحلات وظل يغاز الى شقيقه فخر الانفاق والخرن. فدار في خلد لوداة ان حرج اعرض عنها امهااها لما واستعداها لجرمتها لذلك جنت امامه وخرسات اليه الا بخاردها من البيت بل باذن لها ان تحده اندراوس ثم قالت ان اخاك الان في الحاجة الكبرى ليعاذه اذ اني على ما ترى دابة متناية في سبل خدمته وساكر البار واسبر االى واما لى سركي رجاء ن يثنى فخرج براسه اشارة الداس وكرر بليقة الخرن عبارة لوداة - رجاء ان يثنى ؟ - فكانما هو يقول :

- لا رجاء لثقتك

- ايها ياسدي ان اشدقته الخرن يجب ان بعد لثمان لاني لا اطيق الحما بعده ولا نصبر على مرانه بل اني سألني به لا محالة

— رجائي بك ايها السيد ان تبقي ههنا لان مروءتك تشدوني في اضطرابي ومودةك الهادئة تعزيني في مصابي . واما اصطفحك اعتقاد انك لم تلهي الضمير ولم تقصدي الضرر ومؤكد لدي ان اخي المسكين بما تمك ابعاد . ان تكن من الاطلاع على ما يكسبه فؤادك من المواصف العصرية ! فائر هذا الجواب في قلب لولوة وودت ان تبت شكرها لرج على انها لم تنف على ان لأم وحننتها انصرفت وظلمت جانباً امامه ثم نظرت لاندراوس فرأت يده باردة مرقق الغطاء وفي صفراء كالشمع فاخذتها وضمتها لهد جرح وقبلها عبارة عن شكرها وإشارة الى امتناعها

## ٢

وعلى اثر ذلك شرع جرح يهتم بامر مداواة شقيقه على انه بالطرائق حبه الاخوي كان مشفقاً من اجراء ما كان يحظر له اجراؤه وكثيراً ما كانت تعطرب افكاره مع انه آن مداواته الغير قد عرف واشهر بالاقدام ونوت الجاش وهذا التفل بها كانت الملة ممكنة من المريض ولما ادرك حقيقة اضطرابه جعل راسه بين يديه وحاول ان يجمع تصورات ثم رفع عينه نحو السماء وقال: الهي لك اخذت يدي مراراً فافقدت كثيرين من خطر الموت وبهوة انصبة التي اوليتي والمساعدة التي وهبني فكنت من تجدده تناظر الحياة لعدد عديد من البشر فبهني اللهم ان اتقن من شفاه شقيقي كن لي معيلاً جد لي بشعاع من حكمتك الالهية . ربي التي مباشر امر علاجه فان وفقت لشفائه ثموتك في اشفائه وان اخفقت معاني فارادتك في القاضية . الهي لك الحمد في الامرين الموت او الشفاء ولك الشكر في الخالدين الضراء او السراء .

وحلى اثر هذه الاستغاثات فطن جرح لامر فاجراء وهو انه استدعى للحال اثنين من زملائه الاطباء الناصحين كي يماوتاه بالعلم ويمداه ماراشها فحصرها وسد اذ فحشا حالة المليل فحداً دقيقاً تبادلا الرأي في شأه ثم قررا معلولين لرجح ان الامل بشفائه من رابع المحتملات وانه من المحتمل ان يستفيق للمليل في الليل المقبل من غيبوته لكنه سيتفنى عليه في الغد لا محالة ومن ثم فمن العيث ان يصفا له علاجاً لان الانحلال قد اخذ من جسمه ماخذاً عظيماً والدم قد قل في عروقه وقواه قد وهنت تماماً فان هذه الحالة انما هي نتيجة الانفعالات والتأثيرات التي استوفت عليه والهي ستكون مسبباً لموته وخلاصة القول ان قرار الطبيب كان عبارة عن قطع الرجاء من

## حياة اندراوس

ولم يكن جرج ليجهل ذلك بل كان حائلاً بجملة الامر وانما على حكمة الحقيقة وجاء أشخاص الطبيبين مهذباً على تشخيصه على ان حه الشديد لاختيه جملة ان يجر في امره فطعن بطالب ذاته قائلاً: ولو لم يكن من امل ظاهر أسرع ان اترك العلة تسري في البدن دون ان احاول توقيفها بما اظنه ملائماً من الادوية — أأترك المريض وشأنه — ومن يعلم ان كن الله لا يساعدني على شفائه بذريعة من الذرائع — والان اذ قطع الرجاء من استعمال العلاجات العادية افلا اقدر ان اجري عملية خاطرة العادة لعلني اتي بالصراب . . . . . وان اخففت العملية افلا اكون سبباً لموته — افلا اكون قلبه يدي . . . . . فان لم اجري شيئاً على وجه الاطلاق افلا يموت العليل بدون اشكال؟

وبما كان جرج غائماً في مجرى الأفكار وقد بارحه الطبيبان بعد اعطاء القرار صاحبت به لولوة وقد فاضت الدموع من مقبلها واجنبنت نحسراً وتلقاً ،  
— الم بقرجاء ؟

فاجابا والدمع ينظر من مقبله الخراء  
— لا مطمع ولا رجاء والطبيبان قررا ان موته قريب  
— او است ايضاً اصابك الذهول ونقط من اجراء التدابير المودية لاتخاذ  
— انيت بعد فوات الزمن الملائم  
ثم تماسك عن الكلام بغتة وبعد دقيقتين قال بصوت منخفض كأنما هو يخاطب نفسه:

— وصات بعد فوات الزمن . . . ومع كل ذلك . . . اه لو اتجرأه . . . .  
فاجابه لولوة

— لو تجرأه . . . واي شيء يقعدك عن مائدة اي الاعمال طالما حوة اندراوس  
تطلب منك الجراء والافدام . ما يبورك واي شيء يقعدك . . . قل  
— يقضي لمعاوئي شخص صحيح الجسم قوي البنية فحق الشباب  
— وما حاجتك اليه ؟

— اه لو اني اجد الشخص الذي ذكرت لكمت اخاطبه بما يأتي من الكلام « المك ترى اخي هذا اضيق المشرف على الموت لما ان دمه المتقلب غير كافٍ لتغذية جسمه وانما يسر الدم في حروتك بغرارة والحمة تهدقني من عمالك فما ضيلك لم الملك تعهد

هذا المائت بضلالت دمك والزائد من قوتك . . . . دعني استنزف شيئا من  
شريان يدك وأقمه الى شريان هذا المائت لتعاوده الحياة وتجدد فيه القوة ويبارحه  
الودن وهذه الزهرة تكون قد اغتذت من الموت رجلاً يفكر لك جملة طول  
العمر ويذكره ابد الدهر بعيش بك ومك ويفتذي بدمك ويحبي قوتك ان شاء  
الله تعالى ذلك ما كنت اتو له لذلك الاسان . . . . واكن من ذا الذي تدفعه  
لزوج والتهامة لخل هذا الجرد والاقباد . . . . اساه ان ما اطلبه وترضه نسي فيه  
الطواريع المستحلات

فجأت لودته - وقد لاح على عيها نور الامل والرجاء -

— او تظن ان هذه العملية تتكامل بنجاحه من الخطر ؟

— ذلك في حيز الامكان بل العملية التي احدث اليها قد انت مراراً متعددة  
بالغاية المتصودة وقد رأيت مرأى العين في بعض المستشفيات اناساً كاطل اشرفوا على  
لموت فكانت لهم الهبة بالواقعة التي ذكرتها . . . على اني ارى اخي بحالة من  
الضعف الشديد لا اتمكن منها من احراه الامر ولعله يموت اذن ماثرة العملية  
جد اني اامرها لو امكن وانا بين اخافة والرجاء اذ لا ارى ذريعة اخرى تعال  
مني الامال

— سيدي المزم لتجدد دم اندراوس ان يكون الشخص الحكيم عنه رجلاً وبهر

اندراوس

— كلا لا فرق ان كان رجلاً او امرأة فالدم الذي يرسل الى شريان المريض  
لا يورده الخاص بل يقوي الدورة ويكن الطبيب من اصلاح تبوهر الدم العام .  
فالدم هو المادة المحبوبة والمحوهر الام في الجسم فلن اكن تعديده وتقويته بل على  
الطبيب ان يصلح نوعه ومادته من السواد الفاسد عليها والسرف في هذه العملية اعجاب  
طريقة نهل حركة نقل الدم من شريان الانسان الصحيح الى شريان المائل بما يمكن  
من السرعة اما هذه الصعوبة فقد ذابها جراح شهري في مدينة باريس باختره  
اسطوانتين لهذه الغاية بواسطتهما تنسج الاتصالات بين الشرايين وذلك ان بشر  
الطبيب احدي الاسطوانتين بيد رجل والاسطوانة الاخرى بيد الآخر

— وهل انت على يقين من امك تفقد اندراوس من الملك اذا ماتت من  
وجود امرأة نود ان تجود بعدها لهذا الغاية وتكون رهن امرك ووقف اشارتك بكلام  
صورك لتقوى امامك ونجاح مسعاك هذا ؟

— لا راح ان الله يشفيه اذا احربت هذه العملية . دلي شريطة أن تكون المرأة في صحة الجسم وقوة العز . وقد ذكرت لك ان لاحلاف بالذنر الى الجنس لان كثرة ما ساعدت في المستثنى اطباء يدفعون مبالغ جزيئة لرجال اقرباء يهودون ينزرو من دمهم قصد ان يندوا من خطر الموت سواء اضعنهم بعض العمليات الجراحة الكبرى

فصنعت لوزنه برهة وقد بدت على محياها . جاء السرور والاعاش وزالت عن وجهها صفة الخوف وتبدلت بهجة الامال ولاح في عيونها ضياء انجاء فكان الفرح اقم فؤادها واخذتها هزة العارب ثم انما تندمت غوجرج وتبعت دلي بمره سائلة

— سيدي ان الشخص الذي تعالبه والذي ترحومه فائدة . لي هو القرب . لك اهل اني مستعدة لانام ما تدره واعلم ان قوة سبقي وصحة مراحي تتكفلان بفرضك فخذ ما شئت من دمي ... بل خذ دمي كله وتصرف بهجتي كما تريد وتزد دلي شريطة ان يعود ذلك ما فائدة لي صحة اندراوس . آه لو كنت تعلم ما يخبئه فؤاد دمي من عواطف الاسف والحزن كلما نظرت الى اندراوس ورأيت دلي ما هو عليه من الوهن والضعف يتأري ذاتي متممة تمام العاقبة وكال انقوة وكنت اخاطب نفسي ذنبة : « أأسفني هذه الصحة الباهغة معا اما طلبة من اللذوب والفتاوس ربما ارى الضعف واللعول بلارمان اشخاص كاندراوس يسرون في سبل الملاح والدم » فاقدم اليك ياسيدي برشة ولمف ما عليها من مزبد الا ترفض طلبي . خذ من دمي ... خذ من دمي ... تعرف بهجتي ولا تحترقي من هذه السعادة العظيمة التي بها اتمكن من ان اخضع اندراوس من الملون ... ثم مع ان نضي على احبك فاكون اما سبب مومي

سيدي ان احربت العملية التي ذكرت فالامل معنود ببقاء اندراوس ولا ريب انه متى عادت اليه الفانية سيعد دني من بهه ويكثر من احتيالات الدنيا . لي دلي انه سبقي لي تفرز واحدة وفي ان دلي ارال عه الالم والاعاش وحدي ذلك وكنت . لا تحترقي ياسيدي هذه العجزة وهذا انجاء وانه معادة تماثل سعادي عندما اصور ان دمي يترقي عروقه ويدفع من فاه ... سيدي هذا ذنبي فابذر باجراء العملية ... الامر سهل واجد في اجراء لدة تنوق كل سرور ... سيدي استحكك بالله ومن نحب ان لا ترفض طلبي ... آه اراك لا تنقو بيئت شقة ... كان باسالك عن



الجواب دليلاً على عدم رضاك نعم نعم ٠٠ أنت تأتي أجابة طلي لما أخي زوجة رجل  
شقي ٠٠٠ لما أنني ملطخة بدنس الاوزار والذنوب ونجسني من أن دمي بدنس دم  
أعبك الظاهر أدا ما مزج ٠! ... نعم أرى في عينك آية الآفة وإشارة الاندال  
كأنما أنت تقول إن طلي إن هو إلا خلاصة الانتواء والجحون وأني اطلب السادة  
على حين لا استحق إلا التثناء وأطلب الشرف والأكرام على حين توجب لي ذوتي  
الامتهان والاذلال

فاجابها جرج بقوله

— أنتك لعمري الحق غير مصيبة بما تدعون لاني اتبل طلبك وأتني على مروتك  
أبد الدهر وأنتكر لك جميلك ما شاء الشكر

— اتقبل حقاً رجائي وتنجيب مني ٠٠٠ صفواً سيدي أكاد لا اصدق ما

سقول

— ايها السيد المكي اطلعتني على اسرار فؤادك وارفعت لي مكبرات نفسك  
فأحسب ثميناً ان عاملك بالجناء نعم لقد اتعرفت ذيقاً عظيماً في ماضي حبيبك  
ولكن قد لاح لي ان نوبك صادقة والله ثواب رحيم . فاما اخى الطرف عما اتعرفته  
من الذنوب ولا انظر الآن إلا لاخلصك وشهامتك وصدق خديتك

— الي احمدك ما شاء الحمد واشكر لك كل الشكر لاني اوليتني ما لا استحقها  
واوجدت لي آمالاً ما كنت لا أظن بها الاظر لاني سيدي ان اداك سؤالي لدليل  
والصحح عا بقلبك من الشقة والحنان وأني اطلب اليه تعالى ان يكافئك عني غوراً  
لو انك استقطرت احرقة من دمي نفة شفاء اخيك

— كلا لاني ان فعلت ذلك . فاسبب لك الموت اذكرك دون ان اخلص اخي  
من المحطبل ما يلزمي اليوم فعلة هو ان اعطيه من دمك قرة كافية ليعود من  
غيبهوته ويغتنق درجة هذه المحى التي تضطرم في احشائي  
— أقبل ياسيدي ما تشاء أخي رمية امرك ووقف اسارك وخذ من دمي

ما تريد ٠٠

قالت هذه ورفعت كي ثوبها ثم قدست ذراعها ليرج الذي كان يود ان تكون  
لديه الادوات اللازمة لما شرح العمل فذهب ليعال الى احد اسدده وزملائه واستقبل  
صاغر ما يلزمه وعاد البيت على جناح السرعة فوجد هناك عزيزاً جالساً بالعرب من  
سيرة اخيه وقد عرفه جرج لان لؤاؤه كانت ابيه بما اهداه عزز من اثار لشديلي

بحق اندراوس فما كان من جرح الأملح شكراً لغيره / وجوبه من غير أن يشاء ما  
أبداه نحو أنه إن عجب كانتا طامعون أمناه الكلام لما قد كان مفكراً بأمره  
وباعتقاده القريب ثم أن جرح وعزيراً نصلاً حثالة حديقين جميعاً فقد واحد  
وضمناً غايه واحدة إلا وهي عاقبة رجلين ملكين عاود من الأملح به لفتها  
منه لما يفرضه هذه القضية من الألام بالشمعة والقرو والمضرة

ثم أن جرح أطلع عزيراً على ما عقد إليه عليه من الجواهر العلية العلية الأملح للذكر  
بأنها بما أبداه لولوة من كرم الأخلاق واللو لولوة للمروءة من البهامة عرفت أنه  
لو لا ذلك لكان يصعب عليه إيهاد من يقوم بالفرض المقصود فشكر عرو لولوة  
وقدم نفسه عوضاً عنها بقوله : أني امر اندراوس وصحي حبه الله بالحق وأحل دعي  
أكون أكثر من ألفه ٨٠ ، فصاحت لولوة وبها ما على عهدها خاتمة لولوة لم تدم  
أن تخرج ما يوافقني وبجاني من الم اضطرابي وقد شجعت لك العبد والاولى بحسن  
الطوبى والإخلاص والنهاية وأعد حبه حبه من حق من يؤيد عنائك الكريمة  
بلادة والبراميين ١٠٠ ، أما جرح ففعل المكاتب مملكا أنه يوافق لولوة على طلبها  
لما في الأمر من شجاعة عروا وصوب عزيمتها ففعل عا فبه أيضاً من غرضه البهامة  
بين عساوية الأروس الذي يقصد أن يذهب بهاء اندراوس ومودة لولوة التي  
تود أن تذهب بها

لما اندراوس فكان ثم رول على حاله فانه الرشاد لا يفي شيئاً من جرحي وعدت  
بالقرب من على أن عجب كانتا شاعرتين متفهمتين على خبر عدى تارة يمزج  
وطوراً لموتوه دون أن يعرف أحداً منها وكلما توجهت الملاحظة نحو لولوة كانت  
تقول مرتدة : «لكنني لا أطلع علي»

ثم أن جرح بهد أهداهما فلم يفرح في العلة ففهد العروان الأملح حيث  
دليل لولوة والقروان الأمين من فريج لغيره وضع الأساطيل موبج القصور  
الطية فاخذ الدم أجدني قطعاً مقطوعاً من فريج لولوة المصيبة التي خراج بالرجل  
المدف

أما لولوة فكانت غريبة بهذه الجاهلية عدى بهد ثم أخذت الصلوة لولوة  
على وجهها وشعرها بطل في رأسها من على لما أن عرواً لولوة فخرج بصراً ثم بصت  
بدوار وشعرها تاملت كأنها هي مكره ثم بالفت وبها على الله ويحبها ثم خالفت  
بصوت خفيف (وقد كانت أنها توت) بالجمادى ٢٠٠

وبعد ما قضى جرج نساء من الليل ورعى لخطه وبراقب سر العلة أطلق الى بيته  
ودخل غرفة المكتبة تراء وشوع في تحريها واعاده ما يلزم لائل الموي . على ان  
التمس كان لمخفا منه كل ما أخذ لما عناه ذلك النهار من المشقة على اثر وصوله  
من السفر ولم يتمكن من الكتابة ذلك المساء فبعد غرة العلة واطرح على السرير  
معلق فباه لسلطان المكري

لما سمان فلد نطق لن سعدة قد رقد دخل مسرعا غرفة للمكتبة فوجد على  
المائدة اوراقا مصرية وكثما جفزة فظن انه كل ذلك بمضى التدقيق على انه لم  
يجد شيئا مكتوب على تلك الاوراق ليأخذ على ما كان امره فاقى راجعا ذلك  
سواء بصفتة المشون



ولما أصبح الصباح وهو اليوم الذي يجري فيه البراز من غرمة والروسة بالعلق  
جرج لعيادة اخيه فوجد لولهوة تسهر على خدمته وكلمة الدواوس لم يزل في ثبات  
عميق ما وضع جرج لن المريض يحتاج لتكرار العمل على انه يشقى من استئصالها  
بحفاة ان يعمل للورق لولهوة يدان من المرأة الودودة توسلت اليه الا يشقى عليها  
وبرهنت له عن قوة جميعها وخلافة دما حتى اقنعت فانفذ اليها واستأفب اهل وادفع  
الدم المتقي جديدا في عروق الصامد المذنب ولما كان المساء بدت على وجهه الطلعة  
ملايح القديم نحو العافية فيمكن دوع جرج وعادوا الاطنتان ثم فعد غرقة وشرح  
بمرد النبيل الطوال من الاختراع الذي وقع عليه

اما لولهوة فكشفت في غرفة للمراوية تحريم وترطه على غوه نور ضئيل وكان  
في الغرفة المذكورة مكون تام لاقطاطة سوي . حركة التسم الذي كان يوسوس اوراق  
الاشجار من الخارج ولذا كان قد انكبها للسهر وقد الدم استوت على كيسي بالقرب من  
سرير المريض ثم غفلت خلة بر . الليل وبعده ساعة استأفبت وذمبت نحو  
السرير فوجدته نائما يوم راحة وكانت علاج الصحة طاهرة على وجهه لان الدم  
الجديد اعاد له قوة الحيلة فغير مجرد وضعه في الم الساء وقالت احدك اللهم فانك  
استحييت سودي واخذته من الخطر المحين احدك لانك جعلني ان اخلص يدي وجعلني  
ذريعة حماوتي فادمت الي الشكاه لتخرج وكان الفرج يطلع في عنجا وملايح السرور  
تندو على محاما وما لبثت لحظة حتى احست بحركة في سرير المريض فحولت

نظراً اليه وللحال انغمس في ضيقها واجتهد راسها وحاولت ان تقبض على كفيها لانها رأت اندراوس جالساً على السرير وهو على تمام الرشد والاعتباه ثم جعلت تنظر اليه من خلال اصابع يديها مدققة من ان يعرفها ويخبر لو انها كانت فائدة الحس وكانت تحول في نفسها ماذا يمكن ان يعرف من انا ولاي العلة بسبب وجودي واذا في في مثل هذه الحالة من الليل وبعد الجهاد الذي جرت

اما اندراوس فقد اذ استفاق من غيبوته وجلس على سريره اخذ يتفكر في غرضه وهنا كان يفكر ما فيها من الالام نظر بعينه امرأة جالسة على كرسي بالقرب منه فتلقاها وقال بنسبه : « من في هذه الغرفة من وحدها هنا ولم اراها على هذه الحالة من السمت ثم حاول التبرؤ فبعد استجلاء الامر فلم يبق على القيام فسقط على السرير وتهد

فاثقت لولوة من ان يكون قد وقع له واقع فهضت للحال متقدمة اليه وكان نور الضوء الضليل منعكاً على وجهها فمر بها اندراوس وبعث ذراعه نحو الامام كما هو يروم ابعادها عنه وصدها عن الدنو منه ثم صاح مدعياً بالفاظ لم يفهم بها غير هذه : « لولوة ! لولوة ! .. أنت لولوة ! نعم نعم .. أنت لولوة ! .. يا لك ! .. »

لا ريب ان الغضب والتأثر بصوران المرء الخاضع لسلطوبها في صورة يجرى القلم عن وصفها ويغمر اللسان عن يامها وكما نود ان تكون لدينا الوسايط اللازمة ليضع امام عيني القاري صوراً يصور له هذه اندراوس في الحالة التي ذكرنا على انها تقتصر على القول ان حركاتها وقاطعة وحسب كاست تقف عن تقارب تأثرات الغضب والاحترار والارزاء والحنون والكآبة والاعتنام ... ولو كانت شدة التأثير ما يجلب الموت في كل الاحوال لكان قضى على لولوة من جراء ما اصابها عندئذ على انها ليست صاعدة خائفة الا من لا تجسر ان ترفع بصيرها اليه وكان اندراوس مضطرباً على سريره فاجعاً لا يبيدي حراكاً وبداءً منبسطان كما كانا حالما عرف لولوة بعد غيبوته وبني الاثنان دقائق متوالة على هذه الحالة مسكون وصمت تامين كانتهما جنتان لا يروج فيها وبقي اندراوس يتساءل عما اذا كان ما براه حقيقة او رؤيا تصويرية الخيالة المضطربة بتفاعيل الحس ثم استوى جالساً وقال بنفسه ما انيا في حلم بل في احدى ذاتي تمام الاعتباه ثم شعر بان فيه طويده بعض قراء فادهبه وانفك وهمهم لولوة ولما دنى منها تفرس في وجهها ما يكتمل انك ما اذا كان ما براه حياً او جسد حقيقياً لما



ثم نعم ن لك ما قسم علي واقعي لا يرد فيه طرأه على سياتك وطلعت  
اليان والصنوج فغلام اجنبت عني الحقيقة ؟

اجنبت مني لان يكون اطلاق لك على جلة الامر داعية لنعم عري المودة  
التي كبر على اثنين بها : في او ما يرى اني كنت اود ان اكم عنك الحقيقة  
فانك لا تقدر ان لا يسنا من جهود الصداقة وعما طرب الحب الطاهر  
— فاسأف اندراوس الكلام يريد الحق واللبط فائلا

روخلاص يظلمك ان اقرضك بالزوجه لكن هذا ثانيا للزوج ؟  
عجله اقرضه

طسبو بالحقيقة زوجة ذلك الرجل الذي باعنا ذلك اليوم  
؟ — نعم

هو بعلك الثاني  
— اجل ولكن صوبا ممدج باليكاه

لو علمت هذا الايمان على البشر ورائع على اقران اعظم المالم والذنوب  
اجنبت ولا توارى  
اقر اني اقرضت زنيا عاليا وجريرة كبرى على اني ارجو ان يوب الله  
علي واني نواب غفور  
— بالنساء حالك ... نيا لك من امرأة ائمه ...

ثم لن نوره النصب استولى عليه فراغ عن الرشد وتقدم اليها بتور وتور  
على عبقها ضاعط عليه يدرو اشد ضغط حتى انه كاد يفضها ويذهب بها  
اما في فانبست معلقة بما شاء اللطف وقالت له بصوت ينف عن الخضوع  
والانقياد : اتفاني اموت سمدة كفارة عن ذنبي . خذ حاتي فكاس المون  
من يديك شي يدي . امشي وايا اباركك وتي ان لا شي يفرع وداك من  
فوادي

على ان اندراوس لم يبق على الانقياد بها لما كان عليه من الضعف والوهن  
فتربكا ثم استوى على اليكاه وقد ائمه فمهم الافعال حتى انه غلب عن الرشد وعي  
عليه ما لو نوه فاسرعت ورشت وجهه بالماء البارد ثم انفضه ارجة مصفة فعاد اليه  
روعة فقال لما

— انصمتين في هتوي هك بعد ان ظهرت مساوتك كالشمس في راحة النهار

وكانت على كرمي وراء أحد الجوف موهمة انها تريد ان تنام وقد حاولت ان تبكي بيدان الدمع كان قد جف من مآقيها فمدت يمينها الى يسراها ورفعت كم رداها وكانت تعمل بحيث لا يشعر اندراوس بما كانت عذبت اليه عليه ثم انها حلت اللثاقب التي كان ضمده جرج بها فصادة ساعدها واخذت من خلال شعرها دبرها كبراً وادنته من محل الفصادة ثم قالت بصوت منخفض  
— اندراوس ألا تصغ عن ذنبي ؟ ...

— ابدأ وقد قلت لك ان ذلك فوق امكاني  
— اذا اني استودعك الله واغيب عنك . يا اها الصديق العزيز والاع  
الغريب ؟ ...

— على الطائر الميمون . بجرارة الله  
قال هذا وغاص في بحار الصور غير ناظر اليها  
اما في فانذرت الدبوس في محل الفصادة ونحت المرح ثم ردت الكم واغضضت حينها فاخذ الدم يتدفق على ثيابها . وقد احست بداء ذي بدء بمائل فاتر يسل بهزارة من ساعدها وبما ان يدها كانت مسندلة على ركبتيها اثلت ثيابها ورجليها واحست بالضعف الذي استولى عليها عندما فصدها جرج قصد تجديد دم اندراوس ثم طلت حينها غشاوة واحست بقل في راسها وكان يمال لها ان الغرفة تدور بها مع ما فيها من الاثاث ثم ازداد وهما وكانت تقترب من الموت وقيل ان نهب من المدي  
تماماً قالت ايضاً لاندراوس

— امصرت على ان لاتسامحي

— قلبي لك اني لا استطيع ذلك ابداً !

ثم ذهب ذلك سكوت تام وكان اندراوس لم يزل قائماً في ليحج النجبر  
والصور ...

اما لولوة فكانت فاقدة الحس وغاية عن الرشد وظل الدم يسيل من هروقا  
والموت يدنو منها

اما جرج فبعد اذ صرف مئة من الليل في منزله يجر الفصول الطوال في اختراعه  
خطر له ان يعود اخاه قبل ان ينام واذا وصل ضمن الدار سمع محادثة في الغرفة  
واذ دخل اقترب من سرير اندراوس وقال له  
— كيف امّت الآن

— اراني منبجها نحو العاقبة فاحمد الله على ذلك

— لاح لي انك كنت تكلم

— نعم تكلمت ولو لولة رهقة من الزمن

فخطر سرج الى الامراء وللحال استولت عليه الدهشة والذهول اذ رآها محال  
تصاكي حالة الماتمين وبعد اذ نفوس فيها وجد وجهها مكشرا وملابسها مجة بالدماء  
فهدر الامر للحال وعظم اضطرابه مشققا من خوف العنى ووجع المغبة فرجع نللكم واذا رأى  
الدم الممهل ادرك ما كان المباحث للتح المرح وبادر لتضيقه به انك من السرعة  
ثم قال بالالاف وبالصبيبة انها قد حاولت الانتقام !

فصاح اندراوس للخال :

— آى ذلك . . . ما أقول ؟ . . .

— لا بد ان تكون جرت بينكما محادثة عيفة . . . ولا ريبم انك اخطت عليها

بالتصنيف وبكها تكتينا مرآ . . . ومن اجل ذلك انها تموت ! . .

— تموت ! . . . وايا السب في موها !

— اجل ان لولة تموت ! . . .

— كيف ذلك واية ذريعة اتخذت لقتل نفسها ؟

— ألم تنبئك بشيء عن ذلك

— لاضر الحق

— اعلم باشيقي العزيز ان حياتك كانت في خطرمين وكنت مشرقا على الموت

لا محالة على ان الخطر قد مارحك والموت قد اشق عك باخلاص هذه المرأة المسكينة .

نعم ابن الدم الذي يهر الآن في عروقك الذي به عاودتك فهاك وتجددت عناصر

حياتك انما مودم لولة ! فانت الآن حي بها ومها بعد ارادة الله . او ما

سمعت بالاختراع الجديد المودن ارسال الدم من جسم الى جسم اخر

— اجل أنت بذلك

— فالان لا يستطراك روحا ولا ترعد فرائحك فرقا . خفية ان يومئذ

ذلك يصحك واحد الله لاني آمنت في الزمن المناسب لادفع عن لولة الضرر

والموت . انما انت فقد ابلت والحمد لله من الداء وعادتك العاقبة وكانت لولة

ذريعة الى هذه الغبة وسلكا الى هذا المناس بمعنى ان الخطر قد ذهب عك تماما

على اثر احراء العملية التي ما تمكنت من ارسال شيء من دمها الى عروقك ودليل



ذلك ما تشعرا أنت به من القوى التي تنمو فيك بسلامة هريما وإن كنت في رغبة من  
الامر فعليك أن تكشف عن ساعدك الأيمن فتري اللثام التي بها ضدت  
النصادة وكذلك ترى ساعد لولوة الأيسر مصفورا لاني على ما ذكرت لك قد  
جاءت تلك الجبهة أو كما يسمونها بالجمجمة قد صعدت الجبهة قد رفعت هذه اللثام  
وتفعل الجرح وتلك الكلدان فيها كدوره الدم يهتدي بفرارة من عروق هذه المرأة التي  
لها حيل كثيرة تفضل وأحسن فعمدة . . . . .

سأطعمها أيتها . . . . . وأطعمها من طيبة ما تشتهي لها . . . . . يا بني . . . . .  
استني سريعا هل أنها ماتت! لو لم يبق أمل، جيلها . . . . .  
وكان جرح قد شفي منذ رأى لولوة تضيق الجرح بسلامة لولوة سبل اللحم وقد  
جس بعضها فوجد حركة القلب والعروق طيبة وعندما ما ستدوس - اندراوس عن  
بهاضاتك لك لا تخف فيهم لم تول حجة ولا ارقى الأمن لأن الخطر محقق بها واحد  
الله اني اتيت على حين! لم تفت الظروف التي تفكي من سعالها لانه لا يخط  
فلا بد اخذك القوط والجرح ولا تدفع نفسك ولا تضطرب ضميرك من هنا للتبيل . .  
ان لولوة قد اجتاحت ولا ريب ذوباً عظيمة في ملهي الياسا وهو امر لا ريب  
فيه على انها غلبت اسأعها وصعدت ما كان مهلا على حرمها مونة صادقة فان كنت  
لا تشغد دينا ولا تصفع عنها فانك تسب لها الموت لا محالة وتكون بصرارك على  
حك قائلاً متعباً . وما يمر في خاطري انه قد دار الحديث بينكما والله، سأفك  
لكم عجزاً هو زلتها غريبتا بالحجة وصرفتها عن مرادها محبتها بالأس والفتوت على  
فصل الاختار. والله عليه يتوسل عليك بالحق المحيى أن تحص جلعك وتسكن  
رجلك ونجم من مملحاتها وبها كلة الرضى وبشارة السماح منزلة ذلك قوطها  
وترغب في المحبة على ان حياتها تكون حيو توة وتدامة وضلاح وتكون انت ذريعة  
لدخولها في طور جديد من الكمال والفضائل

— لا ريب ان كلامك كلام صواب ورشاد

— والآن اما ترى ان نساعها

— سأفعل، وأمر الله

وفي أيام مكالمة الاخوين كانت لولوة استفاقت من غيوتها لان جرح كان قد  
انضمها للوجه، منعتة . فسمعت وفهمت ثم قالت بصوت يدل على الوم والاضطاط  
التي ترى فيهم ساجب شكر يا اندراوس وساذبح فصلك يا حارج فاحا كرميا العصر

والفرس ولا اذى ان نلوا بقي لي من الحياة تكافؤ الجحيم بحق كائناته الخبيثين وهم



وفي جرج سدد لوما على معاينة انوار سور ولوا في جرج ظهر منهم بطن قتلهم على  
سبعين شعبة عاصية لابل العليلان ونفها. فوكرهم بعا طان بال جرج من جملات لابل  
ولم يبق في شغل سوى شرح الاختراع الطبي الذي وفي الماكته انه عليه راجع على  
نعمه البهارة ولم يركب بالفر من موهبه بصره جوصا لابل لانه لم يشهد القتل ويحيى ان جرج  
كان اقم بشرقه انه يتقر لا محالة ان لم يل شبهة عليه فاخته بالعمل يحيى والملاهي  
الانام على انه لم يلق ظهره امر البحث عن ولده وسأل رجاله الملك ملارة عما  
كان جرج لمر الحقة التي وجدت فلدولة ما اتصلت معرفتهم انه يكون ما نقله لها  
وجبا للظن ان البحث الحكمي جهارنا في حتم والله على ان ذلك كان بصورة  
متعين اذ لم يكن ثمة ما يزيل الريبة ويؤيد الزعم ويجلي الحقيقة حركات الولد ورجل  
لذلك لم يكتفى عن البحث والتنقيب بها في الولد على كنه الامور من انهم لا يقتل  
سعيلا لانه لم يحدوا اثرا للبحث ولا بلن وقصد عليه العيبة فليهم بحرية القتل .  
او كان مولد بك مورجانه مع عتير وذويه قد تقاعدوا عن متابعة العمل بمرمة  
واهمامه على بعض آراءه مرت بما طرم عدا ان الروسة لقطع مدة من احواله  
لما انه ادرك بان التفكير متبها اليه والانظار موجهة اليه حركات فظن اخصامه انهم  
اتبع آراءهم من مكايدهم فقامهم ان ذلك الشيطان كان يستغفروهم بسكوتهم وتقاعدهم على  
عين هو يبينهم الغوائل ويحصر الجواهر ويك المصايد وينصب المكايده .

ومعلوم ان الروسة كان ذا ثروة طاسة ونصب كثير وكان التجار فيه بين الناس  
ن قريبا من اعز اصدقائه وغرس من غرس يده لان البرار لم يكن قد شلح بشكوه  
وعرف امره وطلبه كان من الحكمة ان يتنصت المتصاعون بالصبر بالجله .

اما كان في صدر آيين عمك احده فلا تسترها سوف بدود فيها

وكان الروسة على اعتزله واصراده لا يموت امر من الامور لان حب الطامع  
كثيرة كانت تزعم انه بقوى على ادلال تلك المشاكل الطارئة بها تكن حصه  
ام وعبدة المشاغل لما انه كان قد قوي على اعظم منها . . . . .

اما جرج فكان عالما بالمكايده التي كلن منصبا له الروسة لان هو قرا ولوا لانه كانا  
طلعا عليها واقصاء ان لاند من ارسل الزيل والخيول لك الاسبان والاقتصاص

يقول كليلي: الى طائر اللغات ويجدد فيه الرفيع والوضع وبعثها الى جميع انبياء  
 ملكها واراد ان يروى الى اوجها من اعلى به وجه بعد وشرق طائر فاقبل رجل فبوذة  
 ثم رز الخشب رافع الناس لولا قول هذا من الله بلجي من الحمل الى المخلة غلبة ليس  
 واما اعظم ليلها ولا يولد المستند ولا يمكن على الجهد ليويد الحسنة . . .

لاني قد كتبت يا اخي المجلس الاعلى كوفي / مفضل / لانني احرص في الحيف الذي امر به  
لاني آمن من سقوط الثامن واثني جيل المرام  
ت / في انا / الا / مشغول / متسوق / التايف / ونحوه / وفيه / على / له / الذي / هو / التايف / وما  
انصابت / به / في / التايف / وما / على / التايف / -

٢٥. فإكتفى جميعه بمخوفه، فكانت مواءمة الجاهل بقلة، والفتاة عليها المبالغ  
وعمرات غوي قليلات علمه واحدة علمه وكان يمتنع والده بلندن واجهاد ومطرح  
قصده ان يطلع به اليه في الوقت المناسب والاحقر المصروفه فزعم ان له بعض ابحاثه  
بمراجله، حتى انضما لطلب اليه في الرعدة وحده لفرقة والفرقة مد ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

وكان الخادم سمعان يساعد أحياناً في إجراء بعض العمليات الكهنة التي يوجد  
لاختبار صحتها ولها كان حرج يوماً في غرفة للكتابة يقتتل طالبو مدرسة بجانها ذكر  
فريد فأتى إلى روثيها ولعبت بفيادته لواعج الخيول والإبراع فاستدعى سمعان  
سمعان ولما لم يجد محضته تفرس تخرج فيها خراجه أن يجيء الفكر والحداج مظهرة على  
صحة طلي أنه لم يطل أعمال الذكرة بذلك لما أنه كان لا يفكر بغيره فباله بما إذا  
كان يعرفه بغيره مراد بك فاجاب الخادم أنه يعرف المنزل المذكور وأنه متاهب  
لنقله لما يأمرة به سيده فمستدله دفع له حرج رسالة امرأة إلى يديها لفرقة وهذا  
نص الرسالة المذكورة

ما يعا المصنف الكرمه المبره

ووصلت ثمر عروست منذ عهد كرم وب وترقي الفرج قبة بالنظر لاحتجاب سالك  
عجب ولا ينظر سوى الموجد الذي تملأه لكي إند عليك روايتك بن يدك  
ولطالما كان هذا الموجد نقطة تصويري والمجزة الذي تلور عليه إقكار في المسبة  
التيه انقضت وهي امام سبطاء وسيرة تكلم واجرن قضيا بعداً عليك وبكيت  
إمتد المضطربك بعد ذكرى فذلك الموجد عفاة أن يقضي قبل أن أدرك الوطر اما  
الآن وقد ظفرت مجاحي وجئت ناكاً عاني فارى موعدا يقرب تمام المعنى بل

أرقبه رقبة هلال العيد هزبد الفرح اذ به يتأتى لي ان اقبل عليكم عزيز النفس  
مرتفع الرتبة والجاه واتقن من ان اخطبك واحبك دون ان يتصور احد ان ذلك  
يحط من قدره ويترنل من شأنه اذ لا يلحق بك او يدركك غضاقة اذا ما أصبحت  
حليلة طيب عالم قد سقى من جراه وعلا من ساماء فغدا لا يدركك فشاوة ولا  
ترام مساماته وعلى هذه الوتيرة لا يمتنعنا مانع ولا يعارضنا معارض »

( جرج اللهاوي )

اما سمعان فاخذ الكتاب ثم سار ولما خلا به الجوّ فقص غلافه هزبد الدقة  
وبدون حشية فقرأه ثم طواه والصقه على ما كان وضحك فضحك المحبري قائلاً  
في نفسه : ان مولاي الرويه قد ارم بالسداد اموره فلم يعطى المرء وقد اصاب  
ظلة بمان الموعد فان بعد القدر يكون اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار  
فيجب مزيد الانتباه لما يجري من المحركات

وظل سمعان سائراً الى قصر مراد بك فدفع الكتاب وقفل الى بيت سيده  
ووجد جرج سميكا على الكتابة وكان قد اقل الليل فاشمل سمعان قديليوت في  
غرفة المكتبة وظل يمتظر

وفي الطاييب مقطوعاً الى العمل تارة يكتب ومنع بقلب صفحات الكتب الى ان  
انقضت الساعة القامية من الليل وعددها ذهب جرج الى منزل اخيه حينئذ حاله  
وصحة لولؤه واباً المحامد سمعان انه لا يعود الا نحو نصف الليل وامره ان ينتظر  
ايامه على ان يكون ثم حاجة يقضها او امر يجره

وبعد ذهابه اغتم سمعان فرصة غباب سيده واخذ يخلص من خرقه الى اخرى  
متفقداً اثاث المنزل فوجد ان الخزانة مفتوحة به ان الصندوق الصغير الذي كان  
يضع جرج فيه اوراقه وخلص اكتشافاته كانت مفقداً فاخذ يبحث على المتاح لكنه لم  
يجده لان جرج كان يحمل دائماً هذا المتاح ولا يفارقه ابداً على ان هدم وجود  
المتاح لم يكن لهم سمعان وبدلاً من ان ينقط ظهرت على محياه سيا الاسعزاء  
والسخره وهز يراسه وكنفه كافوا هو كان يقول : لا بأس من هدم وجوده اذ لا يلزمي أكثر  
من خمس دقائق لكسر القفل واستلام ما يحويه

ثم تقدم نحو المائدة فوجد عليها كثيراً من الاوراق المتفرقة بعضها ملائ بالكتابة  
وبعضها لانهوي سوى سطر او سطرين وهذه الاوراق كانت متفصلة خلاصة اكتشافات  
الطبيب جرج اللهاوي المزمع ان يقدمها للجمعية العلمية . ثم تأمل تلك الاوراق

فوجد ان بعضها مريضاً ومعداً للطبع ونظر الى اول ورقة فكان عملها كما ياتي:  
« ميكروب السل وكيفية اهلاكه »

اما سمعان فلم يلتفت شيئاً من هذه الاوراق ولم يحدث ادنى تعبير في كيفية وضعها  
لان ذلك ما بينه الكارمينه اليه وحدثه يطرده من البيت لاهالة فاطماً الصباح  
وذهب الى احدى الغرف وظل يعطّر سيدة بفروغ صبر  
اما جرج فصاد الى منزله عند منتصف الليل بعد اذ كان قد عاد اخاه فوجده  
يخيم دائماً نحو النجدة والمناجاة اما لولوة فكان لم يزل الضعف مضمواً طليها  
وبالكاد كان لها المصطاعه التي تتكلم على انها لم تكن مضطرةً لللازمة الفراش وهذا  
ما كلن ياتي الملائكة في قلب الطبيب

علم ان حسن حاله المريض لم تكن لتذهب بكل ما كلن يشعر به جرج من  
الامتعاس والحزن فهو كان قلق الحال مضطرب البال لما اء لم يتو اليه شيء من  
اخبار والده بل ظلت مستجمعة عليه مع انه كان يجسها ويجسها وكان يبكي بكاء  
هراً ويود لو انه يفسر كلها فملكه بكاء دون الاطلاع على حقيقة الحال بيد انه  
احود النفس على الصبر والتجمل وبقدر الامكان جمع تصورات المتشقة وعاد لغرفة  
المكتبة واستأنف العمل قاصداً ان يجي الليل برمه رغبة منه في التجاز ما بقي من  
الغاليات على ان الصاء اخذ منه كل ماخذ واستولى عليه سلطان اليوم فسار الى  
سريره ونام وكان قد انقضى التسم الاكبر من الليل وقبل ان ينام امر سمعان ان  
يسبه من الرقاد في اليوم المقبل ظلماً

اما سمعان فلم يمت بل بقي ينتظر خمس دقائق ثم فتح بابه ولطف بابه غرفة  
سيده ومدّ يده الى الامام واصفى برمه

فكان تنفس المصاب الطيب مادياً متابعاً فاطماً نال سمعان وقفل عن الباب  
بعد اذ ظفقه ثم ذهب الى غرفة الشغل فوجد بابها مقفلاً على انه تذكر بان سيده  
كان قد وضع المتاع في خزانة الطعام فاستحضره للحال ودخل الغرفة واشعل فيها  
قندلاً صغيراً وكان معه ونظر بسرعة الى المائدة فلم يجد شيئاً من جميع تلك  
الاوراق التي كان رأها من قبل متفرقة فهو برأسه ونحطك بهزه وسخرية ثم قال:  
لقد اخذ صاحبنا كل اوراقه في صندوق ١٠٠ ياله من رجل قليل التدبير فلو كان  
لديّ اوراق يعوق على وجودها وجودي وسعادة حياتي لما كنت ارتكب مثل  
هذه الحماقة بان احبها في هذه الصندوق الصغيرة ثم انه اخبرني من جيبه حافظة

حديدي على دائرها عدة منافع وجعل يعالج بها واحداً واحداً فتح تلك الصدوق  
ولما انتهى الى المتاح السادس فتح للمال فسر سمعان وفرح بظفر الى تلك الاوراق  
فوجد فيها رزمة كان جرج قد كتب على احد جملتها بقلم رصاص أحمر : (طال)  
فقال للفس بدهشة : هذا ما لبثت عليه وكانت هذه الرزمة طويصة سائر المراتج  
جرج ومفكراته حتى الاوراق المخفضة المحاوية خطاب المزمع ان يرفعه للجمعية العلمية  
الطبية فمظم سرور سمعان وجلس على كرسي قباله ملثمة سيده . ونجح ذلك الخطب  
بالعرف الواحد وبعد اذ ام العلى وكان قد اتقى هذه الحيلة من الليل ارجع  
الاوراق الى ما كانت عليه من قبل ثم قفل الصدوق وجعل يمسحها باليد في سريره  
ولدى لحظة من خطاب جرج على ما تقدم بيانه .

ولما نفس الصبح واجل الليل من سمعان بن للرقلة ثم ايقظ سيده . على ما كان  
لمره بالامس اما جرج فاسرع في لبس ثيابه ثم دخل غرفة الكتابة ويشرح في مطبعة عمله  
دون ان يلحظ اقل تغير يثبث الى مخانة خادمه وزيارته الليلية وبقى يستغل حتى العجوة  
فتناول الغذاء واذا رأى ان سمعان يجدهم بظاهر الامانة والنشاط سببهم وشكره  
اخلاصه ووده بان يكافئه في مستغل الحين  
اما سمعان فاجابه :

ساجدك ياسيدي باماني وارفع ناظرك بصدق خدمتي وسوف تعلم يوم لنفس على  
حقيقة امرى انى انت بخدمتك ما يضاهي ثقتك بي وبوافيق تقديرك في  
وبعد الظهيرة سار جرج يتفقد حال اندراوس ولؤلؤة واذا جاءه جسر النهار وجد  
سمعان بباب الدار ينتظر قدومه وحين رآه خف للقائه بغاية الدقا . بمائة الاجلال  
وقال له :

— ان امرأة تنتظر سيدي في ردهة الاستقبال

— امرأة ... تنتظري ... وهل اباك بك باسمها

كذلك يمولاي بل اسم علي ذلك على انى اصف لك بعض مظهرها لعلك تعلم  
من في فان ملابسها على الزي التركي وعلى وجهها غاب ككذب لم ار ما وواجهه  
عينها ... وما اخلاصها عين بل ما جوهرتان لامعتان ... بل كحبات في يديها  
فبرسلان الى القلوب شهك نارية تكويها او حبات تصطادها ... .  
فلم يصبر جرج الى ثمة الوصف كما هو ادرك . من الموصوف وظلى سائراً تولى  
في ١١ دقة دخلها ثم في ذراعيه فتح السماء وصاح به . ر ياتوجه الانذهال وعجل

الدمع من عينه غائلاً ولم يزد  
 فريدة إفرقة الأرى فريدة عندي ... أأه ... (لا نعلم نعمة هذه الكلمة  
 فان القصص احدثت من جرج كل ماخذ وصدج صوته متفعلاً بما كان يذرفه من  
 دموع الابتهاج والفائز فانقطع عن الكلام وتبقت عيانه شاخصة اليها ومنها تفرق  
 قطرات من الدموع اسميه بالعقد الضديد بل هي فيضة الملان وثقة المصدر )

ونيك من السن حين تلتقي وتنطق فينا عين وثلوب  
 وقد صدق ظن جرج فان المرأة التي اشار اليها سمعان الخادم كانت بالواقع فريدة  
 انت تحب جرج مشافهة على مآل كتابه لما المرسل اليها بالاس واذ دخل الردهة  
 انصبت واقفة وبسطت يمينها وظلت تنتظر دونه منها والبرقع منسدل على وجهها  
 غير ظاهر منه سوى عينها تذر فان الرنين وتشفان عن الحنين  
 ثم ان جرج تقدم اليها والقي يمينه على يمينها مصالحةً وبقي دقائق متوالية ينظران الي بعضهما  
 ويجهشان باليكاه ثم استويا على المتمد وسقط البرقع عن وجه الفتاة فاسفر ستموله  
 عن وجهه هو البدر بل اجل من البدر لانه يضاهيه حياة ومعنى ولم يكن احدهم  
 البشر تنعم بالنظر اليه سوى مراد بك شفتها وجرج اللباوي فان فريدة كانت  
 دائماً متحبة تصوتاً ووجهها كان ابداً مستتراً بتناعه عملاً بعادة بلادها حتى ان  
 جرج ذاته لم يكن يتمتع بالنظر اليها عملاً الا متى كان يدخل غرفتها بفتة  
 اما فريدة فبعد ان زالت غصتها اجسيت بوجوه حبيها ونظرت اليه نظرة تشف  
 عن الانعطاف والحنان كما في قولك بالحاظها : « كيف انت وكيف كانت حياتك  
 من يوم شط الحراز وهدت بينا الدار ؟ »

اما هو فاجابها

ما اسعدني الان يا فريدة اذ ظفرت بقلبك ... وما اعظم حبي لك ! ... وما  
 اشد حبي اليك !

— نرى باجرج اني اخي الناس ضلوعاً طليتك والوكنت مدقة غرتك افوب وجداً واقني  
 شوقاً واحن اليك حينما لا تبرده الدموع وانا وحلك حليزة عن تيمان مسرتي بقلبك  
 ولتتأجج بالاجتماع بك ... على ان رسالتك باصاح قد اوجبت لي الكدر والامتعاض  
 — ولم ؟ ... قدتك نفسي

— لانك بها تلج الى حادثة جرت بينك وبين شقيقي منذ سنة وكنت احسب ان  
 الزمان ازالها من ذهنك ومحا اثرها من مخيلتك ... اما اخي فيعلم جلياً ما بلغ الله

بك من المنزلة التي ليس وأما مطلع لناظر وهو موقن بصدقك واستقلحك  
وحسن مبادئك وهزة نفسك وهو مداركك وسعة اطلاعك وهو لا يشاهد مطلقاً إن  
يخرج بينكما واقع بشأن ما جرى بينكما من العهد منذ عام - أوزعه عام ...  
وعندهما تماسكت عن الكلام برهة تفكر بذاتها ثم قالت له بلهجة لا يستطيع أن  
يفهم عنها لكننا نقول انها كانت تشف عن التعجب والاشفاق والحسب والحزن  
والغضب والرضى والجند والمزاج وبصوت يشير الى الضحك والبكاء معاً  
— احثق ما يلغني من انك لم تنزل مقيماً على العهد الذي اخذته على نفسك  
منذ سنة في الخامس والعشرين من شهر ايار؟  
فمندها بدت على محيا جرج ملاح الرزاة والقائي ثم اجابها بصوت لا يسمع  
المناشر

— نعم اني عازم على التيام بهدي فان ذلك من مقتضيات شرقي  
— وما كنت نفعل لو ان الظروف صدتك عن انعام نفيك والزمان غانك  
فاختفت في حاجتك ومطلبك بما انت عليه من الذكاء وسعة الاطلاع  
— لكنت فعلت نفسي لا محالة  
— او بدون ان تراني وتزودني نظرة الوداع؟  
— نعم بلوون ان اولك يا فريده؟  
— اتصدق فيما نقول  
— اقسم لك بالمخلة والموكة ... او بحاجتك شك فيما اقول  
— بل اصدق كلامك كل التصديق لاني موقنة بانك لا تخفي ... حقاً انت  
تكرهني وتنفى لي الضر والشر والقهر والذل والحزن والامتعاض - انت تود ان اخوي  
مرور الحياة واموت من جراء الالم ... نعم نعم انت تؤثر الجند والمفرق على  
صبي ...

فاجابها جرج بلهجة تشف عن الكآبة والحمة:

— تقولين اني لا احبك يا فريده؟ مع ان حبك ابها العزيرة هو الذي شددني  
وقواني لاحتمال مصاعب الدهر وللايا الحياة مدة السلام المضمي . - كنه  
تصورين اني لا احبك مع اني ان كنت رغبت في الموت فما ذلك الا ضناً على  
حرمتك من ان تنهك وصوناً لشرfk من ان يس . . آثرت كراحتك على حياتي  
وشأأين بعد هذا عما اذا كنت اودك؟ نعم اودك بكل عواطف الوداد . نعم





كنت مراراً والدماع منه بماعل العناء والمواجس — املك قائمة بالقرب مني  
المجاهدك واحداثك وعندها كنت اتمتع فملاً بهجد توقي. وفاء اصالي وذماب  
اتعالي

هذا وان الكلمة الاغيرة التي خاطبتني بها يوم الوداع كانت تقوي حربي وتزيد  
اقدامي ولذلك قد ذللت المصاعب ونست المتاعب ولم يداخلي القنوط ولم يهضم  
عليّ الامر الذي شرعت فيه ولم اعياء بالوهن والخوف اللذين يستوليان على قلب  
المره بها كان ثامت الجأش وذلك عندما يقدم على امر خطير . اجل انه عندما كانت  
تجمع عليّ المصاعب وتقوم باذهاي الموانع والمتاعب كنت اذكر وصيتك الاغيرة . وكانك  
للوداعه الا وهي « افكرني حين يترك القنوط والوهن . . . اذكر انك تذكر  
وتعصب وتنفق من اجلي . . . لانسّ اني احبك والي مقبة على العهد . . . مر  
على الطائر الجون وان انتظر قدومك . . . »

فاغرورقت حيناً فريدة بالدموع على اثر هذا الكلام ثم قالته له  
— حقاً باخرج انني كنت اقول لك ذلك كلما مرّ ذكرك بمخاطبي . اجل  
كنت اخاطبك واتجملك على حين لم اعلم اين كان مترك لحظي من اخبارك على  
اني كنت اتجملك بالذكر وارافقك بالقلب وكنت انتظر اليك من الهيلة . جبر اليها  
الحبيب انني كنت اراك مشغلاً بكبر منكاً على الدرس والمطالعة بكل نشاط حتى  
تبلغ يوماً ما مبلغ العلماء الافاضل لتكون يوماً قدوة المهنة الشريفة ما دالك وفضائك  
وسعة معارفك . وكنت اسر وازدهي وافخر وانامي علماً مني انك تعاني ماتعابه حباً  
في وسعاً وراء المجد والشرف ورغبة في نفع البشرية . ولكن اصدقني باخرج اما ان  
الحب اسمي من المجد والشرف او ما كنت وانت ساع وراء الشهرة والتمني تنصر بمطاعة  
تجهد بك القوي وتزيد في همك ونشاطك . او ما كان همك بخاطرك امر يتحقق منه  
قلبك ويستطير ليك كانا هو يستولي على كل جوارحك ؟

— اجل يا فريدة انت حبك قد تملك غوادي وتمكن فيه والي اوتره على المجد  
الايل والشرف الباذع وجدا العيش اذا ما انتقص ملك اجل ان النفوس الاية  
تسي ابد الدهر وراء ما هو اطيب في النشر واحسن في الذكر على ان المجد لا يبره  
تكميات الدهر ولا يصرف سائق الاحزان اما الحب فيجلي مرارة العيش ويلطف قل  
النوازل والشدائد . اه يا فريدة العزبة اني عندما انجرت اعالي ووضح لدي اني  
ادركت الوطر من النجاح بالاكشاف الذي سمعت ورأه متقبلاً على شوك الفتاد

شعرت بفوز داخلي وحسب نفسي اليك المنخفض وحليف الراحة بمعنى انني كنت ارى  
فاتي في ذروة العز والمجد وكنت اكرر اسمك نيتاً وتقاولاً وبينما كنت فارغ البال  
خالٍ الذرع اركن الى الدعة واخلد الى الراحة احسب النفس في بحوحة الرغد والسرور  
وصلت الوطن العزيز فوجدت ما ذهب باوهامي واراني ان السعادة في هذا الوجود انما  
هي اضمات احلام . نزلت في النوازل يا فريدي وانقضت على عائلتي صواعق النوائب  
على حين كنت اظن الدهر عدي والسعد وقت اشارتي واحب ان تعلي بالي اهب  
حنواً كلما تملكه يدي ولود ان افقد ما بذلت في سبيل قلمه عرق الجبين ودم القلب وانني  
ان افقد احوالي ذاهبا بفضة ان اخلص اخي واحداً اني . . . .

لا ابرح ان الملمات التي نزلت بي من شأنها ان تضعف ايمالي وتجعلني ان انصرف  
عن امالي بالأس والفتنوط على ان ذكرتك بشدتي في وهني وحبك يكسني قوة  
وشجاعة آن تحدث علي الحوادث وتتل في النوازل والان اذ اراني مكتنفاً بالهن  
والصائب لمحرك نهاية الادراك مقدار محني لك . لعل انني اذ شاهدت  
اخي مريضاً مدقاً وانثبثت بفقد والذي غريباً كرهت الوحود ووددت ان  
أقتل نفسي واغسل من اثم الالحاة على ان حبك لطف احرالي واهت الاتجار  
على امل ان اقضي معك ما بقي من العمر يا فريدي لو تدرت المكارة التي تحف  
بي ونظرت الى المناصب التي اتمهل انقلما لكنت قصوي كرفي للهماء وتصليني على  
الاستحار . . . على انك اذا نظرت الى عمى فوادي وفحصت جوارحي لحكت ان عيني  
معك يصرف هوي وبزبل غموي ويجيب الي الحماة على مرارها ونوائبها . . . .  
يا فريدي ائمع تعريتي . . . . لك قوتي . . . . ولك ( غذاء حياتي ) وما جمالك  
بالداعي الوحيد الى شغفي بك . احبك يا فريدي واحب فضائلك واثارك المحبذة  
وهو اظنك الكريمة وقاء لك النادر المثل فاستبهاك على المادي والصحية بالاعطامك  
لدوي الناقة والعوز بك به المساعدة للصنار . بمالك لكل ما هو مفيد وجلب  
بصرفك النظر عن مساويء اللبر ما شاركت اللطيفة للاصلاح لطيفك برفقتك . . .  
قد طمني كيف يجب ان يكون الانسان فانما احبك يا فريدي واحمد الله انه قد  
جمع للوجود بك . . .

اما فريدي فاحنت رأسها احشاماً عدا ما كان يردد ذكر صفاتها الكريمة ثم  
سأله متأنرة

— وكيف حال ايك واخيلك

— ان اخي قد ابل من الداء ... اما والدي ...  
ثم امسك عن الكلام وبدت على محياه سياه الحزن والكآبة اذ فكر بفقد والده  
المجيع اما هي فاذا نظرت الى عيني الدامعتين ادركت ما كان يمر بمخاطره ويختلج  
في صدره فودت ان تصرفه عما يسبب له الامتعاض والانتباهى ورأت ان تفككه  
باحاديث الحب فقالت له :

— ثقي ايها العزيز ان حبي لك لا ينقص عن حبك لي فان ذكرك كان يمر  
دائماً بمخاطري وكثيراً ما كنت اتكلم عنك ...  
— او كنت نتكلمين عني وحدك ... مثلي ... على انفراد ؟ ...  
— بل كان لي من اكاشفه بامري واطلعه على مكشواته صدي  
— ومن الانسان

— شفتي فاطمة ... ان فاطمة كفتي فهي كانت تقاسمي حزني وكآبتي تألم لالي  
ونسر لسروري ... كما نحن ذات واحد ورد عليه معنى ان الواحدة منا تنبأها بما يحدث  
للاخرى بعد حين ومن قيل ذلك انني انبأت فاطمة منذ امير انه يمتريها مرض  
عضال وكان كما قلت . على انها بالامس قبل ان تصلي رسالتك بدقائق قليلة  
قد قالت لي : حذار حذار يا فريدة لانك سوف تألمين من جراء داء يجل  
بك ...

فبسم جرح لهذا الكلام وعزاه للارواح القديمة التي كانت متسلطة على عقول  
السواد الاعظم من سكان هذه البلاد لاسباريات الحبس اللطيف لان فريدة كانت  
تندفق صحة وحياة وقوة وكانت ملاعبها تشهر الى ان حوامها تكون مديدة رغيدة فاخذ  
بهزاه من خوفها ثم قال لها :

ما كنت لاظنك معانتي طبعاً من الذكاء انك تومنين بالخرافة  
— فاجابه انك اخطأت ايها الحبيب اذ لم تصدق ما انبأتني شفتي به وما اظنك  
تجهل ما ذهب اليه بعض العلماء من قيل قرأة الافكار وتنبه العواطف الى امور قبل  
حدوثها واعلم ان افكارنا بهذا الشأن كانت نصيب المري ابدًا فثق اذا انني  
ساكون مريضة على اني لاخشي العذاب الا لم لاني حاضروستذهب الي ونقوم  
حولي ساهراً على حالتي محتباً بامر صحي دافعاً عني كل ما نسيه طاقته ومثلك  
من يدفع الاذى ويداوي العليل ويبري من الاسقام وانا لا اشفق من ان يستأثر  
الله بي فان فاطمة لم تنبئي بجلول الاجل في اثر الداء

ثم عقب هذا الحديث سكوت وبقي المحبيان دقائق متوالية ينظر كل منهما الى وجه الآخر وتريل عيونها شيئاً تشف عما يستعنه الواحد . ثم قالت فريدة :

— ما اعظم السرور المعد لنا يا جرج . . . انا بعد اذ يجتمعنا عند القرائن سوف نأخذ مثلاً في ناحية منفردة من المدينة ونبعد بهك الذريعة عما يسبب التلق والانتزاع ونرضى بما يقسم لنا الزمان من ان يعيش الواحد منا في لود الاخر ويتنياه ظلة وثبني انت مزاولاً أعمالك واشغالك

— ما حيلة الطبيب بالحياة الرغيدة بافريدة وما مواردها بالموارد الصافية كما نقدرين

— سأتودها يا جرج . . . وماكون سعيدة اذا ما رايتك حليف السرور فجميع الخلف خالي الذرع . منتعماً بما تحب من السعادة والرفد

— سنسعد بسعادة الغير يا عزيزتي فريدة من حيث ان حالتنا تمكنا من بسط كعب المساعدة للفقير سنسردفع المكار عن الخزائن الاولى نأسوم وتخفيف الالم عن المرضى الاولى نداوهم واعطي ان الدهر وقتني الى التمكن من الاحسان الى الفقراء المحوزين لاني لصحت مالا وافرا بحي الارث لم اكن مؤملاً ان اظفرو هذه الثروة تقابل ثروتك على التقريب

فابتسمت فريدة اشارة عدم المبالاة ثم قالت :

— نحن والحمد لله في سعة ويسار تامين دون حصولك على هذه الثروة لابل قد اكرنا من فضل الله واود لو ان قمنا من ثروتنا ببذل للمسكين وذوي الحاجة ويستعمل في سبل انشاء الاندية والجامع والصروح التي من شاعها نشر المبادي الصحيحة ونعيم ما يعود على الطائفة الانسانية بالخير والفلاح لاني اعتقد بان قيمة الانسان ما يحسه اكثر الانسان مه او اقل

والثروة الحقيقية تقوم بعمل المبرات وليس بجمع المال في الخزائن دون فائدة وكل فتى وان ارى ما سوى مقتضيه عن الدنيا المون وبعد اذ انقضت على المحبين ساعات تجاذبا باثنائها اطراف الحديث نامبت فريدة للانصراف فانصبت وافنة وقالت :

الا تزودنا في التصر يا جرج ؟ ان اخي قد علم بايالك وهو بانتظارك فابتسم جرج واجابها بلهجة تشف عن عزة النفس والابتهاج :

رجائي بو ان يتظر قدومي اليه في الخامس والعشرين من هذا الشهر . . . وانت تذكرين اني لا اقبله قبل هذه الموعد قياتا بعدي . . .

— يالك من منقطع في رأيك . . . لا باس ساعدوا لزيارتك مرع ثانية ثم خرجت من الغرفة فشيها جرج الى باب المنزل . اما سمعان الخادم فكان اثناء المحدث كله شاخصاً وراء باب الغرفة يجمع اليها خفية ولدى خروج فريدة خف مسرعاً نحو احدي نوافذ الدار ونطلع منها فظن جرج ان خادمه قصد بذلك الا يتظر لوجه فريدة احشاشاً فسرّ وهناً نفسه بهذا الخادم ( العفيف ) اما فريدة فوقفت متفرسة ملياً بوجه سمعان ثم قالت لجرج :

— انني متطيرة من خادمك متشامة به وكلما تفرست في عينيه وملاحظته اشعر بانقباض في صدري كأنما ارى فيها شيئاً يشهر الى انه نحس من النفوس ولشأم من البسوس

— تارك كالسواد الاعظم من نساء البلاد تميلين الى تصديق المخافات — امن زمن مديد هو في خدمتك . . . لا بدالك اخبرته في كثير من المواقف والظروف فرجحت لديك اماته

— بل لم اعرف الا منذ يومين وهي مدة لا تكفي لاختباره على اني اسلم عليك ان سباء الحيانة والغدر تلوح على وجهه بصورة واضحة بينة بيد اني راغى عن ذكائه ونشاطه وحسن قيامه بما اعهد به اليه من الخدم . . . وبما ان لا مندوحة لي من خادم يقوم بقضاء بعض الحاجات لم يمكني الزمان من استنصاء اموره والاطلاع على ما خفي من اخلافه

— اراه انسان السوء والمكاره وقائد المكذ والشوم . فحذاره — قالت هذا ثم ارجعت اللثام التركي على وجهها فلم يبين منه سوى عينيها الساحرتين ثم احنت رأسها امام جرج اشارة للوداع ودخلت غرفة مخفية كانت بانتظارها على مقربة من المنزل فقلتها شاخصاً نحو النصرف وغادرت جرج كلفاً شغلاً كأنما قد فجلت امامه رؤيا ملايكية ثم غابت عن اعصاره . فعاد الى غرفة الدنابة وجلس على كرسيه امام الطاولة وجعل راسه بين كفيه وغاص في بحر التأمل والتصور على اثر تلك المراقبة . ثم انه اجهد النفس بان يصرف فكرة عن ذكر تلك المراقبة التي اخذت بجماع ليو فاخذ لوائحه ومفكراته وبعد اذ امر عليها النظر شرع في تمة ما كان بدأ به ولم يمض على خمس دقائق حتى عاد لا يترك الا بشغله . . .

ولما وصلت فريدة قصر اخيها مراد بك دخلت غرفتها مسرعة وبدها تلك الرسائل التي كان كتبها لها جرج مئة غيايو عن الوطن فاستحضرت لديها الحال احدى خادماها وامرهما ان تسدي لما شقيقتها فاطمة التي جاءها بعد مضي القليل من الزمن وكانت الشقيقتان متشابهتين هيئة وجمالاً ولطفاً وذكاءً ولهجةً وذوقاً ورقةً وظرفاً ولما تقابلتا تبادلتا كلمات النعمة المألوفة ثم جلستا متعانقتين على مفعد تركي حتى ان شعرهما الطويل اشتبك ببعضه وبعد دقائق قليلة شرعنا بتلاوة تلك الرسائل المحبوبة المألوفة

وكان جرج قد كتبها بنهاية البلاغة وبعبارة صريحة واضحة نالها الاسماع وفي تعرفت عما يفؤاده من الحب الخالص والعواطف الكريمة . وقد مرت فيها ساعات طويلة فاملان تلك المعاني الرقيقة والمآني الدقيقة بمنهي الجدل ومزيد الارتياح لما فريدة فكانت تتفرق الدموع من مآقيها وتوتر في خدوها لئلا تأثرها وما كانت تفيض دموعها حزناً وكآبة بل ان صورة السعادة الكاملة كانت قائمة باذائها فطغى فؤادها سروراً ولذلك كانت تبهكي

اما فاطمة فكانت غائصة في بحور التأمل والصور اثر تلاوة تلك الرسائل وكانت الصبرة والحمة تتناوبان على محياها . وكانت ابصارها شاخصة الى الرسائل وكانت من وقت الى اخر تنتهد ويندفع من عينيها الرنين . والرنين اسراحة المنكوب ونفثة المصدور . اجل ان فاطمة كانت تضبط شقيقها وتنبئ حالاً سعيدة كحالها وحضناً كحظها ولم يكن الحسد باحثاً لاحزانها وعلّة لكآبتها على انها كانت متبللة البال قلقة الحال مضطربة اللب نائرة القلب تنسأل عما هو « الحب » وكانت تخاطب ذاتها وتناجي نفسها قاطلة :

« انا وشقيقي مثلان صفة وصورة كأننا نحن من اديم واحد حتى اننا لو ارتدبنا بانواب متشابهة الشكل يصعب على شقيقنا مراد ان يميز الواحدة عن الاخرى وان يدرك فوراً من منا فريدة واينا فاطمة وقد جاء هذا الاجنبي جرج اللبائوي فعلتها وعقلته وكان ذلك قسمتها ونصيبها . . . فلم لم يكن من نصيبي ؟ بل لم لم اظفر بحبه ولتلك فؤاده . . . او ما هو الحب ياترى . . . »

لو ان العواطف البشرية تمخذ شكلاً مهيولاً ولو كان جسم فاطمة شفافاً ولو ارسلنا النظر الى ذلك النواد لرأيناه خالياً من عواطف الحسد نحو شقيقها على انها كانت كاسفة البال لما ان دم الصبا كان يتدفق من قلبها وتواف الحب تتخلج في

صدرها دون ان يكون لها مصرفاً تفقد منه او نقطة تنجم اليها وبعبارة اخرى ان نفسها كانت ملأى تندفق منها ميازيب الحب وليس لديها من تحب



وفي تلك الليلة نفسها دخل جرج غرفة الكتابة وأكتب على تيمة تاليفه في الاختراع المجدد وكان قد عقد النية على ان ينثله بالطبع صباح اليوم التالي فيبرزه مجلة صغيرة الحجم كثيرة الفائدة تتضمن الادلة العلمية والحكايات الاخبارية المومدة مذهبه المجدد في فن الطب وكان من قصده ان يذيع مقالة المواء اليها في الجرائد وينقلها الى اللغات الاجنبية ويعرضها على المجمع العلمي والطبي والغرض من كل ذلك ان ينال حسن الصيت والشهرة الطائر . وكان من نيته ان يقدم النسخة الاولى الى مراد بك تحفة تشير الى اهليته وفضلو وسعة معارفه وكانت هذه الافكار تمر بمخاطره وتمرفواده وترفع ناظره

وعند انقضاء وقت السهر اسك عن الكتابة التاس الراحة وكان قد انتهى من كتابة المقالة ثم انه اطلق لعبادة لولوة واخيه اندراوس فوجد انها قد ابلأ من مرضها ومائلا ثنائلا تاما فعاد من لديها نحو منتصف الليل وكان في صناه معن ونصب منصب في اثر ما كان تحمله من الجهد والكد اهان تاليف مقاله وادخل البيت ساله الخادم قائلاً :

— في اى الاوقات يود سيدي ان انيه في الغد ؟

— ساعة البكور قبل طلوع الشمس

ولم يمض على هذه المكالمة نصف ساعة حتى كان جرج راقداً في سريره مستغرقاً في الكرى

ولما تحقق سمعان ان الجميع استوى على سيده دخل غرفة الكتابة وتناول من الخزائن رزمة الاوراق فوجد بينها المقالة الثمينة التي بذل العليب في سبيل تاليفها كل ما عز لديه والتي

من اجلها الدكتور اشترط نفسه ونجم الاموال والاعطارا

ولم يمض زهاء الساعة من الحين حتى نصح سمعان تلك المقالة برمتها وجعل النسخة في محفظة صغيرة كانت له . ثم خرج من المنزل بهدوء تام قصد ان لا يمس احد بخط واذا ولا صلح في الشارع نظر بمنة وبيرة ثم استوى على حجر ينظر فانقضت



بضع دقائق ولم يوافق احد فعندئذ صفر صغيراً متتابعاً وكانت هذه الحركة بين  
الروسة وسمعان دلالة الاجماع وعبارة عن الالتمام وهي كما يعلم الفاريه الكريم من  
اصطلاح اللصوص وقطاع الطرق

ولحال بادرنحوه سمعان رجل كان واقفاً منتظراً في احد نواشط الطريق ولما  
صار على مقربة من قنديل الغاز القائم في الشارع العمومي انتشع الظلام عن وجه  
ذلك الغريب وعرف الرجل فكان الروسة شرّ الجبله وسفالة الخليفة فقال لسمعان :

— هل انجزت ما أمرت بانجازو ؟

— هناك يامولاي ...

ثم اعطاه صورة المذلة التي كان نسخها فقلب الروسة تلك الاوراق وامر عليها  
للنظر ثم قال لزميلو في الشر ورمضو في السوء والنفاق  
— لله درك فقد احسنت ما عهد به اليك والان عليك ان تكبل ما  
بدأت به

— مثلك من يأمر ومثلي من يتصاع لاوامرك وبمعها بنهاية ما نصل اليه الدقة .

وعلى هذا تفارقا

ثم ان سمعان رجع الى منزل جرج اللياري طول ما بدأ يعملوا انه جعل فراش  
سريره مجسماً قصد ان يوم الناظر اليه انه كان نائماً ثم خلع ثيابه ولم يبق  
سوى القميص و( اللباس ) ودخل غرفة الكتابة وهناك اشعل قنديل زيت البنزول  
ثم قال بنفسه وهو يسم تيمناً بشفت عن المكر والخداع والسرور بالسر والاذى : ان  
البنزول سعيماً مهبولاً ثم انه سكب من القنديل شيئاً من زيت البنزول على مقالة  
مخرج ولوث به سائر اوراقه واوقد النار . . . . . وبقد رشح البصر لاشئ ما كان  
جرج قد عانى في سبيل جمعه ووضعه الايام الضوال ولم يضر ربح من المحن حتى  
اندلع لسان اللهب في سائر الغرفة واتصل بالكتابة وجوف النوافذ وسائر الاثاث  
ثم تصاعد الدخان فانقلب القنديل وانسكب ما كان باقياً فيه من زيت البنزول فازداد  
الضرام وكاد ان يلتهم الغرفة وما فيها التهاماً

اما سمعان فكاد ان يخنق من تقادم الدخان فعمد الى احدى النوافذ وفتحها ثم  
بادر لاطفاء اللهب قائلاً لا ارى احراق البيت يرمته ضربة لازب ومن  
الحكمة لان ان ابنت سيدي جرج لانيئة التي صحوت من الرقاد فوجدت لسان  
اللهب مندلعاً في غرفة الكتابة ملتهماً ما فيها دون ان ادرك علة الاحتراق

ولا جل انعام المحملة احرق اطاريق قيصو ولطخ يدي ورجليه بسوائل المبخرات  
فصد الايهام ان جسمه كاد يحترق ثم خرج من محل لهيب اضروته يد مكررة ونظ  
غرفة جرج وهو يصيح باعلى صوته : النار ! النار ! .. احتترقت الغرفة ... خرب  
البيت ... النار ... النار ... بالويل والقصبة الناب ... سر ... ! ...  
فهب جرج من نومو مذعورا وبدر حسرة الطائر ونخطة البرق صار خارج  
غرفته سائلا أين النار . أين الحريق ؟

— النار في غرفة الكتابة . انظر الى يدي ورجلي فاني اوشكت بان احترق اذ  
قد حاولت اطفاءها وكاد الدخان يحترقني لو لم ابادر لفتح النافذة ... ولو لا ذلك  
لكنت وجدتني حريقا مائتا ! ...

وللمحال انصرفت افكار جرج لامر اوراقه المهمة التي كان تركها في خزانة المكتبة  
فقصده الدخول لكي يتشكها على انه اضطران يتوقف عن المسير عند أسكنة ( حبة )  
الباب نظرا لتنام الدخان وتكاثفه على ان الهواء الداخل من النافذة لطنة بعد  
هدأة من الليل فدخل جرج المسكين الغرفة فوجد مائدة الكتابة ساقطة على الارض  
لان النار كان قد لعبت بدعائها ثم نظر الى اوراقه فوجدان النار احرقها وغادرها  
رمادا وكانت السجوف قد احتترقت وبعض الاثاث ايضا فتمكن سميان من  
اطفائها

اما جرج فكان يتنفس بذلك الرماد ويطل الفكرة باوراقه الثمينة العزيزة  
التي اكلتها النار ثم اخذ ينظر بهمة وبسرة على غير هدى كأنما قد اصابت عقله من  
السم ثم ظهرت على وجهه صورة الاضطراب والفيظ والاسف وشرح في ان  
ينفس ويبحث بين تلك الاوراق المحترقة كأنما هو يامل ان يجد مقالة سالمة من مسيس  
الليهب ولما قط من الفوز والتجمل لة الحقيقة الموجبة الاسف والحزن اتعصب واقفا  
وسأل الخادم بصوت مهذج قائلا :

— كيف حدث هذا الاحتراق ؟

— لا اعلم يا مولاي ... بل انت اعلم مني ... لانني اطنأت القنديلين فيما اعلم  
وخففت الذبالة ( القتيلة ) ثم قصدت غرفتي لانام ... وما يدور في خلدي ان  
ذبالة القنديل لم تنطفي وان شعلتها اتصلت بالبتروول فاستد الليهب من القنديل  
الى الطاولة ومنها الى الاوراق واثاث الغرفة . واحمد الله ان الحريق لم يلف الآ  
بعض السجوف ومحفظة الاوراق وما اظن انها تحوي اوراقا مهمة وان كان فيها

سندات فعليك برفع الامر للحكومة السنية صيانة لحقوقك  
فكان كلام سمعان بالهجة التهمك والازدراء وكان كانه الصواعق تتحدر على رأس  
جرج الذي ذكر حينئذ كلام فريدة وما نهته اليه بشأن تفاوضها بالخدام وتطيرها  
منه فنار غضبه ونفض نابضة ثم دنى من سمعان وقبض على عنقه وقال له بصوت  
مهدج :

— انت ... انت ايها الشرير ... انت تصدت ايقاع الاذى لي ... انت  
كنت السبب ... اخبرني ... اطلعني على جلية الامر ...  
اما سمعان فلم يطق يثبت شفة بل بهضم المرح وتبلى هيئة الاكسار وانت تعلم  
انه اذل من نعل واصبر على الهوان من وقد طامن من الهانة . فكان ذلك باعثاً  
لاطفاء نار غضب الطبيب وأزعج مخيمه قلبه بهيئة انه ندم لما انه سلم قياده لسلطان  
المحنة فالتفتي عن سمعان الذي قال له :

— ارى مولاي يحيى الي فاني اثم اقترفت واني ذنب ارتكبت . — يزعم  
سيدي اني تعدت ان احرق المائدة وما عليها فاني فائدة لي من ذلك . ان كان  
من غرضي السرقة والاغتيال فاندلاع لسان اللهب لايتليني اميتي ولا يوصلني الى  
هذه النتيجة ... فلم يجهج جرج بشيء بل بدت على ملاحه سياه الدامة والمخيل  
لان ظاهر كلامه يشبه الحقيقة فانسح مجال المثال لسمعان وخاطب سيده بقوله :

— يصح لي سيدي ان ابرهن له ان الواقع لم يقع عن عماون مني ... لانني  
اطفأت المصباح قبل رفاذي وبهدد الحق انني لا ادري كيف ان البترول قد  
التهب ... ولما رأيت النار مضطربة بادرت لاطفائها بمنتي السرعة حتى انني كدت  
احترق واثار ذلك ظاهرة بينة على يدي ورجلي وقميصي فليظن مولاي اليها .  
ثم انه قدم يديه نحو جرج وراه اطاريق ثوبه والقاري الكرم يعلم ان  
النار لم تمس سمعان ولم يأذها على ان تلك كانت منه مصانة شنيعة وحيلة  
ذميمة ...

اما جرج فلم يتنبه لكلمات الخدام وحركاته بل كان يشغل امره مفكراً بتدبير  
يعرضه ما فقد

ومعلوم ان جرج كان ذا حجة عالية واقدام نادر المثل وله اضطلاع ونفاذ  
تقف عندهما الانعام فلم ينصرف عن حاجته بالقنوط الا برهة وجيزة من الزمن ثم  
انه انتصب وانقاد وبدت على محياه سياه الحمجاعة واكدت اقدام وملاح الجلادة والقوة

والصبر على الامور الخطيرة فدخل غرفته وفضل رأسه ووضع يده بارد وليس ثيابه وبعد ذلك دخل غرفة الكتابة وجلس على كرسية تجاه المائدة وأخذ يحصر بها يجب عليه فعله

ثم انه جمع كل قواه المعاقلة وتصوراته الماضية وشرع يمرر المقالة ثانياً بهمة متجددة ونشاط لا يعرف المال وذلك دون الالتجاء الى اللوائح والمفكرات القديمة لان جميعها اصبحت طعناً للنار على ما مرّ بك وكان جرح قد عقد النية على ان يبذل نعمة ويجود بجهاته بقية ادراك الوطن واسترجاع المجد والشرف باعادة تأليف تلك المقالة وفي كثير أكتشافه وشرع اجتهاده المتوقف عليها فوزه وحظه من الدنيا ولما رأى سمعان على تلك الحال ادرك مقصده وأراد ان يجادهه بدوامه وبماذته بجمله فدخل غرفة الكتابة وقال له :

— هل لمولاي حاجة فاقضها له ؟

فاجابه جرح بصوت يشف عن الغلظت والرقه

— لا بل ارجب اليك في ان ترصد الباب فانما اليوم في عزلة عن مطابقة الزائرين ومحاضرتهم وان وفد احد يسأل عني عليك ان تجيب اني خارج اليوم  
— وكذا لو انت السيدة الفتاة التي اقبلت عليك امس . . .

فاسلك جرح عن الجواب قليلاً وبعد ان فكر برهه قال لسمعان بلهجة تشبه الى انه تغلب على عواطف النفس وساد على هواها

— اجل ان اقبلت السيدة فقل لها اني لست بها . . . ولكن عليك ان تستقبلها بما يمكن من مظاهر الوفاق والاحترام ولا تنس ان تقول لها اني مساء النهار اوزور شقيتها وبهذه الاشارة غش عن الاسباب وفي تدبير مقصدي وتهم مغزاي

— كن ساكن المخاطر مطمين النفس انني متم ما امرت به بمقتضى الدقة

قال هذا ثم خرج من الغرفة واغلق الباب واتعمد وهو يتم ويقول كأنما هو يخاطب سيده : « أكتب أكتب . . . اشغل . . . اجل . . . جده ما تلب . . . هيات . . . فقد فات المحن وأمرك امر لا يرمى فتفه ولا يرمى كله »

وكان الليل قد اجفل وأقلم والنهر اجسم واقتصر والصبح فضحك وسطع وكان لون الافق وردياً يبهج الناظر ويدمى النفس ثم ان الغزالة برزت من حجابها وكشفت جابجها فبددت جيوش الظلام بسهامها الذهبية واشعاعها المنيرة

اما جرج فكان ذاملاً اذ ذاك عن جمال الطليعة منكباً على عمله ولم يدرك ان  
النهار قد منع وتلع بدليل ان الشمعة التي كانت امامه ظلت موقدة ومع ان غرفته  
كانت قائمة على مقربة من الدبيل العموي لم ينتبه لحركة الناس والفاطم  
وبقي جرج يشغل الوقت يمر ولا يذهب بصبر وثبات بل كانت قواه تجدد  
ويخلق فيه حب المجد والشرف همه واقداما لا يؤثر فيها العناء والملل . وقد كان  
رأد الضحى من اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار ويذكر القاري ان في مثل  
ذلك اليوم من العام المنقضي على هذه الحادثة كان جرج قد اخذ على نفسه  
عهداً انه يتحجر ان لم يزل المرام ولذلك كان يبذل ما في الوسع قصد انجاز  
مقاله قبل اقبال المصفر ولما اذنت الماخرة فرح سمعان باب الغرفة فلم ينتبه الطيب  
لاول مرة ثم كرر الخادم ما فعل فذعر جرج كأنما هو في منام . وايقظه احد مياخنة  
لا انه كان قد مرّ به زهاق ١٠ ساعات وهو يندح زناد الفكر منقطع الى الكتابة لا  
يقفه ولا يفقه شيئاً غير موضوع مقالته ولما فرغ سمعان الباب مراراً انتبه جرج تمام  
الانتباه ثم قال والعجبة حليفة العجبة

— ادخل

فدخل الخادم اما جرج فقال له زاجراً

— الم احظر الدخول الى هذه الغرفة او ما اهتمت اني لا ارجب في ان يؤخرني

احدهن علي

— ولكن ليعلم سيدي ان الشمس قد استوت في كبد السماء وقاربت الظهيرة

— وسبأ الغضب ظاهرة على عيائه — او ما يهمني ذلك

— فتلون سمعان واجاب بتدلل ناشئ عن التصنع والمآكرة

— لا يهيك ذلك البتة . او ليس لسيدي حاجة لنفسها له على الراس ثم

العبث

— لا اريد شيئاً

— او احضر لسيدي ما كلاً ؟

— قلت لك اني لا اريد شيئاً

وكان سمعان حال دخوله حاملاً يده رزماً وتحارير اني بها البريد باسم

سيده فقل له

— او ما يشاء سيدي ان يطلع على هذه المجرائد والتحارير

— هات

واخذ تلك الاشياء من يده ووضعها على المائدة امامه دون اكتراث واسرع  
بصرف الخادم من غرفته فخرج سمعان من غرفة الكتابة وكان  
كأنه يراقش كل او فـ لونه يتجلى

ولم يضر المديد من الحبس حتى اتمك جرج الكد والذهب واضنكه الاعياء  
والعصب واستولى عليه الكلال فتدكت بنائه القلم واتصب واقفا ثم فتح احدى النوافذ  
فصد ان يستنشق الهواء النقي ثم شرع يمشى في الغرفة وهو ينفخ بخاريره ويلقي على  
كل منها نظرة ويخاف ان على تلك الحال عشرين تلك البخار على نشرة مطبوعة وفي  
معنونة باسمه وبين اوراقها تحرير ما امره الظر عليه حتى تغيرت الوانه وفلا وجهه الاصفرار  
واخذ منه القلق والاضطراب كل ما أخذ ولكن لا يذهب صدر القاري الكريم بنوح  
مال ذلك التحرير وما كان فيه من الامور المؤثرة بنواد جرج رأينا ان نرسمه هنا  
بحروفه فيعلم القاري مركز جرج المخرج وهذه صورته :

« اطال الله بقاء الزميل الكريم الدكتور ... وادام نفعه »

« اما بعد فاني مرسل اليك مع هذا التحرير كراسا يحوي البيان الشافي على فوائد  
طبية وفني الله للاكتشاف عليها بعد ان طابت الكد والصب في سبيل الوصول  
لمعرفتها ومارست الاختبار والتجارب المختلفة في تحقيقها وتبينها وهذا الاكتشاف  
انما هو نتيجة بحني في « منظريات ( ميكروب ) السل وفي الذرائع الواقية والادوية  
الشافية مة ... »

« ولا غرو ان تحوز هذه المقالة رضى واستحسان مريدي فن الطلب لان الاكتشاف  
جديد والبحث جليل والمرض عظام قد ضاق الاطباء في سبيل المدواة منه  
ذرفا فلا بدع اذا ما كان لاكتشافى هذا وقع خطره »

« ولذلك رأيت بداءة ذي يده ان اقدمه لزملاي الاطباء الافاضل راجيا ابداء  
رأيهم فيه ولعلني اذا سحنت الفرصة ووافقت الظروف اجعل هذه المقالة مقدمة  
او تمهيدا لتأليف واسع انشئت بهذا الشأن »

وفي الختام ارجو الزميل الفاضل قبول عبارة شكري وعاطفة امتناني

الداعي

من بيروت في ٢٥ ايار ١٩٠٠ غ . سنة ١٣٢٠

الدكتور سليمان

وما اتم جرج مطالعة التحرير المذكور حتى سنط في يده واستولى عليه الدهش

فضل كالمزول به والمكسور في ذرعه وقد تعاقبت الألوان المختلفة في وجهه وانقلبت هيئته وتغير شكله بقوة المؤثرات وشدة الانفعالات ولو نظر اليه اخضر معارفه في تلك الاونة لما عرف انه جرج الياوي وقد وقع له هذا الواقع فحدث ذلك الانقلاب السريع بهرعة لا تتجاوز الدقيقتين اي ربنا قراء الرسالة التي سقى ذكرها ثم نظر الى ما حوله على غير اعتناء ورفع يده المرتجفة الملتصقة بنار حتى شديدة الى جيبه فكانت ممدى بالعرق البارد ثم شخص بصره نائماً الى التحرير وراجع قراءته مكرراً كل عبارة وظن بهرعة انه في منام او ان به عقله من السحر ثم صاح وكان الحزن كل ضغمة وتلك الحال قد هدته واكسفت باله واضربت قلبه : افي منام اما .. ام تجل لي اللعنة .. او ما ارى ؟ ..

ثم انه ترك الرسالة على المائدة وشرع يبحث على الكراس الحكيم عنه بين الجوامد فعثر عليه وكان مولهماً من ست شعاع ليس غير وهو بذات العنوان الذي كان وضعه جرج لمقاله اي :

« منطريات ( مكروب ) المل وطريقة ملاشاهيا »

ثم اخذ مطالعة ذلك الكراس فكان حاوياً ذات البيان ونفس الادلة التي وقف عليها جرج بعد الدرس الطويل والاخبار وما اتم مطالعته حتى استولت عليه شدة الاضطراب وقتل له ان الارض خسفت به وهبطت على راسه العاد باجرامها فتهتد الما وحزياً وكان يصعد النفس من اعماق صدره اسفاً لحبيبة آمال كان موشكاً ان يجفها وانصرافه بالأس عن حاجة كانت قارب التويز بها . سعى وراء المجد فكيف وجد وصعد في اعضاد جبلو الباذخ بخرط القناد قاصداً ان يتسنى على وهرة سبلو ولما قارب ذروته وبماؤه دفعة يد المحدثان الى الورد فسقط الى اعماق واديه وكان سقوطه عظيماً

وبعلم الناقد البصير ان ذلك الكراس لم يكن غير نسخة ثانية نقلت عن مقاله بمعنى انه حين فرغ من مطالعته ظن ان الكراس ينحصر وان احد المهين طبعه على تقوى رغبة في افادة العموم على ان هذا الوم قد زال وتبدت لديه تلك الحقيقة المزعزعة بنامها وكالما اذ رأى الكراس مذيلاً باسم « المذكور سليمان » بدلاً من اسم « الدكتور جرج الياوي »

ثم قال بنفسه بالله هل يتفق ان اثنين يسميان وراء اكتشاف واحد في آن واحد ويتبعان مبداء واحداً ويجريان التجارب نفسها ان في هذا عجباً !

وقد عظم الامر على جرج ومضه ونكاه وكره واشجاء وآلم قلبه وإضافى ذرعه وأثر في صحة جسمه وإصابه دوران وكان يرى ماحوله في حركة واحتزار مستعرجين ومثل له ان دخانا يتصاعد امامه وشعر بانقباض في صدره فنهض للحال وفتح احدى نوافذ الغرفة قصد ان يتنفس الهواء النقي ثم شرع في ان يمشي في الغرفة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا على غير هدى ولما ادرك انه باضطراب شديد نقر على جرس كان لديه استدعاء الخادم على ان سماعا لم يبل اليه فخرج جرج من المكتبة باحفا عليه طالبا له . بيد انه لم يجد في غرفة من الغرف ولا في الدار ولا في الجبينة كعبه وجد على احدى الموائد كتابة بخط يد سماعا يقول فيها انه عدل عن الخدمة لما ان سيدة اتزل به الامانة والامتنان على حين لم يات متكررا بموجب التفويض والتعقيب

ولم يضر مرة على جرج حتى نثره حتى شديدة نلمات عن الكدر والاستعباد والتفريط والامتناع حتى ظل لا يبي شيئا على التفریب فابتطح على سريره مرددا كلمات لم يفهم منها غير هذه : « الله اكبر . . . . . مسا هذا الاتاق ! بالهبة وباللبلاء . . . . »

وقد استمرت عليه نوبة المحن زمنا مدينا حتى تجوزت جسمه وصار يتكلم بغير معقول وكان في هذيانه يكرر اسم فريدة ويذكر الخامس والعشرين من ايار وهو موعد اللقاء . ثم كان يردد كلمات تدور الى اسفه لفقد العز المتطهر والمجد الذي سعى وراءه والهاء الذي كانت نفسه تشوق اليه وكان يردد احيانا هذه الالفاظ « من هذا الدكتور سليمان الذي سبقي لهذا الاكتشاف » وكان والعله تعدة يذكر اسم والده وشقيقه ثم يصيح باعلى صوته : فريدة ! فريدة ! ... فريدة ! . . . ثم انه كان يذكر ايضا اسم الدكتور سليمان على انه كان يهدي اذ ذاك ملاجح الامتناع والحزن . وكان من وقت الى اخر يردد الالفاظ العهد الذي كان كتيبة على نفسه الا وهو « اليوم في الخامس والعشرين من شهر ايار شئت نفسي المحورة ووضعت حدا لا ياتي » كل ذلك كان يكرره في خلال هذيانه المسبب عن الداء وما فارقت المحن حتى استولى عليه سبات شديد من جراء ما جاني من التصب والتعب والمثابة على العمل ساهرا على ان ذلك النوم لم يكسبه الراحة والقوة لما ان الهواجس كانت تزعج دماغه وكانت تترأى له الاحلام الخفية وتتمثل لدى عقله الصور الزعجة وتترقته الذاكرة ضروب الحوادث المؤثرة المكثرة . ثم انه كان يستغني لحظة واذا كان يرى



جسمه عجيباً هزيراً كان يدمع ثم هتف قائلاً : « اواه افي اموت ولا انظر الى فريضة  
نظرة الوداع ! »



ولما كان الماء فتح باب غرفته ودخلت امرأة على وجهها نقاب على الزبي  
التركي وكانت تلك المرأة فريدة اقبلت زائرة جرج قياماً بالهد الذي يذكره  
القارىء واذا وجدت سائر الابواب غير مغلقة تعجبت وقرعت باب القاعة فلم  
يقبل اليها احد لم يمد يدها فلم يكن لنداها مجيب فقلقت ثم دخلت الدار ونظرت بينة  
ويسرق فلم تر احدًا ثم تقدمت نحو مخدع جرج واذا بلغت باب سمعت جرج يتكلم فادركت  
انه هناك وعندما فرت على الباب باصبعها اشارة الى انه مستاذن بالدخول فلم  
يلبّ احد نداها ثم اصغى قليلاً فسمعت صوت جرج على ان كلامه كان غير  
مفهوم وهو يدل على الضعف وتثويش الذهن فاشتقت من ان يكون قد وقع  
له واقع فدخلت الغرفة ولم تتقدم خطوات قليلة حتى وقفت منذلة مذعورة اذ وجدت  
جرج على فراشه ووجهه مكشراً تلوح عليه سياه الانزعاج والضنك وشدة التأثير  
فبسطت يداها وهتفت : يا لله ما حدث وما جرى ! ...

ثم دنت من السرير واصغى بغية ان تدبر مقالة فلم تسمح منه الا كلمات غير  
معنوية كان يأتي في خلالها على ذكر اسمها واسم اخيها مراد بك وتاريخ ٢٥ ايار فاست  
من ذلك ان جرج قط من العوز بالغاية التي كان يروم وان الحمى والاضطراب  
المستوفيين عليه انما هما نتيجة ذلك على ان تعجيبها بلغ مبلغاً عظيماً لما انها لدى مقابلتها  
جرج بالامس رأت منه انه واثق بالفلاح وعلى يقين من النجاح بتحقيق الامال ثم  
سقط في يدها وكسرت ذراعها اذ وجده عجيباً هزيراً فاكل الحمى لحبه وهو  
يتقلب على فراش الازواج بعد اذ كان بالامس في معظم النشاط والقوة يسير في  
عروقه دم الشباب وبهجة امال الاقبال وسجاء البشر والاس ظاهرة عليه وماء الصحة  
والعافية يتدفق من وجنته واذا مرت هذه الافكار بحاطرها است ان في الامر سرّاً لم  
تدرك كنهه لكنها انست من كلماته غير المعنوية انه في منتهى اليأس وشدة الكدر من  
جراح خيبته وانه ان لم تداركه رحمة الله فهو هالك لا محالة فتنبست الصعداء واصعدت  
التهنيدات وقالت بنفسها اني لا حرص على حفظ حياته حرص الامر على البين والشقيقة  
على الشقيق وان اخفنت في المطلب واكدت في الحاجة اعد الى الانتحار فاموت معه

ثم نادته : جرج ... جرج استعنى !

على أن جرج لم يجيبها وظلت عنده مغضبتين وعادته الحمى والهذيان فكررت القول : جرج ... حبيبي ما وقع لك ... لم أراك قاتلاً خاضعاً لسطوة المم والم ... حبيبي عد الى روعك !

فانفتحت عينه يداً له لم يميز من كانت تكله فقالت له : حبيبي ألم تدرك من أنا ... انى فريدة ... فريدة خطيتك ...

ولكن جرج ظل في الجحيم وكانت عنده شخصتين تحاكبان عيني من به من وكانت حداثته مصمتين كأنما هو ناظر الى اشباح مخيفة فاشفت الفتاة من أن يكون قد ألم به جمة او عقلة من السحر وادركت للحال انه يجب استدعاء الطبيب للاعتناء بامر مدوائه ولما لم تجد لديها احد من الناس شخصت الى قصرها وكان ذلك بقدر خطئة الرق وارتداد الطرف ولدى وصولها انبأت اخاها (مراد بك) بما كان من امر جرج ولم يضر المبدى من المحن حتى اقبلت واخوها والطبيب على منزل جرج البناوي واذا دخلوا غرفته وجدوه في صالبيه من حماء فنهض من سريره على غير هدى وساروا الى خزائنه واخذ منها غدارة مسدنة وصوبها نحو رأسه كأنما هو يود الانتحار فسارعت فريدة اليه وبمساعدة الطبيب تمكنت من تزع تلك الآلة المريعة من يده ثم التفت الطبيب على الفرائش وشرع بفحص حالة الداء ينتهى الدقة والانتباه فقرر أخيراً أن جرج مصاب بالتهاب في الدماغ ناسي عن شدة الانفعالات وإن تلك علة ناهكة بجنى من أن تذهب بحياة العليل وقال انه لا مريض ضروري حسن القيام عليه في مرضه والتكفل بمدوائه وحظر خصوصاً ان يبقى المريض ولو برهة منفرداً في غرفته مخافة أن يقرر اهان ثورة الحمى ثم انه وصف ما يقتضي من العلاج وأشار الى الذرائع الصحية التي يجب اتخاذها وانصرف

وكانت فريدة قصت على شقيقها مراد بك سائر ما عرفته من امر جرج وانبأ أنه احد الورثة وأنه قد فاز بالغاية العليا والمنتهى التصوى مما كان قد شرع به وانما لا تعلم بعيد ذلك ما اصابه الى حالة التلويح واليأس

وكان لمراد بك تمام الثقة بشقيقته فريدة ولم ينكر ولم يحظر عليها التكفل بمدوائه وكان بطأن الى جرج ويكرن اليه ويثق بمبادته القوية وهمة نفسه حتى انه استجاب لمنس فريدة بان نقل جرج الى قصره وعهد الى الشقيقتين بالقيام عليه في مرضه فصرفتا مزيد العناية في تمريره وتكثرتا مدوائه ولم يغفل مراد بك عن

ان يدعو شقيق جرج اندراوس الذي كان اواخيه قد ابلّ وعوفي من طفه .  
ولم يضر ردى من الحزن حتى وهنت الحصى وانخفضت . وما كان قد اوجب مرة  
مراد بك توفيقه بهذه الذريعة الى معرفة سائر «ورثة التركة»

ولما استفاق جرج من غيبوبة الحصى فتح عينيه فوجد فريفة على مقربة من سريره  
فمن اندراوس ومراد بك والجميع يعمون له وعلى بحيام ملاح البشر والانس  
اما فريفة فكانت مهزولة ضامرة ن شدة التعب والصب اذ انها كانت هجرت  
النظام منقطعة الى خدمة عبيها متغاية في سبل مداواته ولذلك كان قد اتيها  
العناء والعناء (في التيام على المريض) ثم من الداء

اما فاطمة فكانت متفرقة في احدى زوايا الغرفة وعلى وجهها نقابها العادي  
لا يظهر من خلاله غير عينيها . فنظر جرج الى جميعهم وهشّ وبش ذاكراً كلاً منهم  
وعلى اثر ذلك مرت بمخاطرة ذكرى ما وقع له من امر اكتشافه العالي فالتدّص صدره  
وبعد ملاح الباس واللتواط على وجهه

اما مراد بك وفريفة فقد أكثرا من تسليو وتطبيب خاطره حتى اجازا غصنة  
ولسأ كريمة فتناسى الامر ما امكن واخذ في التثني ولم يعد الامد حتى الى وعوفي  
بعون الله تعالى

على انه ما كاد يبلّ من الداء حتى نزلت به لازلة عظيمة ومصاب لا يدفع  
وذلك ان فريفة نقطة اماله . . . فريفة موضوع رجاءه . . . فريفة التي ركب في  
سبل الحصول عليها اعظم المخاطر . . . فريفة التي تحبه . . . والتي اقامت على  
مرضه فبقي يتناهل اعتنائها بعد معونة الله قد اتيها التعب واخضاعها المهرودس  
يريد عرضها عليه بنية قوما وصرعها الومن على مهاد الاوجاع واصابها حتى  
تفؤدية شهيدة اندرت بالمخطر المين وبالويل الذي لا يدفع

وقد دأب جرج في مداواتها واستنفذ وسعة في التيام عليها في مرضها وصرف  
في الامر عنايه وحاول جهد استطاعته على انه لم يمتطع دفع الاذى وكبح  
سجاح الملة

واف كان يوماً واقفاً على مقربة من سريرها منظر القلب مضطرب اللب  
حائراً في امره اسفاً على ذبول زهرة عمره وليس في يده ان ينقذها بماه الحماة نظرت  
اليه فغار الحب واللغات وقالت له وكان ثغرها باسماً واعشاشوها ملهبة بضرام الداء  
والاحزان:

جرج يا حبيبي جرج . كن ساكن اروح آمن المال ... لا تحزن ولا تكتشب .  
اذكر ما ادايتني به فاطمة ونقلك اليك منذ امد ... نامل ... قد  
صدقت شقيقتي حيث قالت اني ساصاب بمرض شديد ... ولكن لا يستطرك  
لان فاطمة لم نقل اني ساموت على اثر الداء

فاجابها وكادت روحة نارق جسده حركا واسفا ولفة وحنانا وثائرا واشفاقا .  
او تموتين ! ... لا اصدق ذلك مطلقا ... بل ذلك لا يكون آت فريدتي  
تموتين بعد اذا احتملت المصائب الهبة والمصائب الكثيرة تفانيا في خدمة الاسانية ...  
تموتين وانت في ربيع الحياة بل انت زهرها ... كلا ... ان الله يحب من كان  
رحوما شوقا نزيها شغيفا فهو لا يعد عا رحمة وهو ينظرنا الينا بعرف الشفقة  
والحنان وهو يمينه علينا قريبا بصحك وعافيتك والله لا ينجب من يضرع اليه

اما فريدة فلم تجبه بل اصعدت تهديت عميقة وامالت بوجهها عدا لان الدموع  
امهلت من عينيها وكانت تود الا تريه احزانها لانها كانت طالمة ببس المصير ولم  
تأت على ما مر من الحديث الا قصد تخفيف الامر وتأخير احزانها الى ان يارف  
الترحال .

فانظر فواد جرج لانه ادرك ما قصدت واحس بما احست به وكان عارفا  
من حيث انه طيب ان لا رجاء ببقاء حياة فريدة على انه مع كل ذلك قد  
استدعى اشهر الاطباء ومهرة المعلى الخذاق رجاء دفع الاذى الملم على انهم ضاقوا  
ذرا وعانوا آخريا والقول موجب للاسف « ان لا امل بالحياة ! ... »

وقد بقيت بومين على اثر ذلك تندفع عليها جيوش المون وهي تدفعها بما لديها  
من دم الصبا وقوة الثناء على ان العلة تمكنت منها انها تمكّن وذعبت بما بقي فيها  
من عناصر الحوة فان في الاحتضار ناهب لوداع اهلها وانما ربهها ولا يستطيع  
القلر وصف ما حلّ بتلك العائلة الثمينة يوم ثبت لديها ان زهرها الفريدة قريبة  
من الذبول وشمسها المنيرة سريعة الانفول فكان كل فرد من افرادها يبش بالبكاء  
سرا وجهرا . وبرى حاو الوجود عاتيا مرا . اما في فترات في احتضارها كما كانت في  
معظم فناءها وقوتها معتصة بالصبر والنيات لا ياخذها الخوف والياس بل كانت  
بانسائها المستمر وكماها اللطيفة تدلي شوم ذوبها وتبلي كروب محبتها ومريدتها  
آملة ان تجز غصنهم وتنس كربتهم وما كان عملها نذا الا ليزيد حنانا اليها  
وحزا عليها فكانوا ينظرون اليها والدمع ملء العيون ظرة وداع اخير ليس بعده

لقاء . في عالم الشقاء

وكانت فاطمة قائمة فجاه شقيقتها . وفي كالحيال لان حمرة المحزن كانت تناكل لحمها وغصة الفراق تخنّون جسمها حتى غادرتها هزيلة عجيبة وكان اخوها مراد بك واقفاً فجاه احدى نوافذ الغرفة تندفع الدموع من عينيه . اما جرج فكان فاقد الرشد بود البكاء بغية ان يميز غصته بيد ان الدموع كانت تغويه وكان اندراوس ايضاً في تلك الغرفة يقاسم العائلة الاحزان والاهنام فاشارت فريدة الى الجميع بلطفه وابتهام ان يتركوها في الغرفة برهة مع فاطمة فاجابوا سوماً ولما صارت الشقيقتان على انفراد دسّت فاطمة من سرير فريدة واحالت عن وجهها الثقاب وجلست على مقربة منها وامسكت على ما في نفسها من المحزن والكآبة وتبسّمت بوجه شقيقتها قصدان تشدد عزائمها وتقوي قلبها وتوهما ان لا خوف عليهما من المنون فتدبرت فريدة مراد شقيقتها وهزت برأسها اشارة الى انها عالة بالمصير ثم قالت لها بلهجة تشف عن المحزن والاسف والاضطراب : يا شقيقتي الحبيبة لا تخاولي اتساعي بالهال . . . انا اعلم اني اموت عما قليل . . . . ساموت يا شقيقتي الحبيبة وبالعواد غصص وحسرات . . اموت على حين ابتدأت ان ارى العيش رغيداً والعمر عشيياً . . . اموت كثيرة القلب خاشعة الطرف لما ارى من شدة حزنكم وشجوكم على . . . . . اموت حزينة لما اني ارى شقيتي كاسف البال واراك انت يا فاطمة تجهشين بالبكاء . . . . . اموت منكسة البصر منفضة الرجاء من حيث ان ذاك ( ارادت جرج ) يستوجب الشفقة . . . . . ذاك الذي لم يجيب له المحبوبة الا امله انت نعيش معاً . . . ذاك الذي جعلت روحي فداء وسعادتي وقف اشارته . . . . . بشاؤ رمت ان اكلك . . . اجل بشأن جرج البف مودني . . . . فاما نحن سلبا وفاء ورضيماً صفاء واخلاق حب وطيناً لب . . . اوده ان احاطبك بشأن جرج من امة فوادى ولهذا رغبت في ان نجتمع على انفراد واحب ان يبقى ما ساقوله لك ضمن صدرك لان على اني اعهد اليك ان تبلي شقيتي مراد بعمد ماتي وصيتي الاخيرة وهو لعل بفتضاها لانها ارادة من تكون قد اخضت في عالم الاموات

وهنا احسّت فريدة ان التأثير قد اوھتها فامسكت عن الكلام برهة حرصاً على ما بقي من قواها المحبوبة ثم اغضت عينها قصد ان تجمع كل تصوراتها فهلكت فاطمة وظننت لاول وهلة ان شقيقتها قد قبضت فانهلكت عبراتها وكادت ان تصيح الويل على ان فريدة فحّت عينها وقالت لشقيقتها متبسمه ابتسام المودعين : « لم يدس المحزن ايها المحبوبة

وأظن ان لي من هذه الحيرة بضع دقائق احب ان تصني لكلامي بانتمائها . . . حبيتي  
 اقترني في واجهلي اذنك على مقربة من في كما اتكم بصوت متعذر وهذه الوسيلة  
 لانتدقواي بسرعة فأنكن من تمتد كلامي . . . استودعك الله يا فاطمة الحيرة . . .  
 عزري شفقنا ونولي له انه لم يمت في سوى جزء فانك انت باقية لديه ونحن فيما  
 تعلمون اشبه ببعضنا من الماء بالماء حتى انه كثيراً ما كان يظن فريدة فاطمة  
 وفاطمة فريدة فليصور منذ الان كلياً في جسم واحد . . . في جسمك يا مهيبي . . .  
 عزري جرج . . . (وها ممدج صوته بالبكاء) — قلت : ونحن ندفع لدى كتابة هذه  
 السطور — . . . ) اعهد اليك برضائه فاسمعه لهجته وكلمة الاصطاف رقي عليه  
 بما اعهد فيك من الظهور والصف وكوني بعد ان اموت احق الناس ضلوعاً  
 عليه . . . — يا شقيتي الحبيبة عاهدني انك تقومين بما تتوطين به من اليهود ساعة  
 الفراق هذه

— اعاهدك يا حبيتي وسأوفي بعهدي لله (فمد ذلك ثم اطرت دموع فاطمة)  
 وقالت لها فريدة

حبيتي . عندما ابرح من الدنيا وبعد ما تمر على جرج ايام الاحزان الاولى او  
 ان ترفي القباب عن وجهك كلما قابلته وعندما يعلم شقيقي ان هذه ارادتي لا يعارضك .  
 فاطمة ستترفعين هذا القباب وتبدلين في نظر جرج على ما انت اعني بصورة تشابه  
 صورتني فيظن لاول وهلة ان فريدة قد اتبعتم ومع الزمان سيجل كما احبني وبعبارة  
 اخرى يا شقيتي العزيزة سيجلنا في شغلك . . . ولا اري ذريعة غير هذه  
 لانقاذ حياتي . . . ومؤكد لدى انه لا يصبر على الحيرة ان لم تنجلي كما اشرت —  
 اقسمي لي انك ستحفظين وصيتي

فاجهشت فاطمة بالبكاء واجابها بصوت ممدج :

— سأفعل قماً بك

— حبيتي لا تكثري من ذرف الدموع . . . انا لا اتعذب كما تتصورين بل  
 موت كمن ينام نوماً ثقيلاً . . . . التي يدك في يدي يا حزينتي

فتصافحت الشقيتان ثم ان فريدة قالت لفاطمة : انفري كيف ان الله جلنا  
 متشابهين خلقاً وخلقاً وبذلك اراد الله ان استمر حياة بك . . . . وبذلك ايضا  
 ستجبه لحوك حواطف الحب الاخوي المستغرق في فؤاد شقيقنا مراد . . . . ستحصلين  
 على نصبي من تلك المحبة منضجاً الي نصيبك فيضاعف حبه لك وكذلك سوف

يضطرب حبك في فؤاد جرج . . . اذ يرى فيك ثغر فريدة التي تكون قد نرحت  
عن الدنيا سهرى فيك مبسمها ووجهها وعينها وزهرها وقدها واشجتها وحركاتها -  
سهرى كل ذلك بشخصك وبجمال له ان فريدة المنكودة المحظ تعجب بك وتبش  
بشخصك . . . . . الوداع يا فاطمة . . . وداع لذاتي بك . . . الوداع الى شهد الزناء  
وما عهد اللقاء بالزمن البعيد . . . . . رجائي بك ان تستدعي اخي وجرج والجميع  
لاني اشعر الان انه لم يبق لي من المحبة سوى الزمن الثقيل . فاسرحت فاطمة  
تدعوم وباقل من طع الصراخ حول سرير المحضرة ككل من جرج و مراد  
واندراوس وفاطمة ومن وراءهم ازوب وسائر الخدم وكان الجميع متهمين لا يفوهون  
بينت شفة مطرقين ورووسهم مخفضة قصد اخفاء الدموع المخزنة التي كانت تندفع  
من عيونهم

اما جرج فكان يحاكي شجما متصبًا اذاء السرير شارد الفكر مضطرب الحواس  
فاقد الرشاد ثم دنى من السرير وقبض على يدها ورقب دثعات النبض فوجدما  
يداً بدء نادرة بطيئة ضعيفة ثم انتفضت تلك الضربات ولم يعد بيدها حبس ولا  
نبض . فجعل يده على القلب . . . . . على قلب تلك الفتاة الكريمة الذي يضطرب  
بجبه ويذوب من امله . . . . . فدأء بدء لم يشعر بحركة فيه على ان يد جرج  
الملقاة على نقطة عواطف فريدة قد اثرت بها تأثيراً شديداً فحنق قلبها اذ لمسته  
يد من تعجب وفتحت عينها ونظرت النظرة الاخيرة - نظرة الوداع - الى خطيبها  
وحاولت ان تنسم على انها لم تفو على ذلك اذ الساعة قد دنت . . . . . واحس جرج  
بارتجاج في ركبته فسقط جاثياً على السرير . . . . . فقالت فريدة . . . الوداع  
صبي . . . . . اني احبك يا جرج . . . لا تبك . . . لا تنح علي زماً طويلاً . . . .  
انا لا اترج عنكم ابداً . . . . . لكنني اعتزل منك . . . . . جرج لاتنس اني ساعود  
اليك قريباً

ثم انها رفعت يدها لتشير اليهم بالسلام الاخير على ان الموت لم يكتمها من نيل  
لك الامنية الاخيرة فسقطت تلك اليد وذبلت الازاهر وانقطع النسيم واثل البدر  
ترج اللطف ونفيت العواطف

ومامت فريدة !

## ❖ ٧ ❖

وعلى اثر تلك التاجمة اسلّ جرج من غرفة فريدة دون ان يتبه احد اليه اعظم ما احسب الجميع من الوجيل والحزن وسار مكتمراً الوجه ثابت الجأش نفي الضرة التي كانت قد اُصرت له في القصر ( وفي ذات الغرفة التي اقامت فيها عادة البناع حيناً من الدهر ) وهناك اسلّ خنجراً كان لديه وجلس على سريره وفصم عرى ثيابه . ثم شق قميصه . ويحك يده على موضع القلب وانفذ الخنجر فيه فانقلب على السرير يتضرج بدمائه الذي كان يندفق اندفاقاً وهو يقول : فريدة . . . فريدة . . . اني سائر في اثرك . . . فريدة لتتظرفني نفسك الكريمة في عالم الارواح . . . ان الروسة التي قد فاز بغرضه الذميم واستولى على غايوه الشريرة .

وكانت فاطمة وفي قرب جثة شقيقها تذكر وصيتها بالنظر الى جرج فارسلت النظر لتتف على ما صار اليه من الحال في اثر تلك التاجمة فلم تره بين الجمع وانفتحت من ان يكون قد ادرك القنوط والهاوس فاشارت الى اندراوس ان سر للحال وانذر ابن اخوك فاستطير اندراوس من كلامها وسار مسرعاً الى غرفة اخيه فدخلها دون استئذان . . . . . واذا رأى ذلك المشهد الم هول اجشش بالبكاء وصاح بالعويل فان جرج كان ملقياً على سريره لا حراك فيه كأنما هو ميت وكان الدم متجمّع ضمن الجرح لاسيل لانفجاره لما ان الخنجر كان لم يزل نافذاً في صدره وكانت يدها متشبّتين قابضتين على فاش السرير كأنما هو يريد تمزيقه وكانت عيناه مطبعتين كأنما هو لا يريد ان ينظر الى صورة بشرية بعد غروب صورة ( فريدة )

اما اندراوس فشرع ينادي باللصية وبالدليل مات اخي . . . قضى عليه . . . بالقوم اسعدونا . . . خذوا بيدي . . . بال الرحمة . . . فسمع صوته مراد وفاطمة والحضور واضطربوا من جراه ذلك الصوت وهرع الكل نحو الغرفة الا فاطمة التي ظلمت قرب سرير الفريدة اما مراد فاذا دخل غرفة جرج وجد اندراوس مغمياً عليه بجانب شقيقه وادرك الحال ان جرج اتصرف في اثر وفاة فريدة كرها منه ان يعيش بعدها ساعة فاضطرب مراد بك من جراه هذه المحوادث التي نزلت به على حين لم يكن يتوقع حدوثها واتقبض صدره وفقد لذة العيش على انه تجلد وتصبر بقوة ما انزل الله على قلبه من الحكمة والرزاة والتجلد وشرع يبحث فيما لو كان جرج لم يزل باقياً في قيد الحياة ولدى وضع يده على فم الجرح ادرك ان فيه بعض رمق وذلك لما ان الضربة التي طعن بها جرج



نفسه لم تصب القلب والآن كانت أدركته الوفاة على الأثر . وللحال استدعى أزوب الخادم وأمره أن يأتي بطبيب بما أمكن من السرعة وما كان قد دخل الصرح حتى أقبل الخادم مستعجلاً نفس الطبيب الذي وقف على مرض جرج عندما كان مصاباً بالحصى وإذا شاهده على تلك الحال أسف ثم قال ذلك ما كنت أختاه فهو لم يتغير إلا من جراء نوبة من الحصى أصابه في أثر الفاجعة التي نزلت به وللحال تقدم نحو الجرح ونزع المخبر من الصدر بمنتهى الدراية فأمهل الدم من الكلى بكثرة ثم قال : لو تأخرت دقيقة واحدة لكان قضى على هذا الإنسان وبعد إذ فحص الجرح قال للضور الناظرين إليه يزيد الاهتمام أحمد الله أنني لم أزل أعلق الأمل بشفائه فان الضربة لم تصب عضواً مهما . ثم أنه قصد الجرح ووصف ما يلزم من العلاج وأزال جرح اندراوس ومراد وخفف اضطرابهما وأملها بشفاء جرج بأذن الله تعالى ، ثم قال لها اني أؤكد لكما أن جرج سيبلى من مرضه أن لم تصبه نكسة والنكسة شر من الداء . ثم أنصرف عنها بعد إذ وعدهما أنه سيقبل عليهما عند المساء قصد عيادة العليل

ثم دخل مراد بك غرفة الفقيه حيث كانت فاطمة على مقربة من الجنة فسأله عن جرج يزيد الاهتمام أما مراد بك فنقل إليها كلام الطبيب معرباً لها أن الأمل بشفاء جرج عظيم فعندها لمحت فاطمة وأدنت شعيتها من وجنة شقيقها التي لا روح فيها . ثم قالت لها بأكية : أسمعيني يا فريدة أن جرج لا يموت والأمل بشفائه عظيم وعندها خال لفاطمة أن الجنة الباردة أدركت مآل كلامها وإن وجهها المكتمر قد تكلل بسياج الفرح والسرور

.....



وبعد أيام قليلة قد تحقق ظن الطبيب وأضح أن العليل قد نجا من الخطر المبين على أن وضعه كان عظيماً وكانت تأخذه نوب من الجحش كان يستفيق في خلالها بضع دقائق لا يتكلم بل ينظر على غير هدى إلى ما حوله وقد أحسن مراد بك واندراوس القيام عليه في مرضه وكانا يرقبان أنه متبع صورة كانت تتخلل أبداً أمام عينيه ويوماً ما بعد غروب الشمس استفاق جرج من الجحش فوجد ذاته في الغرفة وحده ونظراً لقلّة النور وضعفه الشديد لم تكن عيناه تبصران الأشياء بجملاً ولم يكن عقله بصور المراتب على ما هي وبينما كان على تلك الحال رأى أن باباً سرياً لغرفته

مجبوراً بحيث قد انتفع ودخل شج بشكل امرأة تقدمت نحوه دون ان يسمع لقدميها  
 حسيس اذ كانت تمر على طنافس الغرفة اما هو فلم يكن يهزها قليلاً نظراً للأسباب  
 التي ذكرنا فتقدمت نحوه السرير وعند ذلك تهد متناً كما كان يظهر ويا ولم يملكه الضعف  
 من استجابة الحقيقة . اما هي فمدت يدها نحوه صدره الى محل الجرح الذي كاد ان يبرأ  
 ففهم بان الامه كانت تخف وتزول على ان فولاده خفق بفتة وعاوده الجراح فاطبق  
 عينيه . ثم انه استفاق بعد برهة من الخن فلم ير احداً وظن انه كان في حلم فثلث  
 له فيه فريده اذ خال له انه رآها عائدة اليه بقدها وحركتها وطيبها وعرفها ولم يكن  
 قادراً على ان يجمع تصوراتها قليلاً

وبعد ذلك بايام نهض ليله من غيبوبته واذا كان يذكر بامرء رفع نظره بفتة ثم  
 صاح صوتاً عظيماً لانه شاهد ذلك الخيال واقفاً امامه ناظراً اليه وكان نور الصباح  
 منعكماً على تلك الصورة مظهرًا وحهاً يارج بياضه الاصفرار ثم ادرك جرج ان ذلك  
 الخيال كان امرأة منسربة بشعرٍ طويل اسود لامع وكانت عينها ساطعتين تكملها  
 اهدابٌ طويلة سوداء وكانت تنسم حزينه ناظرة اليه بعين التشنج والحنان اما هو فكان  
 ينظر اليها مندهشاً مندهلاً واذا كانت تصوراتها متشقة جعل يديه على جبهته قصد ان  
 يجمع قواه العاقلة ثم نظر اليها ثانية وتهد وقال بصوتٍ منخفض فريده ! فريده ! — أنت  
 هي ! . . . انت بالحقيقة فريده ! . . . ثم انه مد نحوه الفتاة يدًا مرتجفة ولكن ذلك المشهد  
 اثرٌ يو كثيراً لما كان عليه من الضعف الشديد فاستوى على السرير واستوى عليه الجراح  
 وبعد ساعات فتح عينيه ولم ير حواه غير اندراوس مكتئباً ومراد بك مضطرباً  
 لما رآياه من مزبد وهنه وضعفه اما هو فاحدق بنظره ونظر حوله لعله يرى تلك  
 الفتاة التي تراءت له لكنه لم يجد غير مراد واندراوس يبدلان نحوه كل هابط . وكان  
 يقول بنفسه لم أر منذ ساعة لاندراوس ولا مراداً بل نظرت فريده ! العلى كنت في  
 حلم ! وباله من حلم شيءٍ حبذا لو ارى مثل هذا الحلم كل يومٍ من حياتي

ومنذ ذلك اليوم كانت تشاقص النوب وقرر الطيب ان جرج اخذ في الله وان  
 شفائه يكون قريباً ان شاء الله تعالى وانه صار في غنى عن عيادة الطيب له ما لم تحدث  
 امور لم تكن في المحسبان

ولما كان صباح اليوم التالي استفاق جرج من الرقاد وكان الصباح بهجاً سطوت  
 فيه الشمس من وراء القمم اللبنانية بأشعة ذهبية طاردة خج الدجى وكان النسيم يبر  
 حاملاً عرف الرياض الزاهرة وطفحات من الطيور تغرد في حديقة النصر فهض جرج

وجلس على السرير وكانت المحوى قد تركته تماماً فأشار الى المحدم ازود ان يجمع احدى نوافذ الغرفة ففعل ثم انصرف لقضاء بعض المهام فاخذ جرج ان يثرالى المحديقة دون ان يمتنع بمآظرها لكنه كان يفكر بامر حزيناً ثم سمع حسس انداء في الغرفة فالتفت ثم شفق بصوت يدل على تعاقب الحزن والفرح بغنة ثم دأب ولا فريدة ! فريدة !

ثم جعل يديه على عينيه كأنها لم يحس ان يرى أو انه بود ان يتأكد انه في بقعة ثم رفع يده ونظر ثانياً وقال باند هاش : فريادة ! فريدة !

وكانت على مقربة منه ففأه متشحة بالواب تركب تحاكي اتواب فريدة يد ان الثقاب ( البشا ) لم يكن منسدلاً وكان الناظر الى وجهها يحسبها فريدة بالذات اذ انها لم تكن تختلف عنها بشيء الا ان ابتسامها لم يكن يشف عن سرور داخلي وبالرغم من بشاشتها ومباشرتها كانت سيما الحزن ظاهرة على عيائها تدبر الى سهم المصاب الذي كان نافذاً في فؤادها وقد دنت تلك الفناء من العابل وكلته بصوت مخفض قائلة : — جرج !

— فلما سمع جرج ذلك الصوت وتلك اللبنة ولدى مشاهدته ذلك الوجه خال له ان من كانت امامه انما هي فريدة خطيبته وانه في حلم تنذب فبني مدة شاحداً اليها فرمأ جديلاً ثم قال لها :

— فريدة حبيبي ... فريدة !

— جرج ! جرج !

فذهل جرج عند استماع هذه الالفاظ ثم قال بنفسه اني انظرها واسمع صويعها ... فهي فريدة بالذات ... تنظر الي وتخطبني ... يا للعجب ... ار كانت هذه فريدة فمن التي ماتت امامي وبين ذراعي ... اما اما الذي سمعت اخر ضربات قلبها ... او ما كان قلبها الذي سكن تحت يدي ... اما ان يديها بردتاً وما يرون يدي ... اجل ... اجل ... وباله من ذكرى توجب الاسف والامناض ... اما ... بذاتي ... رأيت عينيها الساحرتين الساطعتين تظفان وتغضان ... نعم نعم اما رأيت تلك البد اللطيفة تدبر الينا بالوداع الاخير ثم انها سقطت لاحراكها — اما كانت تلك التي رأيت يد فريدة وعيني فريدة ... اه ... نعم ... على ان البن اني الا ان يثير علي حرماً وينفذ في احناي سهام الاكدار فنجيبها بالموت من ذخري ونخطفها من بين يدي خطفاً

وعلى اثر هذه الابتكار اخذته قشعريرة وارترجاف في كل اعصابه لان رأسه الواهن لم يكن لينوى على احوال هذا الاندهاش تتعاقبه تلك الافكار والتصورات الموهنة فارادت فاطمة ان تتبعد عنه مخافة ان يورث وجودها تأثيراً مضرًا بصحة

فمنها جرج هاتنا نحوها متوسلاً فريدة ! فريدة ! لم تذهين ... اصدر مني ما يكدرك ... اجلسي ههنا على مقربة مني ... انا اعلم انك غير حية على املك خيال مبط من السماء لتعزيتي وتشديدي ورائي سعيداً لما انك اقبلت علي اقبال الهين المخلصين ... ليس في العالم من يحبك كما انا احبك ... احبك يا فريدة احبك كثيراً حتى اني سعبت وراء ان اموت في اترك ...

ثم انه قبض على يدها ... وقال : يا للعجب انت خيال ولست جسمًا حيا ومع ذلك فهذا لمسك ... هذه يدك ذاتها التي جعلتها مراراً بين يدي ... وهذا لحنك العزيز لديك ... الذي كان يزين اصبعك دائماً ... ما انت اذا خيالاً كما توهمت ... بل انت حية ترزقي اجبي ابها المحببة ... ما ارى ... امأثر دماغي من الحمى فارى غير الحقيقة ... اجل ان الحمى قد ذهبت بطوي المدركة وفي مثل فريدة امام عيني في كل حين ... يا هذه ... يا فريدة ... ان لم تكوني فريدة فلم انت نصين لكلامي وتظاهرين انك حي وتطربين للكلام الذي لا اقوله الا لها

اما فاطمة فارادت ثاباً ان تتبعد عنه مخافة ان يورث له وجودها ضرراً اما هي فوافقتها عن المسير قوله ... لا لا ... رجعتك الا تذهي ... ولئن كنت ضعيفاً فاني اماحي ... ولبطل منامي ... واكتفي لله امرك ولا تطلعيني على شرك

— وما قولك فيما لو اننا نك باسي ؟

— كلا لا اريد ذلك

— انما انا فريدة !

فاجاب وقد اخذته هزة الطرب والاندهاش

— فريدة !

ثم اغمض عينيه وقال : ما اغرب هذا المنام وما اشبه هذه الرؤيا ... بل انا في يقظة فحبف يتفق والحالة هذه ان اري فريدة ... ان فريدة قد قبضت ... وللميت لا يبعث حياً قبل القيامة

اجل مانت فريدة وانا على مواعها شاهد . يا للتحسروا للالاف اني نظرت على فراش المنون ... نظرت عينيها تقبضان ووجهها يكثر وانفاسها ... نعم لند مانت فريدة

— جرج تق بقولي ابي لم ازل حية

— او ما نقولين

— الم تذكر يا جرج ابي عاهدتك على ان اعود اليك او ما مبهك عن البكاء  
واباً نك ان غيائي لا تطول مدته واني على ما ترى منجرة موصدي ووعد الحردين  
— يا لله ان هذا كلام فريدة ! ...

— اجل وانا فريدة قد غارتك والان عدت اليك

فاسك جرج عن الكلام وطار له من جراه ما اصابه من التأثير وكانت حينها  
تخصان الى تلك الفتاة باندعاش متفرساً بها من راسها حتى قدميها قصد ان  
يرى فيها شيئاً يدلّه ان الفتاة غير فريدة لانه من جهة لم يكن قادراً على التصديق  
ان الاموات يعيشون ومن جهة اخرى ان هيبته وملاحمها وقدها وصوتها ولهجتها والفاظها  
وملابسها كلها كانت تمثل له ذات فريدة فعندئذ صاح قائلاً لها :

— اجل ... اجل انت عزيزتي فريدة ... قد عرفتك الان ... انت  
فريدة جنتي قصد تخفيف كربي وتعزيي في مصابي ... اقتربي مني ... سواء  
كنت جسماً حياً او روحاً متجلية فانا احبك يا محبي

ثم انه ترك ابدي غاطلة واستلقى على ظهره غائباً عن الرشاد

اما فاطمة فخرجت من غرفته مشقة من ان يقع له واقع سمي العاقبة من جراه  
شدة الانفعال . ولم يمضِ ودح من الحين حتى استفاق جرج من غيبوبة ولم يذكر من  
تلك الحادثة سوى صورة فريدة فظن ان ما رآه رؤيا خيالية وقال بنفسه : يا للأسف  
ان ما رأيته كان حلاً ! ... ثم ان جرج قضى ليلته واليوم التابع بنام الراحة وزايلته  
بوب الحمى تماماً واخذ يتدرج الى الصحة والعافية



واذ رأى مراد بك ان جرج قد استل من علته سألّه عن بعض شؤون جرج  
قبل حدوث الحمى في المكتبة ثم اطلمه بحضرة اندراوس شقيقه على ما كان من امر  
التركة المختص بها قسم عظيم منها شرعاً  
اما جرج فلم يعأ بما انبأه يو مراد بك عن التركة الحكمي عنها لما انه زهد في  
الدنيا وحطامها بعد فقد فريدة التي كان يحسبها موجب السرور ويبيع الهناء في  
هذا العالم

ثم قال له مراد بك : انني اهتم منذ الان بان اجعلك مالكا هذه الثروة فذلك من حقوقك واعلم انها تبلغ نحواً من مئة مليون يصيبك واندراوس منها قراب خمسين مليوناً اما النصف الاخر فهو من نصيب غادة البقاع زوجة الامير فريد على اني ارضى اليك في ان تمهلي مدة ربما اتمكن من اجراء مقاصد اتخذت في سيل انجازها ما يلزم من التدابير

— افعل ما تشاء يا سيدي فانا واخي قد سلمنا قيادتنا اليك وما امكننا بعد الله الاعلى عليك . او ما تصدق كلامي يا اندراوس

— كيف لا ومراد بك اصبح صديقاً لنا حقيقياً

— بل احب من صديقي فهو ولدنا بمعزة الشقيق والحزن قد شدد بيننا هوى الولاء والاخاء واصبحنا في تلك الناجحة سواء

وعند ذلك نهض الثلاثة وتعاقلو وكان الدمع منهملاً من عيونهم . ثم استأنف مراد بك حديثه فقال :

— اني ارضى اليك في ان تمهلي مدة مع الحين لعلني اتمكن من ان آتي بما يعود بالفائدة والخير عليك وعلى غادة البقاع ولا بأس اذا ما بقيت هذه الثروة مدة اخرى تحت استيلاهي فانا تعلمان شدة اهتمام اولئك الاغنياء الاشرار في الحصول على هذه الثروة بذرائع الظلم والغدر والمكر لا تردعهم مخافة الله عن ارتكاب المعاصي ولا توقفهم السنن البشرية عن اتيان المنكرات ولذلك فقد اقدموا على اقتراف اكبر المآثم واقطع الذنوب سعياً وراء غايتهم الشنيعة : اجل ان الروسه السفلي قد افسد اخلاق الامير فريد فسادت طباعه وخالطه في ارتكاب الذنوب وقد تعددت تلك الجرائم وتكررت تلك المآثم حتى احدثت الخصام وولدت الشقاق فيما بين الاشقياء انفسهم فخلت عرى مودتهم ولا غرو بذلك فان الاتفاق على الشر لا يثبت

واودان نعلم ان المخاوف والمخاطر كانت تكتنفكما من كل صوب وان اباكما قد قضى شهيد مطامع الروسه الوحش الضاري الذي عد الى قتل كل وريث بغية ان يظفر وزريد بالثروة كلها فانت يا اندراوس قد طعنك الروسه بهم ادبي كاد ان يذهب بحبك لولم تنقذك من الموت عناية الله وحكمة اخيك واخلاص لولوة بمعنى ان حاصك من الموت كان اعجوبة من بعض الوجوه . وانت يا عزيزي جرج الم نتذكر تلك الامور الغريبة التي صادفك منذ عودتك الىنا

— اكرر ان لا يوضح فلم اتدبر معنى كلامك — فما المراد منه

— اريد ان تعلم انك انت ايضا كنت غرضاً لمطامع ذلك الوحش . . . كغادة  
البقاع المسكنة واهلها واهيك اندراوس ووالدك المرحوم جميعكم سواء في نظر شرهه  
واستكلابه واني اريدك باجرج علماً ان خصصك الروسه نذل لئيم وهو آفة الانسان  
وشر الحيوان عدو مخيف لا يقدم فقط على قتل الناس مباشرةً بفعل السلاح بل انه يقتل  
قتلاً بذرائع خفية اريد بما يجده من الهموم والغموم والأكدار كما صنع بك وياخيك  
اندراس

فاجابه جرج،

— بي او ما صنع بي ؟

— سم ان الروسه تمكن من ان يتطلع على اسراركا ويتجسس مكنونات صدرها  
بما فطر عليه من الدماء والحداد وان استقصيها مني عن الذرائع التي بها توصل الى  
ذلك فاجيبك اني اجهلها على اني اعلم انه حين ادرك ما فطر عليه اندراس من  
دمامة الاخلاق وعزة النفس ولطف الاحساس وتاكده ان الانفعالات النفسانية  
تقتله لا محالة ولما كان واقعاً دلي ما بينه وبين لؤلؤة من العلائق الودادية والصلات  
الطاهرة اجري ما علمنا من ضرور المكر وصنوف النكاية حتى اصاب اندراس ذلك  
المرض المضال الذي كاد ان يفتك بحياته لو لم تتداركه رحمة الرحمن

— فاجاب اندراس

— اجل لقد نطقت بالحق وفتت بالصواب

— اما انت ايها الحبيب جرج فاليك كيف اراد ذلك الشرير ان يفتك بك فهو قد  
علم شدة حبك وعظم انعطافك لفتيدتنا فريدة ووقف على ما وقع بيني وبينك في  
تلك الليلة الشؤى التي اذكرها وسوف اذكرها العمر بهزيد الانقباض ومنتهى الاسف  
وعلم انك اقمست بالمغفلة والمؤكدة انك تعد الى قتل ذاتك ان لم تعد من سترك بالفا  
من المجد مقاماً سامياً فائزاً بالغاية القصوى من العلوم والمعارف ولما كنت قد عدت  
للبلاد حائزاً منتهى المرام شرع ذلك اللئيم في ان يرقك ويستنصي احوالك حتى تمكن  
من الوقوف على جليلة امرك وما بلغت اليه من المعارف والفنون لا سيما اكتشافك  
الجديد اريد معاملة داه السل المضال . ومن ذلك الحين زين له الشيطان ان  
يفتك بك ولو لم يكن يفتي الصواب لكان قتلك دون اشكال على ان مثل والدك  
المرحوم كاد ان يوقعه في اشد المخاطر فعد الى اتخاذ ذريعة اخرى تكون عاقبتها اما ان  
تفتر يدك او ان يصيبك مس . وادراكا لهذه الغاية قد ادخل في خدمتك احد زملائه

الاشرار وهو الذي تسميه سمعان

فقال جرج وقد اخذته هزة الاضطراب

— قبحاً له من شريرائهم ونذل لئيم

— اطلق نار غضبك يا جرج وارجع الى نفسك يا اندراوس سوف ياتي يوم الانتقام

وما يوم الله باليوم البعيد طانا اوكد لك ان الفصاص يكون عظيماً

فقال له جرج:

كيف اتصلت بك جميع هذه الامور ومن حيث انها اتصلت بك ألى ابقيت على

ذلك الرجل وكيف انه لم يزل حتى الان آمناً في سربه متمكناً بالحرية لم يسلم للنوي

السلطة يقضون عليه بما يستحق من العقاب

— انني وقفت على ما وقفت بوسائل لا يعني هاتهما اما سؤالك عن السبب

الذي من اجله لم يزل ذلك الانسان في قيد الحوطة ولم يسلم للسلطة فذلك

لانه قد اخفى عن العيان بعد فرار القاتل من السجن وتظاهره بالملكيدة التي

نصبت لاندراوس اجل لقد اخبأ الروس على ان مكائده لم تزل تنصب بدليل

ما وقع بك من دسائسه اما السبب الاعظم في كونه لم يزل آمناً في سربه فهو

اننا كما هذه الالوة المنقضية متمكين في التهام على المرضى والجرحى وانت تعلم ان اندراوس

كان على نوع ما في حالة الاحضار اما انت يا عزيزي جرج فقد كانت الحمى تشربك

وكنت في تلك الحالة قاصداً ان تتحرر . ثم همت الدموع من عينيه وقال — كذلك كنا

نهمم بالتهام على مرض فقيدتنا الفريدة التي ذهبت ضحية حبها لك ! وعلى اثر تلك

المصيبة كان اهتمامنا منصرفاً اليك ايها العزيز هذا ما اوجب انتظارنا وكان غلة صبرنا

وزد عليه ان الانسانية تقضي علينا ان نتنظر ايضاً نهاية ايام رجل اخضعت انفاسه معدودة

وذلك ليس مراعاة لحرمته بل صوتاً لتعرف من تنتهي اليوم اليه والرجل الذي اليه اشهر

انما هو الامير فريد غانه ايان برازه والروس قد اصابته طعنة في صدره ظن لاول وهلة

انها سليمة العاقبة على انها اثرت تأثيراً سيئاً على ربيته والان قد قطع الامل بشنائيه

وقرر الاطباء انه يموت بعد ايام لا محالة . . . اجل انه يموت شديد الندامة على ما

اتفرقه واشترك فيه من الجرائم والاثام وقد سألتناه وقد اقر لنا بذنوبه الكثيرة وسألنا ان

نقتبس منه ومن زميله الروسي على ان كرم النفس اني ان نحارب جميعاً يكون عملاً قليل فحين

القبر واليف المحشرات خصوصاً انه يعز علينا ان نجعل عادة البقاع غرضاً لاسنة اولي

الاراجف وعرضه للقال والليل اما الروسي فلا ينجوا هذا من بدل المدل ونسائه ان قد ف



مها طمع بالنجاة وزين له الغرور من قبل نيل المني ..... ثم ذكر مراد بك فظائع الروسة ووقف مهندساً غيضاً وقال وكانت عيناه ترسلان شهباً اشبه باسم نارياً : لو كانت الجبال تدرك ما اناه هذا الانسان من المنكرات لهطلت عليه لا محالة ...

فقال له جرج :

— رجاء ي بك بامولاي ان تطلقني فارغضك وتتم حديثك

اعلم ايها العزيز ان الروسة هو شر الجبلية يرتكب الجرائم بل يحدث المصائب بمتهني التخط ومزيد الدراية بمعنى انه ينال غايته المقصودة منه دون ان يطلع ذاته باوزار جرائمه . فهو قد التصق بالامير فريد وكان ينجو ما كان يعزى اليه بقوة ما كان للامير من النفوذ وعلو المكانة

فضلاً عن كونه لم يكن يفتقر الذنوب مباشرة بذاته بل على الغالب بذريعة غيره ولذلك لم يكن من السهل اثبات الجرم عليه . وقد كان من المفضل ان توجه عليه الشبهة يوم اتى القبض على زينو ومعه القليل يد ان الروسة تمكن من تقيية الاول وانتشال الثاني واخفائه دون ان يعلم بذلك احد وهذا التدبير لم يمنع الشفي ولم تنجح التهمة عليه ..... سالتني عما الجانا الى ان نرجي الشكايه على هذا الانسان ولكن اين المجمع والادلة التي لدينا تثبت ذنوبه . — انشكوه من اجل انتشار غادة البقاع واذا فافها كرها الى الامير فريد . ان الروسة لم يتظاهر البتة باثباته هذه المنكرات ولو اقدمنا على ذلك بدءاً بدء على حين كان الامير فريد ضدنا لحشي ان يقوى الامير علينا بهاله من سمو المقام ونفوذ انكظة فضلا عن انه كان بإمكانه ان يدعي جنون زوجته فيجبر على غادة البقاع بمجة ان بها مساً . اولئك من اجل اخفاء بولس البقاعي فالاروسة بالامر يتظاهرون عزيزا اليه محاولته اغتيال اندراوس فهدر شكايتنا بقوله انه حر بزوجه وان ما اناه كان من قبيل الدفاع عن عرضه وان شكواه انه حاول اهلاكك يا عزيزي جرج وان نتيجة تصرفه بحفك كان من شأنها ان انهكتك الاسقام واوتلت بنا . واسفاه مصيبة مزقت الضلوع وحسرة لا تزول من النواد طول العز فمن اين لنا ان تثبت ذلك فضلاً عن كون اثباته لا يعتبر في نظر القانون وكذا قل بشأن مقتل والدك المرحوم ومقتل المحكين نسيب الذي قضي فيه اذ كان بسوق العرب — كل هذه الجرائم قد حدثت باشارة الروسة وتدبيره ولكن ايسر لدينا ما يثبتها . لذلك تراني ارقب المحوادث متظراً ان تساعدني الظروف لاتي عيه

يداً ثقيلة ويلقى بكما يا عزيزي ان تركنا الى الصبر ونطمئنا الى ما نتخذه من التدابير وثقا ان الله عادل ينظر الى اعمال البشر بعناية سامية واذا ما كان يسمح بوقوع بعض المحادثات التي نراها مكدرة فاعلمنا ان له بذلك حكمة تنف عندها الاضرار وتنقاص عنها المدارك البشرية . واذاً ما وجدنا انه يصرف النظر حياء من الدهر عن غواية الاشرار فما ذلك الا لكي يتزل عليهم فيما بعد صواعق الغضب والانتقام

وازيد كما اتى وقتت الان للوقوف على ادلة اتقن معها ان انيل الروسه شر العقاب بقوة الحكومة السنية على اني ارى من الحزم والحلم ان انتظر مدة اخرى . فالامير فريد اصبح من حربنا وهو شاهد على بكل هذه الجرائم والاثام على اني ايت العجلة مراعاة لذلك الامير السبيء البخت رغبة مني في ان يقضي ايامه القليلة او يتم انفاسه المحدودة دون ان يتجشم مصائب واكداراً تزيد عيشه مرارة ولئن كان قد طلب اني ان اسلم ذاته معترفاً بذنوبه ومغتراً بما ارتكب والروسه من المعاصي على ان الانسانية تصدني عن منابته وهو بالحالة التي ذكرت بل انه عاهدني على انه يكتب قراراً مسهباً يبين فيه ما يطلع من فضائع الروسه وذلك يكون بمثابة شهادة رسمية بجمل امضاء فيها ولا نستعملها الا بعد وفاته ومن المقرر ان حياة الامير اصبحت قصيرة فان الاطباء قد اعلنوا قرب اجله ولدى ذلك نرفع الامر للحكومة السنية وتقدم ما لدينا من الادلة وما سوف نكتشف عليه من المهارات التي تؤيد دعوانا على الروسه فينال جزاءه بمنتهى العدالة

وكان جرج واندراوس جدابران كلام مراد بك بمتى الانتباه وبعد فترة استمع مراد بك كلامه فقال :

لقد ذكرت لك يا جرج ان الروسه اوفد عليك آن وصولك رجلاً يطلب القيام بخدمةك وهذا الرجل انما هو من خدمو وعالمو قد قام بما عهد به سيده اليه فرب امورك كلها ولما ادرك انك تعد للخماس والعشرين من ايام عملاً يتعلق به امر حياتك وثبت لديك انك ان لم تفز بمراك مزع على الانتصار شرع يتربس سائر ما كنت تديه وتجريه ولما مكثت الحال بادرسقة محرراتك وممراتك ولكي يزيل من بالك ما يوجب القاء الشبهة عليه اضرم النار في مكتبك على حين كنت راقدًا فاحترقت اوراقك الثمينة . بيد ان هذه المحررات ولئن كان قد ظن انها احترقت على انها لم تزل موجودة — اما انت فقد عدت عقيب ذلك للعمل بيزيد الهمة ومنتبى النشاط قصد ان تجد تاليف ما اكلته النار . . . . على

ان الوقت كان قد فات وقضى الامر . . . اذ ان الدكتور سليينا احد زملائك  
 بالطب وهو ولا ريب من عملة الروسة اذاع اكتشافك واقبله لنفسه . . . . . اما  
 انت فلم تقو على احوال هذا الفشل وظننت ان سليينا سبقك لذلك الاكتشاف وان بك ذلك  
 وجدك ذهبا ادراج الرباح ومن عظم بأسك وشدة قنوطك اصابتك حتى تشربك  
 وتاكلت لحبك . اما خادمك سمعان فانه قد فرّ من لديك تاركا خدمتك . . .  
 وما ذلك الا لانه كان قد اتم ما عهد به اليه وانجز الاعمال التي فوضت اليه فلم  
 يبق له عندك حاجة بقضها . . . . . ولكن الدهر لم يحقق لاروسه املاً اذ ان  
 الله لم يقض بهلاكك فاصابتك تلك المحى وكانت غيراً لك لانها حالت دون اتمام  
 بفتحك فلم تتمكن من الانتقام

اوضح لك الان مقدرة ذلك اللئيم على الفتنك بالبشر او ادركت الذرائع التي  
 تقصدها لادراك امنيتك دون ان يكون غرضاً لتوجيه الشبهة عليه او تحققت كيف  
 انك كدت ان تذهب فريسة مطامعه

وكان جرج صاعياً يريد الاتباء ولما ذكر مراد بك اسم سمعان تهتد ومرت  
 بخاطره قول فريدة له عن سمعان اي انه « نخس من الخوس » واشأم من  
 البسوس . . . . . وان على وجهه سماء القمر وذكر خصوصاً ان فريدة عندما رأت  
 سمعان المارة الاولى اشارت بيدها كأنها في تدفع من امامها صورة مكبرة  
 اجل لقد صدقت فريدة فان المصيبة قد نزلت وانشبت فيها اظفارها  
 ثم اختتم مراد بك كلامه بقوله:

انا تعلمان الان ان ما يدعوني لتأجيل تسليمكما الثروة امران اولهما رغبتى في  
 عدم جلب الحزن على قلب الامير فريد وهو في حالة تذرر بالخطر القريب والثاني  
 كوني انتظر الحصول على ادلة قاطعة تمكنني من البطش بالروسه بقوة الحكومة . وهذا  
 الامر قد اذاع انه زایل هذه البلاد على اني تحققت انه لم يزل في ثغرنا فان  
 رجالي ما فتوا يترصدونه في سائر الطرقات وفرض السفر واني احسب منذ الان  
 نحت حوزتي وفي قبضة يدي ولا ريب عدي انه سينال جزاء ما جنت يده .  
 الله اكبر !



لم ينس القايي الكرم ان جرج كان في حالة الفناء ولذلك قد شعر بتعب في

ان هذه الجلسة وقد تأثرت بحبك ما سمعه فيها من البيان الذي في بشأن الحوادث المتقدم ذكرها فتركه مراد بك وشقيقه اندراوس رغبة منها في ان ياتمس جرج الراحة بالانفراد وقد ظل له كله مضطرب. بذكرى الاحاديث التي جرت بينه وبين مراد بك .

ولما كان الصباح اتبعت اليه تلك العفة التي كان يظن من قبل انها شبح عظمى له في الروايات . اما في ذلك اليوم فكان قد تماثل وسرى دم القوي والشايط في عروقها فلما وفدت عليه ادرك للحال ان تلك الفتاة لا يمكن ان تكون خطيبتها فريدة بالذات لما ان تلك المأسوف طربها كانت قد اتمت اناسها المعدودة وهي بين يديه فكان من المستحيل ان تكون قد بعثت حبة على انه ذكر ما كانت تورد عليه فريدة اثناء حديثها من تمام المشايبة بينها وبين شقيقها فاطمة كما لو انها كانتا ذاتاً واحدة خلقاً وخلقاً فادرك اذذاك ان تلك الفتاة لم تكن فريدة بل شقيقتهما وقال لها للحال

— انت فاطمة

اما هي فاستمت قائلة

— بل انا فريدة التي تحبك ونحبها

وكان في تلك الجملة وتلك المواربة والمكاتبة شيء من الغضب الداهي يعبر الوصف عن بيانه

اما جرج فاطق عييه جامعاً تنبات تصوراته ثم كرر قائلاً

بل انت فاطمة على انك لانتصين جمالاً ولطفاً عن فريدة . . . . واني اشكر لك اعطاءك لي وإقبالك علي قصد تعريتي به رأي وجهك الواضح فالك قد وصات بذلك ما انقطع من نظام حوتي واعدتني الى الرشاد . . . . الشكر لك يا فاطمة تلك باحسانك هذا الي قد اجبت داعي الشفقة والرحمان وذلك من امي عواطف الانسان — ولكن يا اسناء ليتني فقدت الحيوة او حرمت الذكرى

اما فاطمة فقد ذكرت ان من ام فروضها القيام بما تقدمت به اليها شقيقتهما الوردية فيل مماها لذلك رأت ان تستمر برهة نواربه في الامر فقالت له

— وما رأيك فيما لو انيت لك اني فريدة بالذات

— انت فاطمة بلا اشكال . . . انت صورة فريدة . . . صورهما الحية . . . .

مت انتبه بها من الماء الماء انها مثلان بل روحان في جسم واحد او جسمان بجويان

روحاً واحداً . تبارك من براكا على احسن صورة واجمل خاق . . . ولكن . . .

— ولكنك ترغب في ان اتيك بدليل .

— اجل وما برهالك على كونك فريده . اويمكن ان تكوني فريده

طالما انت فاطمة

فتبسمت فاطمة باطلف وقالت :

— اليس انت صورتي وشكلي ولحجتي ولحظتي ولعظي وبسبي وكلها في يدي

فريده . . .

— ذلك ما لا ريب فيه

— افتح عينيك وانفخ في منفرس . . . اما انت ناظر الى فريده تم اغضها

وكن صاغياً الى الحجتي بهزيد الانتباه . . . أما انت سامع لحجتي فريده ورتة صوته .

فقلني جرج واخذته المحيرة والتردد وشرع بكلم هماً مردداً هذه الكلمات « احبتي

ان هذه فريده . . . لالا هذه فاطمة — لالا بل فريده . . . بالله افريده هذه

ام فاطمة ؟ »

ولولم يكن ذكر اسم فريده يثير في فواد شغفتها عواطف الاحزان لكات فتمت

في ضحكها من جراه تردد جرج وحجرتي على انها امسكت برهة عن الكلام ثم قالت له

— اليس ان عواطف فوادك تنطبق على ما يرشدك اليه صوابك . . . اليس ان

عواطفك تميل الي . اليس ان جوارحك ترغب في ان اكون تلك التي احبتها ولم نزل

تردد اسمها بين شغبتك ؟

فاجاب جرج وكان صوته يهدج بالبكاء :

— اه يا فريده ! . . . اه يا فاطمة ! . . .

انه يصعب احباً على الواصف ان يصور العواطف والمعاني باساليب الكلام والمخاني

كما انه يصعب علينا الان وصف ما كان يتفج في صدر جرج من العواطف ادى ذكر

« ذيت — الامين فعند ما كان يلاحظ اسم « فريده » كانت عواطف حيوة تنب رقت

واحد نحو التاة التي قضى فيها بين ذراعيه ونحو تلك التي كانت تخاطبه في تلك

الساعة ولدى ذكر اسم « فاطمة » كان يشعر بالاضطراب ذو كمال انه اصعب

الاثنين وجمعت بينه وبين كليهما على السواء كهربائية الود والولاء

لا مناص من ان نهت القاريء في هذا المقام سر لم يزل حتى الان مكتوماً

وهو ان فريده وفاطمة لم تكونا فقط متشابهين خلقاً وخلقاً بل ان عواطفها كانت

مخالفة مشتركة بمعنى ان ما كان يروق الواردة كان يحسن ايضا في نظر الاخرى وما كانت تفسرته فريده كانت تكرهه فاطمة . ولما نظرت فريده جرج المرة الاولى علقته واذا كانت تؤذي شقيقتها باخلاص لا تمازجه الانانية والمحمد كاشفتها بامرها وسألها ان تنظر الى حبيبها ففعلت وحدث لما ما حدث لفريده وهكذا قد مالت كتنا الشقيقتين اليو وذابتا اذا ما غلب حزنا اليه وفي بعض الاحيان كانت تبدي فاطمة امام جرج تبادل كذات "ولاء" مخالفا فريده وكانت كل من الشقيقتين تكشف الاخرى بما كان يجري بينهما وبين جرج من الاحاديث والحوادث

ولهذا السبب ايضا كان جرج لم يزل مترددا في امره شرعت فاطمة في ان تقص عليه وقائع الحب وانه اسرار الود التي جرت بينه وبين فريده منذ اول يوم التقى بها حتى نهاية حروبه من مثل المطارحات الوداديه ومبادلات العواطف الحسية وانه سام الالهة والبناء على الهدى ثم انها قد ذكرته كيف انها (هي فريده) قد رأتها ورأها المرة الاولى وكان ذلك ساعة الشفق وانما في تلك العشية نفسها قد اصيبت بمرض اكشف بال اخيها مراد بك فاستدعى للحال طبيباً وان ذلك الطبيب كان هو جرج بذاته وانه بهذه الوسيلة تمكن من ان ينظر وجه فريده الذي لم يكن احد ينظر اليه من قبل سوى شقيقتها مراد وانه منذ تلك الدقيقة اضطرب مواد كل منها وتواترا بجهود الحب والولاء

وفي اثناء الكلام كانت فاطمة تعزي اليها تلك الامور التي جرت لفريده وما برحت تقص عليه بصوت منخفض تلك الحوادث التي كان جرج يظن ان معرفتها منحصرة بينه وبين القنيدة الى ان قالت له : انا فريده من غري يستطيع ان يعلم هذه الامور التي جرت بيننا . من يعلم غيرا اني كنت في اكثر الليالي انهب بعض الفرص وارافيك الى حديقة النسر التي كنت تدخلها من الباب الصغير

ومن غيرنا يعلم بتلك الساعات السعيدة التي قضيناها معا بتجاذب اطراف الحديث بينك مكنونات الصدور ونجهر بها بخارج الضمير . — او تذكر تلك الاوقات الصافية والنداني التي كنا نصرفها سائرين بين ازهار الحديقة طلباً للزينة وكل منا ينظر الى الآخر نظراً سروراً وانعطة وكيف ان سروري كان يمتلئ الخوف وانك كنت تسكن روعي باهتمامك اللين — وتلك الليالي الاخرى التي اذ لم نستطع بها للمخاطبة سبيلاً كما تتبادل الرسائل . . . . يا عزيزي جرج ان رسالتك كانت تقسم فوادي سروراً . . . . احل كنت اتوفا يزيد الرغبة مفردة وحدي في غرني نبتة

عن كل باظر وكنت أكررها بنون ملل - أولم يمر بمخاطرك ذكرى تلك الأراهم  
التي كنا ترأسها ونهاديها رموزاً تنبهر إلى العواطف الودية . وهل تذكر الأمطار  
التي فجأتنا ليلةً إذ كنا في حديقة زنبقات إلى إحدى غرف القصر . وكند أزوب  
المخادوم ان يكشف عليك . . . ياله غم الخوف الذي حلّ في إذ ذلك فقد كنت أملك  
وحاولت جهدي ان ادفع كل مظنة بوجودك لان أزوب او ظن بك لتلك لا محالة  
ظناً منه انك لصّ راغب في سلب القصر وقتل سكانه  
فعندئذ قال جرج بنفسه :

بالعجب ان كلما فاضت به هذه الذناب واقفي لا ريب فيه ولا يعلم به غير  
فريدة - اهذه فريدي . . . او هي فاطمة . . . او اني علمت كليهما على غير  
علم في دون ان اميز الواحدة عن الاخرى على حين كانت نقابلاني مناوئة  
لتأكدها ان قلبي يميل اليها على السواء  
وبعد فتنة استأففت فاطمة الكلام وقالت له

او تذكر ايضاً باجرج تلك الليلة التي بها كاد اخي يرانا في الحديقة ويقف  
على حلية الامر اذ قد منعه الارق ذلك الليل من الرفاد وشرع على اثر ذلك يتنشى  
في الحديقة فدنا منا وكان على وشك ان يمر بنا فاعتبنا بغف ثم اخفينا وراء الوردة  
الكبيرة فلم يتمكن من ان يرانا . . . بالعظم ما حلّ في من الاضطراب تلك الساعة فمن  
جرامه قد مرضت في اليوم الثاني واذا قد تخففت صدم تمكمني من مهابتك الليلة التالية  
كنت اليك بالنهار رسالة ووضعها في الحديقة . . . قرب الشجرة . . . حيث  
كنا نجتمع . . . ومنذ ذلك المحن اجداث الحوادث والمصائب بان تحدث عاباً  
وجعلتنا الذنائب غرضاً لها

وهنا اسكت فاطمة عن الكلام وتنهت تكرر اثم قالت :

والان باجرج من تظني فريدة او فاطمة !

فاجابها وكادت تخنقه الحشرات اذ كانت فاطمة تسرد عليه تلك الحوادث

— نعمي الحديث . . . تكلمي . . .

— اجل منذ تلك الليلة نكبتنا النكب ودمجتنا الامور لان تلك الرسالة قد اتت

الى اخي ولا اعلم كيف تم ذلك . . . ولا ريب عندي ان الصدفة احدثت الامر  
فكان باعاً لريبة اخي بنا فصرخ ان يترقبنا ويترصدنا حتى انه وجدك مرة في الحديقة  
هانت اعلم بما جرى بينكما وكيف ان الزراق قد مزق فلوبعنا في اثر تلك المقامة

فبعثت بيننا الدار ونزلت بنا الاكدار

وهنا اتخذت فاطمة لهجة رمزية وانمت الحديث فانهت

— وانت تذكر يا جرج اني قلت لك في تلك السنة اثناء مقابلة جرت بيني وبينك في منزلكم « انه لم يمر في يوم دون ان اتكلم وفاطمة .... بشانك .... » وان فاطمة .... طالمة باسرار قلبي ومكنونات صدري ... وانها تخيا لي كما اني احيا بها وينتذي قلبي بحبها ... واننا مشتركان بالعواطف تنقسم وتتبادل الافراح والاحزان والامال والاكدار ... وان ما تكرهه فريدة كرهته فاطمة وما تحبه فريدة احبته فاطمة ايضا ... وان ليس لكل منا عواطف خاصة بها بل ان عواطفنا تصرف دائما نحو وجهة واحدة « ... هل ... فهمت ... الان ... يا جرج ؟

— نعم افهم ... نعم فهمت ... واني لك من الشاكرين

وقد اراد جرج بذلك انه ادرك انها فاطمة وانها تحبه كما احبته فريدة لما بين الشقيقتين من تمام المشابهة خلقا وخلقاً وبلا على ما مر بك وانه تدبركون فاطمة لشدة حبها لشقيقتها قد رغبت في ان تتعم فريدة وحدها بزفافها الى جرج — وانه فهم ان بعد وفاة فريدة قد ارضت فاطمة بان يستمر جرج على حسب التقيدة بحب الباقية .. وانها تقدمت على الامر دون ان يمازج عواطفها الظاهرة شيء من الحسد او الامتناع والكدر بل تياتي بهودها وعيلاً بوصية شقيقتها النعيدة ويعلم القاري ان فريدة قد ماتت بسلام آمله انها ستحيى حياة جديدة بشخص فاطمة ... اجل ولقد حنطت فاطمة العهد دون ان تبدي ما يخالف مولها الطبيعي لانها فضلا عن وصية شقيقتها قد اجابت داعي حبها لجرج وهو حب تولد في فؤادها منذ امه مديد

ولم تزل فاطمة تنص على جرج ما جرى من الحوادث الماضية حتى انه تحقق ما كان بين الشقيقتين من مبادلة الافكار والآراء والعواطف

وقد تكررت المقابلات والمذاكرت والمطاراتات بينها مدة ايام كثيرة حتى ان فاطمة اصحبت في نظر جرج كفريدة واعناد مراها في كل صباح ولم يكن يصبر على فراقها واخذ في اثر المقابلة الاولى بتدرج نحو الصحة والواقية وكان فؤاده يزيد انعطافا لفاطمة ولم يكن يرى بهذا الحب الجديد مقاومة للحب القديم او تناسيا لمهود تلك التي فقدت لكان حب لفاطمة عبارة عن ثمة طبيعية نحو الاول ولا ريب ان ذلك كان داعياً لسرعة شفائه من الداء



وهبها احد الايام قد جرى بين فاطمة وحرج مقابلة ذات شان على قصر  
مديها ولما كان جرج راغباً في ان يجعل قراراً لاماله قال لها :

— فاطمة انا احبك واحب لك فريدنا الحبية فهل انك ترين مجي على هذه  
الصورة حسنة لسانك او غضاظة من مثلك . فخرت برأسها وودت سيها الحزن والكآبة  
على وجهها ثم اجابته بنولها :

كلآ . او كيف غلر لك اني ارى مجبك على هذه الصورة غداً من شائي  
الم اقل لك انني فريدة وفاطمة

— وعابه با فاطمة هل تنبلين حيي على علاته

— او لم اسألك المحب على هذه الصورة

— اجل . على انك بذلك قد اذعنت لارادة فريدتنا ولعلك تاتين امرأ تنفزين  
منه لعدم موافقته لعلاطك ولاني رايتم الحق بعيداً بسبب لك الامتعاض فرجاءني ان  
تبييني عن مطلقى حربية ولذلك اني اسالك ايضاً . . . كما سالت يوماً تلك القيدة  
الماسوف عليها . . . فاطمة . . . انحييني وتودين ان تكون لي زوجة . . . . . التمس  
ان تعطيني بالجواب . . . . . سامحي اني لم احسن الخطاب فالاجدر لي ان اسالك  
قائلاً . فاطمة . عزيزتي فاطمة انظنين انك تتمكنين من ان تحبييني بعد مضي بضعة ايام ؟  
اما فاطمة فامسكت عن الجواب وعالت الحيرة وجتمتها

اكان ذلك منها خجلاً واسمياً ام انها ذكرت فريدتها القنيدة ام هي عزة النفس  
اهت ان تنفل عواطف المحب صادرة من فواد لم يزل معلقاً بحب غيرها ؟ ذلك  
سر غامض لا يدريه الا من كانت عواطفه تحاكي عواطف فاطمة شرفاً  
واخلاصاً . . .

اما جرج فاعاد عليها السؤال بمنهى اللطف وغاية الرقة وسألها ان تنفل  
المخطاب بالجواب الشافي واذا رآها مترددة تماقب على ورحها سبها الاضطراب  
والخجل قال لها

— ارالك في حيرة وارتابك فهل انيت عن غير قصد امرأ يكدرك ؟

— كلآ يا صاح . . . بل كنت اذكر تلك التي يحال لي انها تسعنا دون ان  
تتمكن من مشاهدتها . . .

ثم دسعت . . . وبعد ذلك قالت :

— انك لم تكدرني قط بكلامك وايد ان اجيبك جلباً وصريحاً . . . .

كلاً باجرج ليس في رسي ان احبك فيما بعد...  
 اما هو فلدى استماعه هذا الجواب علا وجهه الاصفرار فخلق فواده الجريج وبدت  
 في عينه المبرات وكادت تحرق الحشرات . اما بي فظفرت اليه للحال متبسة انساماً  
 كان بمثابة بلم يفتي كلوم فواده وقالت له :  
 قنت لك باجرج انني لا استطيع ان احبك فيما بعد . . . . . فقال لها  
 بذاهب الصبر :

— وما السب ؟

— السب في ذلك اني احبك من زمن مديد وبلغت محبتك في فوادي  
 درجة لا استطيع معها ان احبك فيما بعد . . . . . أكثر ما احببتك . افهمت الان .  
 ثم جعلت اصبحها على فيها اشارة الى انها لا تود ان يقطع حديثها فاستأنفت القول :  
 — اجل اني احبك باجرج من زمن مديد . . . منذ احببت فريدة . . . منذ رايتك  
 المرة الاولى . اما انت فلم تكن قادراً ان تنظر الى تاثيري الظاهر لما ان النباغ كان  
 يحجب وجهي عنك . وقد حدث لي اني قابلتك مراراً وكنت تخالني فريدة وتخطبني  
 باسم فريدة دون ان تنظر الى ماء الحب المدفع من عيني . . . . . اجل ان احبك تلك  
 في فوادي منذ امد مديد باجرج ولذلك فاما لا استطيع ان احبك في مستقبل الالام  
 أكثر ما احبك الان ومنذ ربح من الحين

وقد كنت في باديء الامر حزينة حيث لم يكن لي رجا . على ان فوادي كان خالياً  
 من عواطف الحسد على حين كنت سعادة شقيقي داعية لشقائي اما هي فكانت تظن  
 الامي وتطلعني على ما كان يجري بيننا من المحادثات حتى اني صرت اخيراً اهتم بامرك  
 دون حسد كما لو ان المحبوبة منك كانت فاطمة وليس فريدة . . . ومع كل ذلك  
 فكثيراً ما كنت اتجنب مقابلتك مخافة ان يفارقني عزمي فلا اقوى على تسكين حركات  
 غوايي

وبعد اذ اطلعت على مكنونات فوادها احسبت الكلام بقولها : انت قد احببت فريدة  
 ولما كنت مشابهة لها مشابهة تامة يعني انك لم تستطع ان تميز الواحدة عن الاخرى فيكون  
 قد اتجه قسم من حبك اليّ بدون اشكال وعليه فاني كنت اقامم فريدة فرحها  
 ومسررها

وقد مرت ايام على تلك المفاصلة مجددت في خلالها المكاشفات الودية وتم الرضى  
 والذبول منها فاطلما مراد بك على عزمها وقد رضى مع السرور بتضحية فاطمة الى جرج

أما جرج فلم يكن يعتبر أن حبة لناطمة ينقص شيئا من أمانتو لريدة لأنها  
 اعتقد الاستمرار على حبها بشخص فاطمة  
 وكذا فاطمة قائما لم ترَ مجها جرج والاقتران بـ شيئا من الغضاضة من شأن  
 شقيقتها العدة وهي ذات كانت تلي بذلك داعي فوادها إلا أنها مع ذلك كانت  
 تقوم بتنفيذ ما أوصته وشقيقتها إذ كانت على فراش المنون وهكذا بقي الولاء بين  
 الشقيقتين في الحياة وبعد الممات

﴿ انتهى الفصل الثالث ﴾

( في ولاد الشقيقتين والشقيقتين )

( وبداية الفصل الرابع في قصاص الاشرار )

## ❦ الفصل الرابع ❦

( في قصاص الاشرار )

### ❦ ١ ❦

ما برح الامير فريد في اثر واقع البراز الذي جرى بينه وبين الروسه يتقلب على مهاد الاوجاع فان الحمى قد فحوت جسمه وتاكلت لحمه حتى غادرت عجباً هربلاً لا يقي شيئاً فسم لونته وبانت عليه تهكة المرض والطيب يعود مستنفذاً عناية في سبيل اقتادو من خطر الداء بيد ان مساعده كانت تذهب ادراج الرياح

اما الروسه فانه ولحن كان اثر ذلك البراز قد اخفى عن العيان على انه كان يستنهي سرّاً عن حالة الامير فريد ويتصد الاخبار عنه ويتنصّبها ولما علم انه لم يدل للامير من الحماة نصيب مع ان داءه عيلاً يعقبة المنون لا محالة رأى ان يحاول اتمام ما شرع به من نصب المكائد قصد الفتك بالعائلة الاباوية . ويذكر القاريه اللبيب ان الروسه ادرك قسماً من المرام باستنهاض الخادم مبعان وحمله على اجراء مقاصده على انه لم يدر يميل الى ونهاية المرام اذ ان اندراوس وجرج ما برحا حين يرزقان وهو لذلك هزم ان يطالب الامير فريد بما خصه من الارث مجتزأ عن الكل بالبعض على انه اكدي ايضاً في هذه الحاجة ورد بالحجة لان الامير فريد تكس بعد اذ كان اخذ في البلول والنكسة شر من الداء اذ ان العلة تمكنت منه اشد تمكين واصبح الى المنون ادنى من قومي قارب . فلم الروسه ان كركب سعدو قد اقل وطالع توفيقو قد اجمل . وان الدهر تعرف عن محالنتو ومالنتو . وعمل الى تكاثر ومعاستو فدار في خلده ان الانسب له مزايلة البلاد عفاة التصاص فصار يرقب ستوح الفرصة الملائمة واعداً لديه من المال والصحت

اما مراد بك فلم تكن انظاره منصرفة عن تاثر الروسه وارصد له قرأ من خدمه الانماء في جملتهم لمعان وشجيمان وحبيب يرقبون حركاته وسكناته على ان التوازل التي الميت بمالنتو قد حالت برهة دون اتمام البقية

وكانت غادة البقاع اذ رأت الامير فريداً على تلك الحالة من الوهن يتقلب على مهاد الاوجاع اخذتها الشفقة عليه فاحسنت للقيام عليه في مرضه اجابة لداعي الرحمة حاسية انها احدى زاهيات المحبة اللواتي وقفن النفس لخدمة المرضى لوجه الله الكريم وفيما بالوصية

يريد ان الغادة لم تعرض الامير من حيث هو بلما بل اجابة لصوت الانسانية الامر  
بقتضف الام المصاين وهي لذلك قد اسعدت طبيكا كحلا من مهرة اطباء المدينة فكان  
يواظب على معالجته ويلطف اوجاعه مع علمه ان موته قريب لا بد منه ولئن بدت  
عابه برهة ملايح الصحة ومخايل اللول

وحدث يوما ان الامير فريد قد استباق من القسوة وزايله الجمران وتطلعت الحوى  
فوجدت نفس ضيق الصدر عير النفس ضيقا عجيبا انكمه الداه وتاكل لحمه ثم نظر  
الى ما حوله فوجد على مقربة من سريره امرأة يريد لها الاخلاص جمالا والبراعة هيئة  
ورقارا ولما نرس فيها مليا عرف انها غادة القناع زوجته فقال لها : طوبالك  
من امرأة فاضلة شعارها الكمال ورايتها الفضيلة . الشكر لك على ما اهدته نحوي  
الشكر لك لان الشفقة ما برحت تسير في ضلوعك وتدفعك الى الاحسان الى رجل  
شريف مثلي . عسى ان تكوني يا غادة القناع قد تناسيت اناي وجريت الذيل على  
ما اتيت من الامور المنكرة

اما غادة القناع التي كانت تترس بجباب السرير وتذل نحوه العناية والاهتمام فقد  
حفظت الصمت ولم تنه بهت شدة . حينئذ اتبع فريد الكلام وقال اني اموت  
يا غادة القناع وانا الذي سعى على حنفي بظلمي . . . وارى انك لا تجدني في الحيرة  
رغنا ولا في الكون سعنا الا بعد ان ينصرم نظام ابائي واصبح ضيع التراب فعملك  
ان تصبري برهة وتنتظري اياما معدودة فما يوم موتي باليوم البعيد

فلم تجب الغادة على هذا الكلام ايضا بل كانت تنظر الى نظرة تشف عن الامتعاض  
من اعمال السابقة والتوجع على حاله الحاضر . وما كان يمر على خاطرها ان هذا الانسان  
مع ما اقترفه من المعاصي والذنوب ما سرح يضم فؤادا يحبها ويميل اليها كل الميل . . . .  
وانه قد انقذ حياة والدها من الهلاك . . . . وهي مع كرها له ونظرها بعين الباصرة الى  
ما الحق بها من الممر كانت تمنى ان يتمتع بالصحة وتعاوده عناصر الحياة ولئن كانت حياته  
ما يحلب لها الشقاء ويحرمها غصص الاحزان . ولذلك فانها وان كانت لا تستطيع الى  
شفائه سبيلا لما ان الاطباء اعلنوا ان الداء عيا يذهب دون ريب بجها الامير كانت  
تستند الوسع لتلطيف اوجاعه منقطعة للقيام عليه في مرضه

ويشهد الحق انها منذ رآته مقبلا الى النصر مضرجا بالدماء في اثر البراز ظهر انها  
قد تناست معابة وسبائه وارغمت بحجابا كثيفا على ما كسر به ذرعها من دواعي الحزن  
والامتعاض حتى انها لم تنظر في الرجل الاثيم الذي كان علة مصائبها بل كانت تنظر بين

مجردة من الفرض أوجاعه نعدأب في تلطينها وإزالتها بما تصل اليه يدها من الذرائع المنة  
كأنها هي أرادت بذلك مكافأته على ما أتاه من صعب الجبيل بإغاده وإلدها من محال  
الروسة ذهباً إلى أن ما جزاء الاحسان إلا الاحسان . — على انهما لم تكن تبدي مخوفها  
هلام الحب مشيرة بذلك إلى أنها مدفوعة إلى خدمته بداعي الوفاء وليس بداعي الولاء  
أما الأمير فاذ رأى ما كان من اخلاصها له وهمايتها به ورحماتها قد عمت سواد ذنوبها  
وإن نار حبه لها قد سرت إلى قوادها فاضربه وظن أن الأمة المبرحة قد قرحت باب  
قلبي فائثر به وما كان يدعم ظنه اعتقاده أن الحب إنما ينشأ عن الحب وإن الغرام مار موجبة  
تطهيرتها شرارة تفصل بما حولها فتضرمه فيصور شعله مثلها

ولما فارقته المحب الأمير فريداً أخذ يقرب ملاح غادة البقاع التي كانت تعودته يومياً  
قائمة على مقربة وكان يفرس في ذلك الوجه اللطيف الذي ارتسمت عليه آيات الشيمال تزيين  
الفضيلة على أنه كلما نظر إلى ذلك الوجه بعين الحب كان يحال له أنه يضمحل من أمامه كأنما  
هو الرؤيا تظهر ثم تزول

وبقي الأمير يتقدم في مارج العافية برهة من الحين حتى أنه صار قادراً على أن  
ينهض من سريره بعض الأحيان ويسير خطوات داخل غرفته على أنه كان يشعر أن هواه ظففت  
الحب كانت تمكّن من فؤاده بانتهامه نحو العافية فقال يوماً لغادة البقاع ،  
— اني اعجز وإني الله عن القيام بشكرك لما بذلته نحوي من أمارات الوداد  
وجيل الاعتناء

— اني لم افعل ما فعلت إلا اجابة لداعي الوفاء ولما كنت قد أغلقت والذي من  
الهلاك ترتب عليّ أن احسن القيام عليك بمرضك . أما الآن وقد أخذت نسير في  
سبيل اللول والشفاء فاني اتركك رغبة مني في أن اقيم مع والدي في المقصورة التي  
أعديها له قصد ألا يعلم به الروسة . ان نفسي تسكن إلى الإقامة معه لما أنه مظهر  
للتعجب عن العيان ولئن كان امرأة ما رح عليّ الخفاء على أنه يبقى في حالة الاسر هذه  
إلى أن يبيض الله لنا الفرج

— هل لك يا غادة البقاع أن تسجني ملثمي وتعمري على ما عودتني من الاحسان  
بإقامتك في غرفتي  
— وما الحاجة لذلك فانك قد صرت من الصحة إلى حال لا تستوجب خدمتي  
وأعنائتي

— رجوتك يا غادة البقاع أن تربني ترددي وتذهبي عن خاطري الريبة والشك

لقد جال في فكري ان فؤادك يمتطئ اليّ بما رايه على وجهك من ملائحة الشفقة والحنان

فاجابه غادة البقاع وكان وجهها يسفر عن الانقباض :

— لقد اخطأت ظناً ايها الامبروما ذهب اليه تصورك ان هو الا عن وم بحيث

— اذا ما دقعتك لخدمتي بغيرة فريدة وانهمار منقطع النظر . حرستني ياغادة

البقاع اذ كنت طريح مهاد الاوجاع حراسة الام على البدين وسهرت الليلي الطوال قبالاً عليّ لاتباليين بالصماء ولا تحفلين بالنصب اكان الباحث لذلك علة غير طلة الحب

— اجل ذلك ممكن

— ياغادة البقاع انني طالما كنت استفيق من غيبوبة المحي ثم استنام فاري عنبك

فاظنن انني نظراً يختلف بما فيه من اثر الوجد واللف عن نظرك اليّ الان . . . .

وكان جيبك اذ ذاك ناطقاً بايات الشفقة بامارات الحنان . . . . اجل وقد سمعتك

يوماً تنهدين وتبين نفثة المصدور . فهل استبدلت الان عواطفك الكريمة . . . او

لا تعديني على الاقل ان ترحمني يوماً ولو ان ذلك اليوم بعيد العهد ليس لي ان اطمع في

الرجاء واومل يوماً في نيل السماح . ياغادة البقاع انني تائب الى الله ونادم على ما فرط

مفي نحوك من ضروب الاثام وانواع المنكرات . افلا تجودين بكلمة العفو وترسلين اليّ

نظر الحب

— انك تطلب ما ليس اجراؤه بالامكان . او استطيع ان احب من كان مثلك او

لست انت الذي اتى الجرائم واقترب المنكرات وشارك الاشرار بارتكاب الاثام اوليس

ان بديك قد نضرجتا بدماء الابرار . . . . او انسى من انت . فلن كنت قد

سهرت لخدمتك واحسنت القيام عليك في مرضك فما ذلك الا وفاء لجيبك ومقابلة

لصنيعك باغادك والدي وهذه الذريعة قد وفيهاك ما كان لك علينا من الدين

ليس الا

— ياغادة البقاع لا تعدي ذكرني عن فؤادك اصفي للشمسي ولتكن توبتي مقبولة

لديك . اما انت بشر كالنساء اما تشعرين بفرط حيي لك او ليس للشفقة الي

فؤادك من سيل

— او شفت انت علي وعلى ذويّ حين سلك الزمان الغادر قياده . اولم انبك

بادي . الامر انني احب انساناً ولا سبيل لي ان اجعلك وليّ فؤادي . اصغرت لي اذ

ذاك . كلا بل انك دست عواطفني العريفة بقدميك . ودنست مبادئ المقدسة بجورك

وظلمك ومزقت خلوعي باغضائك عن دموعي وعلمتني ان ابغضك وما البغض من شأني .  
وقسرتني ان اغضب عليك غصبا لا يمكن ان يغيره الزمن

— يا انتقامك ما اعظمه وبالفضلك ما اشد وطأته . اما تكن الاجدر بك ان  
تعرضني عن القيام علي في مرضي وتدعيني اموت في اثر ما اصابني . فلم اقدتني من الموت  
هل رغبت في حفظ بقائي لحظ شقائي . وسعيت في طول حياتي لزيادة حسراتي . كأنك  
انست ان حياتي قد قصرت فلم تتمكني من الانتقام حتى رغبت لاطالها كيا تتمكني من  
تصويب حسابك الي . لهذا المبلغ بلغ منك حب الانتقام ؟

قال ذلك واحني رأسه على صدره وغاص في بحار التصورات وكان القلب يؤلم نفسه  
والهأس يتأكل ما بقي من لحمه . اما عادة البقاع فكانت انسلت من غرفته دون ان  
يشعر بذلك . اما هو فاستأنف الكلام وإها انها ما برحت لديه فقال : اجل ان الموت خير  
من الحياة على هذه الحالة المريرة

اجل ان في الموت سلوا وما في الحياة سوى استمرار العذاب والامناء اذ ليس في الكون  
من مصيبة اعظم من هذه وهي ان يرى المرء قريته وشريكه في الحياة تعرض عنه وتقبل  
الى سواء . . . . . واني ارى امامي حيلة بارعة لمجال فريدة اللطف والانس تنظر وتبتسم  
وتحككم وتحرر وتناثر وبالجمله انها متمتعة بالمعاطف والمحاسن دلي ان ليس لي من جميع  
ذلك اقل نصيب بل ان سولي ولي قوادها وغيري غرض ايمانها وموضوع آمالها  
ورحمتها . يمكن احتمال مثل هذا المصائب . فادامت الحالة هكذا اليس الاخرى ان اموت  
وانجو من هذه الحياة . اجل ان يموتني نهاية شقائي وشفائيا

اجل ان في موتي لخيرا اذ ان بونيها به شقائي وشفائيا ولعل قلبها القاسي يرق لحائي بعيد  
وفاتي فتنظر الي نظره الشفقة والحنان والقي منها بماني ما لم افز يومئذ الحياة وهكذا انتعش  
عظامي الرمية ولو لم تنظر عيوني . . . . . بالاسف وباللطف ارى اني ما دمت على هذه  
الحال لا البت ان اتجرع كوهوس الردى فاني ولئن كنت قد نجوت من الموت اثر  
البراز فاشعر ان قواي قد فئت وشخصي قد آل ولا يمضي ربح من الحزن حتى اطبق  
جنفي واثم انفاسي المعدودة . اجل ان امامي قد قصرت ونظام حياتي اوشك ان  
يقطع . . . . .

ثم اخذ في ان يخاطب نفسه قائلا :

فريد . فريد ما بالك غاطط من رحمة الله . . . ولكن . . . اه . . . . . بالندم . . .  
اني لقد اتعبت الاثم ولم ارفع عن الجهالة والمكرات التي عشت بها اكثر ايام العمر . . .



الويل لك بالروسة . . . والويل للذين كانوا منبع شقائي واصل غوايتي . . . ان الله  
قد اسم عليّ اذ جعلني ابن والدين صالحين تبيين احسنا تربيتي ودرمائي على الفضيلة  
والمباديء الصحيحة وارضائي قهيل وفامها ان احفظ وصايا الله وابع شرارته وقد كان  
في امكاني ان اقوم بكلمة رضاء لي لان الاموال الكثيرة التي تركها لي والمباديء الصحيحة  
التي الفياها عليّ وما منعني الله به من سلامة العقل وحمية الجسم كل ذلك كان يدعوني  
الى ان انكفي عن المطامع واسلك مسلك العدل . طي اني اشترى الضلالة بالهدى  
واثرت الرزيلة على الفضيلة ورغبت عن محبة الصواب وسلطت قهادي لشيطان الغرور  
فاصرفت مالي في سبيل الشرور وبت مع الروسة اتوغل في قمار المائمهواتي في دبايج المساوي  
واقطع الى الجمع المكبرات حتى اصعبت في غفل عن كل صلاح . . . . . فريد . . . فريد  
ابن عزة نفسك . . . ابن ما كنت تسعى وراءه من الحرف والجد . . . ابن سلامة ضميرك  
الظاهر وجمال نفسك الكريمة . . . هل لم تمن ساعة رجوعي الى الرشاد . . . انني كنت  
ابن اموت غريق ببحر الشرافة الرجاء من كل خير . . . فالشكر لغادة البقاع التي اغدنتني  
من الموت بما بذلته نحوي من العناية اثناء مرضي وهكذا قد طودتني الحياة وما سروري  
بالحياة من حيث انها حيرة فان نفسي قد شئت الدنيا على اني سررت لحصولي على وقت  
اكفر به عن ذنوبي الكثيرة وسبائي الجمة . . . الهى هل من مغرة لي انا الشقي الشرير . . .  
اني اذا ذكرت ماضي قاراء ملحقا باوزار المعاصي . . . واذا نظرت الى غرفتي فلا ارى  
فيها شيئا من اثار التقى فابن الصور المقدسة التي تذكر المرء باصفاء الله الذين يجب الاتقاده  
هم والاتجاه اليهم من الشدة . ابن ملاكي المحارس اقبل اليه ان ياخذ يدي في حالة الغفاه  
هذه . بل ابن حائي المحاضر من حالتي الماضية انا الذي كنت لا ارقد زمن الصبا دون  
ان اقبل سيدي المصلوب واضع بين يدي عقلي وقلبي وسائر حوامي . . . فاليك سيدي . .  
اليك يا خالقي ارفع الان نفسي ملتصقا ان تنظر اليها بعين رحمتك لا بعين عدلك . . .  
قد عشت شغبا في هذه المحوة على اني التمس ان يرسل الى قلبي ضياء رحمتك فانتمج بسعادة  
المحوة الاخرى . . . رحماك . ياهي رحماك

## ❦ ٢ ❦

اما غادة البقاع فكانت قد دخلت غرفتها واستوت على المنعد حريئة مكتبة من  
جراه تلك المحوادث المكبرة التي كانت يتر ذكرها في خاطرها وكانت على تلك الحالة  
مشغلة بمحوب بسيط من الصوف ذي اللون الازرق السماوي وكانت غائصة في العزلة

وهيئها شاخصين الى السماء وتور المجال ينبعث من وجهها اللطيف خلافا لما كانت عليه في غرفة فريد اذ كانت متمعة اللون تغلو وجهها سماء الكدر والشددة والاشمئزاز . وبينما كانت على تلك الحال خفق فؤادها فرحاً عن غير علم معلومة لديها وعلى الاثر اقبل الخادم على غرفتها فاجبرها ان عزيزاً يلتمس مقابلتها . وكان عزيز اتي قصر غادة البقاع قصد ان ينضم الاخبار ويستطلع الاحوال فتبصت غادة البقاع للحال واقبلت تلاقوه على باب الغرفة ولما التقت العين بالعين هشت وبغت ثم بسطت اليه يمينها فصالحته وادخلته الغرفة على الاثر قائلة : ما احبب قدومك علي وما اعظم فرحي بلقاءك فاني كنت كئيبه حزينة اسيفة اما الان فقد انجلت هومي واخذتني هزة السرور كيف لا وانت منرج كربي ومزيل غصني

— انني اتيتك اتفقد احوالك ايها السيدة الكريمة والصديقة العزيزة  
ثم غضب مبادلة هذه الكلمات صمت وسكون نظر في خلا لوك من المحبين الى محبي  
نظرة مخمسة يعلم الله وحده ما كان من شئ وقعها في نفس كل منها . او كيف لنا ان نمن  
ما احتراما من حقوق الفؤاد واضطراب النفس وغصة الصدر عندما وجدا متقاربين  
متباعدين يشعرا بنار الحب تنقد في احشائهما ويدلغ لهيبها الى ما بين ضلوعها  
دون ان يتمكن من المجاهرة بما هو مستكن طي الحشاء . يدفعها الغرام الى المكاشفة والمعالجة  
ويردها الدين والاداب والمبادئ الشريفة الصميعة عن مطاوعة هوى النفس . اجل ان  
غادة البقاع على كونها حبيبة عزيزا برحت زوجة شرعية للامير فريد وهو يعارض بينها  
وبين حبيبها وقد ايت شهامة المحبين وعفافها ان يخترقا حرمة المحقوق المتزلة والواجبات  
المألوفة ولما انحصرا بين زاجر الصواب وسجع الهوى انفجرت عيون هوميها بالبكاء فانهلت  
دموعها مدراراً

ثم استأنف عزيز الكلام فقال :

— يا للرحمة وبيا للشفقة . — لقد فني جلدي ولم يبق لي من قوتي على الصبر فكيف  
استطيع اليوم سيلاً . . . اه اني اتيس الفرار من مقابلتك لدى حصولي على لفتاك وذلك  
لان مرآك يري في فؤادي حمرات الحسرات فتسعر استعاراً . . . . . على اني عندما  
ابارحك احس شوقاً الى رؤيتك ولا اجد من نفسي صبراً على فراقك فاعود وقلبي  
منكسر . . . . . يا غادة البقاع اني اليوم شديد الهيام بك كما كنت يوم خطبتك اجل خامرتني  
ريب في حبلي حيناً من الدهر وعزيت اليك حدم الوفاء طامحاً نفسي من اشق الخلق  
على ان الان قد برح الخفاء واكشف القطاء وبان الصبح لذي عينين قد ذهب عن خاطري

ما كان قد مر به من الوساوس وعلقت حقيقه العلم انك وحدك ملكة النواد التي لم يبق لي  
على بعدها جلد ولا اضطبار

اما غادة الهفاج فكانت صاغية لكلام فريد ومطارحاته اللطينه ومكاشفتو الحبيه التي  
اثرت بفوادها تأثراً شديداً اصعد الدم الى وجهها الذي تقتضب بالاحمرار وكان ما  
الحسن يدفع مموجاً من وجتها الشبهتين بالورد يجف به الياسمين ثم انعطنت الى عزيز  
واجايته متسمة وقائلة بلهجة يلين لرقبتها الجهاد

— صبراً عزيزي عزيز فان خور الرجال من صبر . وثق اني ما برحت احبك حباً  
ثقيلاً ذاكرة عهدنا القديم وما زلت احنو عليك حنو المرضعات على القظيم فتوكل على  
الله ان الله رحوم كريم

— والى م اصبر يا مية النواد . ترى متى نسالنا الايام ونساعدنا الاعوام فاراك  
على ما احب واشتهي ويكون كل منا للاخر قسمة ونصيباً سراً وعلناً بحيث لا تحيط بنا  
عواطف النوايب . . . . . ولا يستطيع المحزن الى فؤادك سبيلاً . . . . . فيترك  
شفتيك تهم السرور ويعصر في عروقك دم الجذل والمحبور . . . . . وما اسعد يوماً به  
اتمكن من ان انسبك ايام الكدر والكآبة هذه بما انوبه لك من اسباب الالهام والاعتناء  
بك فاراك كما كتبت في بيت والدك مستظلة تحت اجنحة النرج والطرب ترى متى يكون  
ذلك ؟ . . . اه اني اغال ذلك اليوم بعيداً . . .

— عزيز عزيز لا تذكرني بما كتبت عليه من ابله العيش ورغيد الحال في تلك الايام  
التي احسها شطر المعادة من حروقي والتي طالما تمنيت عودها والى لا ارتاب في ان حياي  
المثقلة اذا ما قدر لي ان اقضيها معك تكون لدي شبهة طيبة ترتاح اليها نفسي وتصرف  
اليها اما في كل يوم بل كل دقيقة تمر لما اني على ثقة من انها تذهب بما افاقيه الان من  
العناء والكدر . والى ايها العزيز اري سعادتنا قريبة الموعد فان ايام الامير فريد أصبحت  
معدودة وصار اقرب الى المنون من قوسي قاب حسبا اثبت لي الطبيب . . . . . ومعاذ  
الله ان اكون قد تمنيت له الاذى او اشتهيت موته ولكنها العلة قد تمكنت منه واشرت  
عليه اجفها ولا تلبث اذ ان تذهب بجيوته . اجل ان الامير قد بدا هذه الايام بظواهر  
البلول وخجل للناظر ان ملاح الشفاء الظاهرة على محياه تبشر بصحة على ان ذلك وم  
يمت لا يعمل طويلاً اذ ان الاطباء قد اجمعوا على انه لا يضي المديد من الزمن حتى  
تعاوده ثورة العلة فتقتله قتلاً . . . . . والى وحقك اسفة على مصير هذا الانسان على ما في  
موته من القصاص له والعزبة في الراحة لكلينا معاً . . . . . ولذلك فاني ارجو له من الله

عنوا كرمًا ورحمة واسعة في المحبة الأخرى... وهكذا أتى ساسي بعد أيام مغلة القيود  
المعدية فيها أتى ما برحت حتى الآن حرة بالنظر إلى القيود الطبيعية

\*\*\*\*\*

لقد أصاب من قال إن للجماد هبوطًا تنظر في حالك الظلام وإذنا نسمع بينه المحبون  
من أسرار القواد في خايا الزويا فقد خيل لكل من عزيز وغادة البقاع أن محادثتها  
سرية لم يعلم بها غير الله على أن رجلاً كان واقفاً في الحجارة الملاصقة غرفة غادة البقاع بصفي  
ينتهي الانتباه والإعظام إلى حديثها من خلال بابٍ يفصل بين الغرفتين وذلك الرجل إنما  
هو الأمير فريد قرين غادة الأناج واليك سبب وقوفه في ذلك المكان

بعد خروج غادة البقاع من غرفة زوجها بقي ذلك الأمير شاخصاً بعينه ينظر إلى  
ماضي أموره ويشدد العزم على اتوبة إليه تعالى ويكرها بما يجب أن يفعله من الدراج  
تكثيراً عما أخطأ به إلى الله والبشر. وبينما كان على تلك الحال طرق اذنه دوي عربية  
فتقدم إلى المائدة يسير الموبنا من جراء الضعف والزال ثم نظر إلى الفارع رأى أن  
تلك العربية قد وقفت تجاه باب القصر وانحدر منها شاب يقصد دخوله فنفس فيو  
والحال تنارد الدم الرأس وظهر بعض احمرار على وجهه العجيب المكهر وكان ذلك حلة  
انفعال الحسد الذي ثارت حواطفه في صدر الأمير إذ أن ذلك الثائر لم يكن إلا عزيزاً  
مزاولة القدم قد أقبل على قصره بغية مقابلة غادة البقاع. ولا يخفى أن الأمير فريداً كان  
يعتقد عن صواب أن عزيزاً إنما هو الحاجز الوحيد بينه وبين امرأته إذ أنه كلما كان  
بجوار «ولوح قواد الغادة» كان يرى «المتناح يد عزيز»

فشرع الأمير فريد يتسأل قائلاً: «علام هذا الإنسان قبل البنا... لا ريب أنه  
يريد مقابلتها... ولكن لأي امر... وما عسى أن يدور بينهما من الحديث...» ثم لم  
يقال معاً كان عليه من الوهن والضعف أن يسعى وراء استطلاع الامر وكشف الغطاء  
بل ضعف زحماً حتى بلغ الغرفة الملاصقة لغرفة امرأته وبينما كان قاصداً أن يجتازها قصد  
الدخول من الباب السري مع صوت عزيز فانتصب واقفاً ثم استكن وأصغى فسمع المحادثة  
من أولها حتى آخرها دون أن تنوته كلمة واحدة إلى حد أنه كان يسمع الابن والثأور  
المتبادل بين الحسين ساعة انقطاعها عن المكلمة... فانتفضت نفس الأمير وضاق صدره  
وكاد أن يستطير له. على أنه تجدد وصبر رغبة منه في الوقوف على تمة الحديث ولذلك  
قد كظم الفيط واتخذ ثورة الغضب مطلقاً إلى الصبر مسترسلاً إلى السكون على ما كان  
يعاني من عظيم الألم. يد أنه لم يكن ليرمي غادة البقاع بسهم الملام إذ أنها كما يعلم القاري.

الليهب كانت قد سبقت وكاشفة بالحقيقة قبل زواجها فلم يكن والحالة هذه ليتنظر منها الوفاء والامانة وهي لم تذهن للاقتربان والاجر او قهرأ. وهل حانظ هو نفسه على قواعد الشرف او لم يكن قد تلخ كرامته بالدناءة والقناخ . . . على ان غادة البقاع لم تنك حرمة الزواج المقدس بمقابلتها عزز ولكنها صدقت بقولها لة انها ما برحت حرة . . .

وظل الامير فريد يجمع تلك المكاملة وهو كمن يتقلب على شوك القنادر او يتنلى على حجر الغضا على انه كان يفضس مرة ويكظم الغيظ اخرى الى ان مع الجملة الاخرة المشيرة الى قرب اجلواي الجملة التي انتهت بهذه الالفاظ ( اني ساصبر بعد بضعة ايام مطلقة الحرية ) فمعتدق نهد الامير فريد من اعاق صدره واخذته الرعدة في جميع اعضائه واضطرب فواده واصبح كالمتبول يواذ انه تخفق قرب اجلوا فاستطير لة وعاد الى غرفته على ظهر هدى وانطرح على سريره وهو يردد كلمات غادة البقاع « ساصبر مطلقة حرة » ثم اطلق جنبيه وغاص في بحار الامل والتصور حتى خيل لة انه يرى عزيزاً وغادة البقاع لمس في الذرفة القريبة منه كما كان قد شاهدهما منذ برهة بل تراءى لة في عالم الخيال انه يراها بعد الموت في بلية العيش ورغد المحيوة كما وصف عزيز وان الصفاء يجمع بينهما دون مكدر في حين انه هو قد اسى تزل القدر ينظر غادة البقاع فائزة بما طالما تمعه من ان تكون حيلة عزيز ورفيقة حياته . . . وقد تراءى له ايضاً ان الهبة كانت ترداد وتقوم بينهما مع غناء الايام وانها كانتا يرفلان بجمل الرغد في رياض السعد يستشفيان عرق الحب الطاهر بين الازهار الباسمة بعد اذ كانتا قد فاسيا من وحشة التراق وكبد الزمان ما طاللت مدته واشتدت شدته كانتا ما يستعيضان ما فاتها من رخاء العيش وخفض الحياة . . .

لجل ان هذه الصور كانت تمر في مخيلة فريد كما لو كانت واقعة فعلياً اذ انه كان يراها بعين البصيرة يرتدغان ككؤوس الصفاء والهاء حتى لم يبق في نفسهما اثر للابام السوداء التي كانت في خلاهما غادة البقاع اميرة . . . بل اسيرة . . . فصاح الامير فريد وهو على مهاد الاوجاع : « يا لالاف وبهالليف لقد ذهب ذكرى من افكارها وان ذكراني فكأنها يذكران خيالاً هاللاً او شبحاً مرعباً مرّ بها في الحلم . . .

وكان الامير يجاول دفع هذه التصورات عن مخيلته لكنها كانت تعود اليه على الرغم من فينبض صدره ويذوب حزنه واكتئاباً . ليس هذا فقط بل انه كان يره يحاطره ذكر الجرائم التي كان اقترضا اي تلك المحوادث الشريرة التي كان محورا لها وخليطاً فيها فاعاد الى فكره ذكر ذلك الميثاق الذي عقده مع الروسية تحالفنا على الامم

ولا يخفى ان الامير فريد كان اذ ذاك في غرفة قصر والتي هبط على جدرانها رسوم ابائو واجداد. فكان تلك الرسوم كانت تنظر اليه نظرا الحزن والاشباح موجعة لياه على ما اتاه من المنكرات لاسيا اذ كان يذكر الايام التي بها خطف غادة البقاع واخفى والدتها ثم اضطرب فواده اذ ذكر انه كان سبياً لقتل نسب وميثايل اللباوي وعلة لموت فريدة وان جرج واندروس اللباوي كادا يموتان شهيدين في اثر حسانس الروسه التي كان خليطاً فيها . وكانت اشباح من ذكرنا تمر امامه بأشكال مخيفة وصور مرعبة حتى خيل له انها كلها تنصرخ العدل وتنادي الاعتقام ..... الاعتقام ! .....



ثم ان الامير فريد قد هب مذعوراً من وراء هذه التصورات وشعر بضعف جسمه واضططاط في قواه واذا كان قد علم بفصر حياته واستبنت انه لم يبق له من مطمح في هذا العالم عند الى الثوة وقصد ان يكفر عن ذنبه ويسأل الله الراحة في الحياة الآخرة فارسل يطلب غادة البقاع ثم استوى على المتعد وظل ينتظر قدومها وهو في اضطراب شديد . وكانت الشمس في ذلك الوقت قد غربت عن الارض وبقي شيء من اشعتها منعكساً على غرفة الامير ما كان يزيد لونه احتقاناً ومهيمه وحدة

وكان عزيز قد زابل غادة البقاع بعد اذ اطلعا على ان رجال مراد يك ما برحت يبحث عن الروسه دون ان تلف له على اثر وانه يرجي لقاء القبض عليه لما انه لم يكن قد زابل البلاد بعد الى غير ذلك من الامور التي لم يتطرق اليها فريد استماعها بعد اذ كان قد سمع ذلك الكبر الخفيف الذي اسرته غادة البقاع الى عزيز الا وهو ان الامير اصيبت معدودة

ولما دخلت غادة البقاع غرفة الامير فريد وجدت جالساً على المتعد ورأساً مغطياً مستنداً الى يده اليمنى وقد زاد اصفرار وجهه واستفاح لونه وكثرت حركات قلبه وكانت يجهش بالبكاء ودموعه تنفاطر على خده مدراراً ثم مضت دقائق على دخولها ولم تنبه الى حضورها لما كان عليها من الاضطراب . ولما ابصرها قال لها بلحمة تنف عن الحزن واليأس وانكسار القلب ، اشكرك يا غادة البقاع شكراً جديداً لانك حاولت انقاذ جسدي فلم تستطعي الى ذلك سبيلاً على انك بتلك الصالح وسعيك المستغرق انقذت نفسي وبذلك لك علي فضل تذكره عظامي تحت التراب ..... ولم اقل الي اذكره طول الحياة لان حياتي اسست قصيرة لا تكفي عنها للقيام بشكرك .... فارجوكم السامح في هذه البقية القليلة

من حمري التي فيها عمت الى ان اكفر عما اقررت من الانام  
 سمعت كل شي باعادة البقاع وعرفت ما قاله الاطباء بشأني ... كما اني مشعر  
 ان حواشي قد قصرت ولذلك رأيت ان اسمي فيها بقي لي من الحمري ان اكفر عما اتيت  
 من المنكرات مبتدئاً بان اسالك الساح اذ انتك اول من الحققت بهم الضر والادنى فهل  
 لك ان تغفري لي فاذهب طمئنا الى الدار الاخرى  
 وقد استغفرت غادة البقاع من هذا الكلام انه سمع ما دار بينها وبين عزيز من  
 المذاكرة وتأثرت من اثار ندامته الصادقة فقالت له :

اسال الله ان يوجب عليك ويغفر لك

— ساني اعلم بانني لم اصوب سهام الدرنحوك فخط فان كثيرين غيورك قد نالهم  
 السوء من جراء اعمالهم المنكرة فعلي ان اسالم الساح ايضاً عما اسأت به اليهم ولما كنت  
 اخشى ان تنفني الفرصة او يفارقني ما بقي لي من القوة امرت الخادم ان يعد العربية للحال  
 فاذهب لمقابلة عزيز الماس المغفرة من لدته فهل لك ان تعطيني ابن اجدء الان  
 وكانت غادة البقاع على ثقة من صدق توبة الامر فاخبرته ان عزيزاً يقيم في  
 المنزل الذي اقامت في فيه ايام كانت مهيبة والدها

اما عزيز فبعد مزالمتها غادة البقاع قفل راجعاً الى منزله يزاول اعماله كالعادة وما  
 لبث ان اقل عامو صديقه الحميمان شجبان ولطاف يتقدمها مراد بك وحبيب فشرع  
 لجمعهم يتذكرون بامر الروسة الذي اخفى اثره عن العميان رغماً عما ابدوه من البحث  
 والتقصي عنه . الا ان احدهم حبيماً اخبراته في خلال ما كان يجري من التعري عليه  
 بجوار منزله في حي الرملة ابصر رجلاً يذهب الروسة قائماً وحركة مع بعض اختلاف في  
 الملامح والزي فقتبه واذا بالرجل قد دخل حديقة المنزل ثم تبعه على الاثر رجل بدين  
 شخص ضم المجرادة فتحقق انها الروسة وذئاب على انها لم يخرجها بعد ذلك من تلك  
 الحديقة كل مدة انتظاره لها . فجزم الجميع انها بنيا في منزل الروسة

وبها كانوا يتشاورون واذا بدوي عربية وقفت لدى الباب ثم سمعوا هسهة اقدام  
 قسبر الهوبنا ففكر عزيز بنفسه بذلك المقبل اليهم لئلا واشفق من ان يكون ناقلاً نياه  
 مكسراً . وكانت تلك الاقدام تدنو ببطء من ذلك المنزل الذي سكته بولس البقاعي  
 وكرهته غادة البقاع اذ ان عزيزاً لم يزايه رغبة منه في تذكرا ايام الصفاء التي تفتت فيه...  
 وكان ذلك الزائر المقبل يعرف ايضاً ذلك المنزل فاجهش بالبكاء اذ نظر الى اثاره  
 وكان المصباح المضيء على المضدة في غرفة عزيز محاطاً بهالة من الوميض يعكس

النور الى اسفل فلم يتمكن المجلس من معرفة ذلك الزائر الذي كان يتقدم نحو الباب على انه  
 حينما صار الى وسط الغرفة تقبلى لم امره بانعكاس النور على حياء فاخذهم هزة الاندھال  
 والدهشة وتبادلوا اشارات التعجب والاستعجاب ثم نهضوا نهضة واحدة كالنمل فزلزلهم  
 نازلة اذ ان ذلك القادم لم يكن الا الامير فريد . . . على انه كان ممتنع الوجه منبوذ  
 القوى جميل الجسم متفقد العينين ولكن بنار الحمى وليس بنور الحيرة . . . وبقي فريد  
 برهة واقفا في الغرفة مستندا الى الطاولة لئلا يده من الوهن والضعف وظل كالمنزول  
 في ينظر الى ما حوله دون ان يفقه بكلمة واحدة اذ ان الدهشة قد استولت عليه واخذ  
 الاضطراب منه كل مأخذ في اثر ما رأى في ذلك المنزل من الاثار التي ذكرته باضيه اي  
 بما اقترفه من المحرمات التي صارت به الى تلك الحال فانزلت به الكتابة والحزن والحقت  
 به العار والذمار . . . ففي تلك الغرفة قد عرف فريد غادة البقاع وهناك اظهر نفسه لها  
 واخفى عن قلبه وهناك تصانع متظاهرا بالحب في حين انه لم يكن يحب حقيقة كل ذلك  
 يحزن ان يتدبر العاقبة ويحزن عا لم ان ذلك الحب نفسه سيصبح اداة قصاصه . وفي تلك  
 الغرفة نفسها قد عرف غير سال ان غادة البقاع لا تريد غير عزيز املا اذ في تلك  
 الغرفة نفسها قد ردت العادة خائبا في حين انه كان يؤمل بالنور والنجاة . اجل ومن  
 الغدنة تلك الغرفة قد رست العادة باقة الازهار التي كان اهداها اياها يوم عيدها وهو  
 اليوم الاخير الذي فيه خطفت بالكر والحندية من بيت ابيها . . . ومن تلك الغدنة  
 كان فريد يرقب وقوع النكدة . . . ومن تلك الغرفة قد شاهد بولس البقاعي  
 امير الناس والكر من جراء بعادته وجملة التول ان تلك الغرفة كانت سدا ناسا حيث  
 فيه حوادث المتمد الاول من هذه الرواية التي قام فريد باحاديثها وادراكها وادراك الان  
 ان ينسحب ضحية المطامع والشهوات . . . فمن كان يعلم ان المحادثات ستصير فريد الى  
 الى هذه الحال بل من كان يعلم انه مزمع ان يقاسي مثل هذه الآلام ويلقى اشد المصائب  
 من اجل النكدة التي رغب في ان يجعلها زوجة له دون ان يحسب انها ستصبح طلة لقصاصه  
 ومن كان يذكر اذ ذاك ان فريدا الذي نزل ميدان الحب بصور غير مشروعة سئل  
 اللد والموان والشددة بل الموت في كاس الحب عيه . . . بل ان كل من اعتقد بوجود  
 عناية تدبر المكون قد ادرك منذ كان فريد في اوج الفوز انه سيفضل الى هذه الدرجة  
 ويعد اذ جالت جميع هذه الصور في خاطر الامير تهدي من احاق صدره ووم  
 برهة ان ليس من ينظر اليه في تلك الساعة فليخص بصره الى السلام وكاد يجهش بالبكاء  
 لما عجز فقد رت بخاطره ايضا جميع المحادثات الماضية على انه اخذ ينكر في الاسابيع التي



دعت الأمير فريد الى زيارته في ذلك المنزل وفي تلك الساعة ثم قال بنفسه «العله  
يا بني لينتلك في حين غفلة» وما كان يمينه على هذا الظن معرفته ان فريداً قد تعود  
اقتدار الانام من وراء مخالفته للروسه حتى اصبح ارتكاب اللطائف امون الاعمال لديه  
وكان مراد بك ورجاله في حيرة وتعجب من جراء تلك الزيارة وجملة القول ان  
الظنون كانت تتسابق في خواطر الجميع بوقت واحد باقل من لح البصر



على ان تلك التاملات لم يطل امرها اذ تقدم عزيز نحو فريد وقال له : لقد فرك  
الطبع اذ ظننت انك تجدني وحدي مها فعلت الان ان ظنك قد غاب  
فادرك فريد مغزى كلام عزيز ونسيم نسيم الاسف ثم قال له : ميان لذي وجود  
اصحابك وغياهم فاني ما انتك لمقاصد البغضاء والعدوان بل لعكس ذلك . فتق  
باخواجه عزيز اني لو رغبت في الانتقام منك لكنت فعلت من امري مديد حين اتج لي  
ذلك فاربع عن وجهك اذ اني لا اقصد اغتيالك . الا تذكر البرار الذي جرى بيننا ؟  
او لم تكن حينئذ اذ ذاك رهبة امرجه ووقف اشارني ؟ . . . . . على اني لم احم  
مطلعا الى الفتك بك

فعلت حمرة الخجل وجهي عزيز فان الأمير قد صدق قولاً ولو شاء في ذلك العهد  
ان يقتل عزيزاً لكان فعل دون مباح ولا معارض . على ان اعمال فريد كلها كان يجاوزها  
حاملان قويا وما الدناءة والشهامة اذ كان يقدم على الشر حيناً ثم يقلع عن انما هو مدفوعاً  
بما ربي عليه من مبادئ الصلاح . — وقد ذكر عزيز كل ذلك ونجل خصوصاً اذ  
مرت بمخاطره تلك المماثلة التي شهدا بين الأمير وغادة البقاع وبأنتاعها كان فريد دائماً  
بروجه دون ان يتوى على نيل مراده حتى عمد الى الابتعاد عن الروسية ونفضه الى  
حد انه حاول قتله

ولقد رأى عزيز انه اخطأ ظناً وتأثر فطاده لمساعدته الامور مائلاً امامه متجنباً تحت  
اهمال الاحزان والالام

اما فريد ففكر اذ ذاك بوهن شديد واشفق من ان تنتهي انعامه في تلك الدفينة  
فاسعوى على كرسي كان امامه واستلى حديثه وكان صوته ههه لشدته الغضب والفك  
فقال : لا بأس اذا ما انذهلت باخواجه عزيز من زيارتي لك في هذا الليل ... فقاطعه  
عزيز وقال بما لك المخذرة يا حضرة الامير لاني في ادى الامر ذهبت الى ان زيارتك من نوع

ما بيننا من سابق الصلات

فهمز الأمير رأسه ثم استلم عزيذ كانه فقال : قل ما تريد

— أنا أذن لي أن ألقى عليك بعض الأسئلة ؟

— سل عما بدا لك . ولكن هل تريد أن يسمع اصحابي ذلك ؟

— أجل بل أسألكم أن يصفوا لي متى انتهى الاعتناء

فاقترب مراد بك ورجاله من الأمير فريد الذي قال : هل

أنتك بأجوابك تلك تحاول ورجالك الفاء القبض على الروسة فهل ذلك أكيد

فاجابه مراد بك

— أجل اننا نسعى وراء الروسة ورجاله

— أو لم تقولوا ببيل الأرب ؟

— لم يتمكن من ذلك حتى الآن فان بعض الميافع والأعمال حالت دون انمام بهيئنا

أما الآن وقد ذهبت تلك الميافع فاما نطلب الروسة دون أن نجهد ولا بد لنا من الفاء

القبض عليه لما أننا على يقين من أنه لم يزل البلاد

وقد رأى مراد بك أن يقوم مقام عزيذ بالمجواب رغبة منه في استطلاع موالها فريد

الذي أجاب

— انني أسألكم في الحال لما اني طأم ابن طمأ لمعرفتي السابقة بجنتها منزله

وكان الروسة في يادى محالته للأمير فريد قد أخبره عن السرب ( السرداب )

المخفي الذي يهتدي من منزله ويصل بالبحر

أما عزيذ فنظر الى مراد بك نظر التحذر والاحساس مشفقاً من أن يكون كلام

مريد ميكا على خديعة جديدة وشرع كل منها بمبادل الآخر نظره معنوية تساعد على

بادلة الأفكار أكثر من المكالمه فادرك فريد ما مر بخاطرهما وتبسم اسفاً ثم قال :

— لكيان تصورا في السوء والذهاب . . . . . ولكن غور ضامر ابديها لكيان لتكونا

على ثقة من نزاهتي وصدقتي وإخلاصي في اطلاعكما على اني أصبحت الدّعدو للروسة

الذي اتخذني مركزاً وطعاني عياله وضللي باستجوابه فجلاني أن اقترف الضرور التي أكره

وعد تمكنت العداوة في صدري حتى اني طلبت مبارزته قصد قتله والاقتصاص منه على

اني لم أنجح سحياً . أما الآن فقد ندمت على ما فأت وتبت اليه تعالى ورجائي أن

يفرلني في اثر صدق توبتي وأعلمك يا عواجه عزيذ اني قد عرفت ما حكمه الاطباء على من

أنه لم يبق في من الحياة نصيب وإن منيتي قد أصبحت اقرب من قاب قوسين ولذلك

فقد هزمت قبل موثي على أن أكفر عن السيئات الماضية ٠٠٠٠ ولأن أرفع المحابيز التي تحول دون العدالة والحق ٠٠٠٠ وتراني باديء بدء أسلم ذاتي اليكم مستعداً أن اتبعكم إلى مقر الضابطة حيث أقر واعترف بجميع الجرائم المماتية التي جرت ولا ريب أن بكلامي شاعداً ناطقاً ودليلاً قاطعاً لاثبات التهم المصدرة نحو الروسه هذا وإني على ما نرون قد أصبحت شديد الوهن فاقدر القوى شحيب اللون ومع ذلك قد تمت اليكم شهادة للحق دون أن يكون في خاطري قصد شيء ٠٠٠

فناثر أجمع لكلامه ومحاله وقد ثبت لديهم صدق ندامته فقال له عزيز أن لنا تمام الثقة بك ٠٠٠٠ وأعلم أن املك كان عظيماً ٠٠٠٠ على أن بدامتك اعظم والأعظم بقوى على المعظيم ونحن نعلم أيضاً أنك تقاسي من الآلام فروعاً فترني لحالك وزركن إلى صدق قولك

فاجاب الأمير فريد اشكر لكم حسن ظنكم بي ٠٠٠٠ وذلك ما ياول إلى تعريفي ومنهني كربي وعليّ أن أسعى معكم لانفاء التبعث على ذلك الشرير وإن يكن ذلك ما به عفاي وعفاه اذاني في تلك الجرائم شريك وخليطة وإسالمهم بكل حاجة بعد أن أسلم نفسي للحكومة أن تسيروا بنفري من الضابطة إلى منزل الروسه في حي الرملة حيث تجددت دون أشكال اذلابد أن يكون مخبئاً في السرب المني تحت القصر وأعلموا أن ذلك اسرب يتصل بالبحر وربما يتخذ الروسه سبيلاً للفرار فأحذروا أن تدعوه يهرب من أمام الحكومة لاني قد علمت انه يتأهب للفرار اما مدخل السرب فهو في الممر الملاصق غرفة مائدة الطعام فمجدون على أحد جدرانهم باب فمجدون إلى فقهه أو إلى خلعهم ثم تدخلونه مفتحين اثر الروسه وأحذروا ان يبطش بك في ظلمات السرب المدمية وباشروا السعي منذ الان دون أن تفتروا لحظة عين وما نبي منطلق لاسلم نفسي للضابطة ٠٠٠٠٠ على اني قيل ذلك اسألكم صفحاً عن ذنوبي التي أكفر عنها الان بما أحمله من انواع العذاب المختلفة ٠٠٠٠ وأرجو ان يكون الله قد غفر لي ما اقترفته من اعاصي والتكرات فاني تأتب إليه نادماً على ما فرط والله نواب رحوم . وكان صوت فريد ضئيلاً منقطعاً مرجحاً لشدة ما به من الابهزال والسقم ثم اختتم الكلام بقوله اني راض بكل هذا العذاب في هذه الحياة رجاء ان اعامل بالرحمة في العالم العتيد

فزاد السامعون تأثراً من هذا الكلام ثم اتعصب مراد بك وقال له :  
لأنقل بعدالك ولا نرضي ان نسلم نفسك للضابطة ٠٠٠٠ . وكذلك ما لقيته من

شديد الألم والحزن . . . . . انما نسالك ان نسلطنا تقريراً رسمياً تشهد فيه بما تعلم من حوادث الروسية . . . . . ونحن لا نستعمل ذلك التقرير الا بعد حين . . . ذلك وبعدنا لك تعاهدك على القيام به انا وعزيز وناظر الذين قاسوا المصائب من وراء تلك المجرام قاندى عزيز اشارة الاستعصاف وعلى ذلك قال الامير فريد يشهد الحق انكم قوم كرام عرفوا سلامة الية وحسن الطوية . . . . . وانتم بهذه المآثرة وهذه المكارم قد حولتم في فترة من الزمان اسعد بها لان اموت بسلام . . . . . وانى مشعر بوهن وسقم ومدر ك ان الداء الذي يهاكفى سيذهب بجياتى عن قريب فلا تنتظرون طويلاً لاستعمال ذلك التقرير وعليه فاني خاضع لما رسمتم واليه اشرتم . . . . . ومتبقى اتمنى ان تجودوا على بكلمة العماح . . . . . لابل اريد ان اجازى على ما اركبت فسلوئى للحكومة حيث لا ادفع عن نفسي التهم والشبهات

فاجاب مراد بك وعزيز ابي الله ان تكون من الصفاء الظلمة البغاة فاننا نسامحك على ما اقترفت على ان سيف النقة سجد على رأس الروم اما انت فكن بسلام وامن ان الله يغفر للسيء ويحنو الى التائبين وما نحن الا جيلة الله نتمسك بما اليه يشر

فاجاب الامير وكان يجهش بالبكا. اشكرلكما ما شاء الشكر واذا ذكر نعمتكما ما استطعت الذكر ولما كان النصب الباقي لي من الحياة قصيراً . . . . . لكم التقرير الذي تطلبون والان استودعكم الله

وهكذا قد انصرف الامير من تلك المحضرة عائداً الى قصره وما وصله حتى استلقى على سريره لان تلك المقاتلة قد اثرت به جداً الى حد ان عاودته نوبة الحمى شديدة

وقد سبق لنا القول ان مراد بك كان سال جرج واندر اوس ان ينتظروا انفاذ النصاص على الروسية ليضا بنفسى على الامير فريد اذ ان العلة قد انذرت بقراب اجله



وبعد زوال ثوبه المحمى احس فريد بعصية داخلية لم يكن يشعر بها سذرسين وذلك لما ان ثورة ضميره قد سكنت عن ثغريه في اثر ما ابداه من شواهد التوبة الصادقة وكان قد استدعى الكاهن اليه ونعم ما تفرضه عليه العقائد الدينية وفي صباح يوم دعى اليه عادة البقاع فدخلت غرفته ووجدته ملقى على سريره مكبهر الوجه منكسر الجفون هزلاً عميقاً ممتزاً بضررات القلب لشدة الضعف والوهن ذابل العينين كأنما هو يودع الدنيا ومن فيها وما . على انه في تلك الحالة كان باسم الوحة تلوح عليه سياه السكون والمحدوه وسلامة الضمير فقال لها يا عادة البقاع قد عرفني الطبيب منذ برهة ان العلة قد استحكمت مني وله لم يبق لي من مطبخ في هذه الحماة التي سأبارحها بعد انقضاء يومين او ثلاثة ايام فارغب قبل وفاتي في أن ياخذ العدل مجراه فاموت بسلام . . . وذلك بتسكين اصوات اولئك الابرياء الذين قد هدرت دماؤهم غدرًا وظلمًا . اما انا فاني اكفر عن ذنوبي بدمائتي وبما اقامني من شديد الالام وقد بلغت عنواً من رحمة الله وكرم البشر على ان زبلي بالاثم وخليطي بالشر لا بد ان يثيبا شديد العقاب

فاجابة عادة البقاع وقد ظهرت ملامح الشفقة والحنان على محياها،

— اسأل لك الرحمة والفران من لدن الرحيم الرحمن

— نعم ذلك حسبي . . .

وقبل انمام الحديث دخل الخادم واخبر الامير ان مراد بك ورجلين اخرين يسألون الدخول الى غرفته فاجاب بالانجاب وأشار الى عادة البقاع ان تصرف وكان مراد بك في اثر تلك المقابلة المحكي عنها قد ذهب الى المدعي العمومي والمستنطق واطلعهما على حقيقة الخبر واخذ منهما عهداً ان يرفقا بفريد نظراً لدنو اجله وان يثيبا الخبر على البروسة بعد اخذ تقريرات فريد وبما كانت فريد اصبح بما هو عليه من الضعف غير قادر على التماس جاء مراد بك ومعه المدعي العمومي والمستنطق قصد استجوابه في منزله وكانت فترة ملائمة لان المحمى كانت قد خفت وطائنها على الامير . ويثيبا كانوا داخلين قال المستنطق لمراد بك،

— اجل نحن القانون بخولنا عدم القاء القبض على فريد لما هو عليه من شدة الداء اما البروسة فلا بد من المحمى عليه مخافة ان يهرب وانا سنجيب طلبك باخفاء الامر

الى ان يكون الامير فريد قد فارق المحبة وعبدت تجري محاكمة لقرويه ولكن لا  
لنا من التقاذ الادلة والشواهد اللازمة لالقاء الحجر عليه

— على اني اسالك يا حضرة المستنطق ان تعامل الامير بما فطرت عليه من اللطف  
لرفقا بانسان يصبح عن قريب نزيل القبر. . . ولما كان مرض الامير في الصدر فلا بد  
ما من اخذ شهادة الطبيب عن سلامة عقله لتصبح شهادته وتقريراته صحيحة مقولة غير  
معرضة للنقد

فاجابه المدعي العمومي

— كن مطمئنا فان اعمالنا تكون منطقية على القانون تمام الاعطاف فلا يكون للجريم  
من التفاصيل مناص

— لاشك بما لديكم من النزاهة والعدالة ترفقها الرحمة والحسان

ثم دخلوا غرفة الامير



حالا رأى الامير فريد المدعي العمومي والمستنطق ويراد بك داخل غرفته اسعوى  
على سريره ثم اخذت العبرات تنساقط من عينيه . فبالعجب ان ذلك الانسان العريس  
الاخلاق القاسي القلب الغليظ الكبد الخادع الماكر الماذى قد اصبح وديعا وضعا لب  
العظمة كرم المهزة اسما حزينا يهكي كالطفل وما كاؤه بكاء تحيل العذاب والمار  
ولكنه بكاء الدائمة على ما فرط منه من الرلات ثم انه بعد اذ كفكف الدمع قال :

لقد اتهم فيها السادة في فرصة ملائمة فبادروا لانجار المنتصد مسرعين مخافة ان  
تختبرني المون قبل ان اصرح بالتقرير واقبحكم شهودا على ما اقرفته من الجرائم والاثام  
وارجوكم ان تزلوا منزلة الصدق كلام انسان نظيري يتأهب للالقاء به . ثم اخذ  
المستنطق تقرير لائحة الضبط حسبما كان فريد يتلوها عليه واليك مثالها :

« لما فريد الملقب بامير الغاب اقر واعترف انني منذ ستين عرفت الروسية الخاجر  
المشهور لمره بمطاعة الخدم العمومية في هذا التصرف انه قد جاءني يوم كان الدلال ينادي  
بيبع عفاري وملكي فتصعد لي باعادة ثروتي المفقودة ان مالئته على ميثاقه وخصصته  
بصفت الثروة العديدة ان تصيبي بحق ليرث امرأتي وبنائي على ما زين لي حاولت استمالة  
خادة المتناع ولم اوفق الى ذلك فالتخذه مع الروسية ورجلة طرق الاعضاء لنيل  
الارب . — ثم ذكر فريد ما كان من امر الخطاف خادة القناع المرة الاولى والمرة الثانية  
طكارها على التزوج به ثم اسير الى ذكر مقتل نسيب ومبارزة عزيز ثم اصل خبر

حنابل اللبائوي تصبلاً وما حدث في اثر ذلك من الاعمال التي عرفها القارىء ثم صرح  
بشدة استيائه من الروسة وكيف انه حاول انقاذ اندراوس اللبائوي . وجعله القول  
انه لم يدع امراً الا وذكره لا سراً الا وصرح به»

وما انتهى من تقريره الا واستلقى على ظهره من شدة الوهن وقوة التأثير فقال : نادروا  
بليقام الان بما يفرضه عليكم الواجب واني اسلم ذاتي اليكم ولئن كنت على هذه الحال  
وحذران يخلص الروسة من بين ايديكم فانه منبع الفساد واصل الشر  
فقال المدعي العمومي ستأخذ العدالة مجراها ونحن الان ساعون وراء الروسة بغية  
القبض عليه واجرام محاكمته حسب القانون . اما انت فعليك الان من المعاملات القانونية  
لما انت عليه من ألم الداء على انه لا بد لنا من كدبل بغض لنا حضورك للمحاكمة حالما  
تأذن حالتك الصحية بمحلك تحت طائلة القانون

فتقدم مراد بك وقال : اما اضمن ذلك . انا اكتمل  
فاحاب فريد شكراً لك ايها الكرم على اني لا اخال العمر يطول ربما نفوم بالكيمالة  
واني اشكر لك لوفاء وعدلك لي اذ لم تاتي برجال الدرك الا بعد تحققك دنواجلي .  
او الان قد وجدت السكون والراحة وشعرت بسرور باطني قد فقدته مذ سلكت مسالك  
اللام . . . الويل لك يا الروسة بل الويل لي لانتهاجي مثالك . رحماك ياربي رحماك  
فاست الثواب الرحيم

ثم خرج المحاضرون من الغرفة آسفين من جراء المحال التي صار اليها الامير قائمين  
حتى ان يكون ذلك عبرة لغيره من ارباب الجرام والمظالم الذين لا يخافون الله ولا  
يستحقون من الناس

\*\*\*\*\*



عصر ذلك النهار كانت الضابطة تخفر منزل الروسة في « الرملة » وكان معهم  
مراد بك وهزير وقد قرعوا رتاج ( بهاية ) المنزل فلم يفتح لهم فخلعوا ثم يملأ المنزل  
وساروا توأ الى العرب « السرداب » الذي اخبرهم الامير فريد به  
وكان الروسة اذ تخفى دنواجل الامير فريد اخذ في التأهب لمزاولة البلاد ولما  
كان منه ايضاً ان رجال مراد بك ترقب حركاته وسكناته عزم على السفر في ذلك اليوم  
حاملًا ما يمكن نقله من الصحة والمال مستصفاً معه خططاء الطبيب سلبها ووثاق

وسمعان لانهم اشتقوا مظه من ان ينقلبوا شر متقلب . وكانوا قد اجمعوا رأيا على ان يمشوا  
 لئلا مستطرقين الى البحر بواسطة ذلك السرب اذ انهم اعدوا قاربا في طرفه اليسار  
 ينقلهم الى احد الشغور القريبة ومن هناك ينضمون الى امركا . على ان الظروف قد جاءت  
 معاكسة لما كانوا يتصورون . ولما ادركوا ان الجحود كانت تحترق المتزل اختبأوا من  
 السرب واخذ كل منهم عشرة مداسية للدفاع واستكروا امل ان لا تبصرهم عين فيزيلون  
 السرب مسافرين في حين غفلة الجحود عنهم

وقد سبق القول ان نجم الروسة قد افل وان الظالمون لا يظنون ولذا قد باغته  
 رجال الدرك في اليوم المصروب للذرار  
 وكان مراد بك قد حذر رجال الضاحلة والشخصه المولجون بالقائه القذص على  
 الروسة ان ينفذوا جميع التحفظات اللازمة علما انه ان الشقي لا يمكن ان يكون وحده في  
 السرب

ولما احس الروسة ان باب السرب قد فتح حاول يادى به ان يتوغل في داخله  
 وقد تبعه كل من الطيب سليبا وذئاب وسمعان وكان الظلام حالكا . اما مراد بك  
 وعزيرة كانا يقدمان رجال الدرك في ذلك السرب بمنتهى العجاجة والاقدام ولم يشا  
 مراد بك ان ينادى المشاعل مخافة ان يراهم الروسة فيصوب الرصاص اليهم . وقد اصاب  
 مراد بك بذلك ظنا لان الروسة حالما احس بدخول القوم الى السرب رأى ان يباغتهم  
 باطلاق الرصاص . ولما كانت الرعدة قد اخذت منه كل ماخذ غفل عن ان له رفاة  
 يتبعون اثره فاخذ غدارته السداسية وشرع يطلقها على الاشباح التي كان يراها سائرة  
 وراءه . وبما كان يجهش الغدادة ثانية ليدد اطلاق الرصاص صما من نشوة اضطرابه  
 واذا يادى قوية قد قصت على زنده ومنعه من اتمام العمل وكانت تلك الايدي ادي  
 مراد بك وعزير اما الاشباح التي اصابها الرصاص فكانت اشباح سليبا وذئاب  
 وسمعان الذين تمجدلوا على الارض يخفجون بدمائهم . وذلك المحن اشمل الجحود  
 المصاحب وانهم الروسة بالمال ثم احدثوا الفظير بداخل ذلك السرب فكان هناك  
 منظر هائل تشعمره الابدان اذ شاهدوا سليبا مصابا برصاصه وقد قضي لساعه  
 اما ذئاب وسمعان فكان الدم يتدفق من جراحهم وكان على اخرهم لان الرصاص قد  
 اصاب صدر كل منها . ولما ابصر سمعان الروسة مكتوبا بين ايدي الجنود احدث  
 به نظره ثم نظر الى سليبا الذي كان مجذلا قتيلا بجانبه فقال للروسة مولاه لله تشف  
 عن الغضب والانتعاض هذا جراه من يخدم الاشرار . . . الول للك من رجل ماكر



أظهر أنهم ليم فانك انت ايها الشرير الذي اطلق علينا الرصاص اذ رأيت الخطر محدقاً بك .  
 يا لاعلمك ما أعجبها وما لا رشادتك ما افسدها ... اني ارى سلباً الطبيب بجاني وهو  
 شريكى وخطي بالام والى قد اخطت اوراق جرج الباري الطبيب فاتخذها لنفسه وكان  
 ذلك بدسائسك ايها الشرير فالويل لك ثم الويل ... ثم اخذ صوته بالانخفاض وانفاسه  
 بالحمود ... ثم لفظ هذه الكلمات : « اني اموت كشر بكي بالام هكذا ايها القاتل ...  
 الانتقام ... الانتقام ... »

ولم يؤد هذا الكلمات حتى فاضت روحه فان الصريرة كست قنلة ولم يكن بالامكان  
 معالجته . اما ذئاب فقد حاول مراد بك مداواته ولكنه كان ايضاً مصاباً بضريرة قاتلة  
 بيد انه لم يموت الا بعد مضي ساعة من الزمان وبانباء تلك الساعة قد كثف الغطاء عن  
 جنبايات اخرى كان الروسة قد ارتكبها وذلك انهم بها كانوا عائدني في ذلك السرب  
 ابصر عزبي في احد جوانب المربايا فخلعه ثم احقق النظر فرأى مشهداً ترتعد منه القرائص  
 اذ هناك كانت جثث القتلى التي فتك بها الروسة واحداها في تلك الغرفة المحيطة داخل  
 للسرب ومن جملتها جثة خنزة وقد انبعثت في تلك الغرفة روائح خبيثة كريهة فاجترجت  
 تلك الجثث وكان اكثرها قد صار الى الماء . وبعد خروجهم من السرب ساروا جميعاً  
 الى المعابة في منزل الروسة وهي الساعة التي يمنع فيها مع اصحابه وخطاته للموافقة التي منها  
 كانت تصدر مراسيم الشر والامم . وكان مراد بك قد عني مداواة ذئاب لكن عن غير  
 جدوى لان الدم كان يتدفق من جرحه غرباً ولما ايقن مراد بك ان الجرح يارب  
 الموت استطلعة امر تلك الجثث فلم يحبه مستشدة لعدة ما يؤمن الالم على انه فوجد  
 ونظر الى الروسة من الغضب وقال : الويل لك فانك انت الذي سعى بهلاكى اذ ان  
 هذه الرصاصة التي اطلقتها عليها تذهب بجاني . الويل لي فاني قد انتحيت بسلك وانت  
 انملك فكان جراحي الموت ... ثم نظر الى مراد بك واذا عرفه قال له : اما انت ايها  
 السوداكرم فلا بد انك تذكرني بايام كنت انت انا من خدمتك وما كنت وقتئذ الا سداً  
 من قبل هذا الوحش ( الروسة ) وهذه يدي قد وصحت بهادة ذلي وابه شري ثم  
 بسط يده فكاست كلمة « لص » مرسومة عليها

... ما كان من امر ذئاب ثم باذر يسأله عن تلك الجثث واد تقرس بها  
 وكانت حينئذ تزل شرار الغيط والغضب : نظر الى الروسة وقال هولاء ايضاً  
 ذئاباً فربما قد نركبهم ففعلوا ما يقوم انني عرفت هذه الجثث مع ان اكثرها صائر الى الفناء  
 فبهم حريقهم وموتهم فاذنهم وقاتل عفايل اللياوي وحوش قاتل لهم وكلهم كانوا من خدمة

هذا الشرير ولا ريب أعدي ولا مرأه أنه فظلم أو كان سبب هلاكهم مما قد أنقذهم  
وأعلان امره وقد قال لي كذباً أنهم زابلوا البلاد خشية العقاب  
وفي تلك الدقيقة وصل الطبيب فصاح ذئاب قائلاً إنكم تسعون بداراتي عفاً  
مضمر أن المتون قد قرئت على أبي أسألكم أن تجازوا هذا الشرير الأثيم بما يحسن  
العذاب... قال هذا ثم فاضت روحه وهو يادي الأثام... الانتقام...

\*\*\*\*\*

## ٨

أما الروسة فكان مؤثوق الأيدي لا يفوه بهنت شفة فبادر المستنطق لاستجوابه عما كان  
على أنه استمر صامتاً فأودع السجن في تلك الليلة  
أما تلك البحث فبعد اجراء الفحص الطبي طيباً بقدر ما يصل إليه الجهد حرر  
الطبيب لأتمة تشير إلى كيفية موها ثم أرسلت كلها إلى الأكرتسيا قصد أن تدفن في القدر بعد  
اجراء جميع الرسوم القانونية

أما الروسة فظل يكر ليله بخدمة يخلص بها من تلك الحال التي صار إليها  
فضايقته بانه سبل الحبل وأصرم جل أماله وظل كالمنزول... وكان يقول بنفسه :  
أنك أنت يا فريد وزوجتك عادة البقاع قد أوقعتني بهذا الألم والبعضالي وشايع  
البحري والمباركة قد تفتاني إلى مثل هذه المنة المائلة... أو أمانتي لا أرى لي سبيلاً للخلاص  
وعليه أريد أن أمهلك بهلاكك أما العادة فلا أستطيع إلى الضر بها سبيلاً وذلك ما يزيد  
لحي واسني... أنني قد حفظت الصحة لدى المستنطق ولكن ما الفائدة من الأفكار  
بعد المفريات التي جاء بها معان وذئاب اللذان قد سقاني إلى دار العذاب...  
أجل علي أن أوح سري وأعلن أمري مفراً بكما كان... ولما كتبت أنت يا فريد  
شريكاً لي بالأثم فلا ريب أنك تفاسمني العذاب وأني لأرغب في أن اتضر عيشك وتشن  
كان عيشك أصح قصير المدة وإن كنت لا تموت موتاً طبيعياً فتق أنك تموت نظري موت  
النبل والعار... الويل لي كيف أخفق كاس المتون من يد غيري... ذلك لا يستطيع  
أبداً... الويل لك يا فريد ولجأ لك يا عادة البقاع...

ولما كان الغد دعى الروسة إلى غرفة الاستنطاق فسأله المستنطق أن يبرمجها بانه  
قائلاً له : إن أألمك ظاهرة واضحة غيبة عن ألبان فلا تحتاج إلى دليل وبرهان... على أنك  
إن بحثت بها من ثلثاء نفسك فربما تنال بذلك رحمة من لدن أحكام... أما للروسة

قد رقت قلبها ورتت لحالها. وما نهض الأمير من السرير حتى مال إلى السقوط  
إلى الصف والوهن اذ ان قوله قد غادرته فقال: اني لا اقوى على النهوض  
من اريك عني اني منتظراً القضاء مصرحاً بانني ائيم مهمتوجب الجوار  
بالروسية متيسراً ما عليكم الان الا ان تصرحوا بما تعدونه لي ولجباب الأمير  
القضاء بالمجازاة

فاجاب مراد بك. ان الأمير مطلق ولم اوجه اليه الملام فاه قد قامى الاما  
رة انت علمها ومصدرها وقد حاول اخرعه معارضتك والاقتصاص منك ولكن  
بعد فوات المحن. اما انت ايها الايم فانك كنت وكر الفساد ومنع الشر  
وعليه فسبحاري حباً جئت يدك

فقال الروسية: اجل ان القضاء سيحكمون ولا ريب باصحابي على اني اود ان  
اعلم ايها القصاص المجد لرفيقي وايه مئة سوف يموت  
— ان الموت لا يأتي الأمير بالأم اعظم من التي قالها  
— وما المراد بذلك

— اريد ان الأمير يفي حراً على ما قدمت فاه قد انقذ والد غادة البناع الذي  
وطئت تحت في قتله وقد رغب في انقاذ اندراس وعليه فلا نراه مذنباً الا الى غادة  
البناع فلما ان تطلب مجازاته او تصفح عنه

— انا كنتم تذهبون هذا المذهب فاعلموا ان الامور لا تنطبق على ما توهم  
فان الأمير سيكون رفيقي بالمحاكمة كما كان رفيقي بالاثم وذلك بما لدي من الادلة  
التي تلقى عليه التهمة وقد اذنت بذلك يوماً.. ولا بد من ان الرأي العام يلمح بهذه  
المحاكمة لدى الاصطناع والمحاكمة لان دعوى حمة كهذه نادرة المحدث في بيروت  
لما فيها من تعدد الجنايات كالاكراه على الزواج واستئصال البوالة قصد الاستئثار بالتركة  
ثم التلمس وسطاها الى غير ذلك من الجرائم وانتم ادرى بالعار الذي يلحق بالامير  
والاميرة من وراء ذلك...

فقاطع فريد حديث الروسية بقوله: كفى يا الروسية — فاحسن ما يجب علينا  
عجلة ان نندم على ما قامت وتامف على ما فرط ونكفر عن الاثم  
— المالدانة فليست من شائي ولما الاسب فواجب علي لاغضاري اياك  
— زميلاً وانت من الجبن والعيش والمحاكمة يمكن  
— واذا ذاك نهض المستطقي وخاطب الروسية قائلاً





عنه وهو في عيون السعد وعيون تسابه . ومع ذلك انه لم يكن آسفا على  
المجد وذبول نصرة الدواب واصرام حل المحبة بما فيها بل كان مناسقا  
الدقيقة على معده عرف الحب الطاهر وما لحو غدة البقاع تلك الرقة  
فنادى الخادم : نه وإنتار اليه ان يدعو تلك الغاة اذ انه قد احس فوراً بدنو  
وكانت غادة البقاع اذ ذاك في غرتها فاهلت اليه مصرعة وكانت لابه  
مسيطة خالية من زخارف الزياء « الموضات » الجديدة التي تنقص من  
المرأة باخفاء تناسب الاعضاء وتحويل هيئة اللبة الطبيعية وكان وجه غادة  
تتألق بهاء وبألق جمالا فظفر اليها الامير وتنهى قائلاً :

— غادة البقاع اني احبك كثيراً ! .. انا هي فاذرته مالي على  
مكتم الوجه تغير ملائحه الى دنو الاجل ارتعدت ونظرت اليه تشقفاً وحنناً  
فانم الامير كلامه قائلاً : لا تمنعني من ان اصريح بحبي لك يا غادة الي  
لم يبق لي لكالك غير رقة قصيرة جداً ارجو فيها ان اتال السلامة اني اتم  
فاستأنفت الغادة النظر اليه واخذتها هرة الصنن والاكتماب فان  
انقضت هيئة جديدة لم تعد لها فيه اذ قد بطلت حركة عينيه المحبوبة وجهه  
واخذت شداه بالارتجاف والاختلاج قال له :

— قل لك مشعر بالم

— كلا اني لا اشعر بشيء جديد

ثم قال لها بصوت منخفض :

اذا لم

كثيراً ... وقد كمل قصاص الانتقام ... بل زاد! عن الحد المطلوب ...  
 جملة الامي التي اموت كمذا لافطاع حل املي بجهك .. ولذلك فاني ازابل  
 الحية غير آسف عليها اذ يموتني يسهي عذابي الناشئ عن اعراسك عني  
 بصبك علي .. ثم اني اموت سعيداً لان موتني انما هو سبيل وحيد يتذكر ...  
 بصبك سعيدة ... اموت سعيداً لان موتني تحققى امانيك فتالين ما ترغبت  
 ... اني امضي وقلبي لا يمتحي ان يصبك اذى من ذلك الانسان الشرير الذي  
 ان مصدر الرزايا ومعرض اللايا وتذكرت مشفقاً من انكر بعد موتني تصبين  
 فما لا ياب ذلك الدنب المحاطب الذي لا تدخل الدامة مؤاده ... ولكن الان  
 اصبح عدوك غير قادر على العرو بعد برهة تصبين في امن من وحيوه ووسوذي  
 .. فلا يهول امر بيبك ومن سعادك ... وتستطعن باعادة النقا ان  
 يهي بيبك الاول نحو عمر ...

ثم امسك عن الكلام لان حشرة الموت قد احدثه لحشته تحت احية الهدي  
 نبع يديه على صدره وزفر رغما به من حراء المول والخوف  
 فقالت حادة القناع واحدة . لدع الطيب ... اني سائرة لادعي  
 - ليس من حاجة الى ذلك اذ لم يبق من امل ... بل محلي ما استدعا الكاهن  
 به يدمع القصاص المضموم او يمة .

كثيراً ذلك اصاب الامر بجران استمر نحو عمر دقائق ثم استفاق فوجد محابه  
 ... غلدة البقاع وبعض الجدم فاصرف الجحيم واحـ الى الامور والكاهن .





ثم عقب ذلك صمت ... وسكون ... ثم اندى فريد حركة ضئيلة ... ثم  
عليه شاخصاً الى غادة البقاع وقال لها اني اموت باعادة البقاع ... اموت  
الى الال لما الي ملت السباح من لذلك ... طوماك ايها الامراة العاصلة ...  
اكرلك . قري عيماً ولا تحشي احداً فان الروسة اصبح مقبلاً على الادي ...  
هي سعيدة .. وازريني بالدعاء ... الوداع ... باعادة البقاع ... الوداع ! ...  
ثم امال فريد راسه نحو غادة البقاع ... وادعها الطرة الاخيرة ثم اعص  
بت عيبيه واعاص نفسه ... واعدمه الحركة المحبوبة ... وذهب و المرافة  
على ابواب المدينة

وفي العد وجد الروسة مشوقاً في السجن على ما امرك  
ولما اصل حبر موت الروسة وفريد بهرادك ذهب الى المدعي العمومي والمستطلق  
الما ان يجعل اوراق الدعوى في جملة الاوراق التي لا تراجع وذلك لانه لم  
تبقى احد من المتهمين في قيد المحبوبة اذ اهم بالها من العدل الالهي حزاء ما حلت  
الأيديهم من الشرف فلم يبق من ثم للحكومة من دخل في الامر . واما سعي مراد  
في ذلك حرصاً منه على منزلة عارة البقاع المسونة لئلا الى الامير فريد  
! عيب ان تبني حوادث هذه الرواية على الكتمان . وقد وافق المدعي العمومي  
اي على طله وامر بدمس الروسة مع القلي الدين وجدوا في السرب  
في ذلك الهامسه قد ورعت الماعني في المدينة





